هَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ رَهْبَنَةَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ؟

(خاص بِالسَّائرين على دَرب الرهبنة)

الكاتب:

الراهب أفرام

تقديم الآباء:

نيافة الأنبا إبرآم ـ نيافة الأنبا متاؤس ـ نيافة الأنبا مارتيروس

هَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ رَهْبَنَةَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ؟

(خاص بِالسَّائرين على دَرب الرهبنة)

إخوتي أحِبَّائي مجمع رهبان الدير؛ أعتَز بمحبتكم وما قدَّمتُم لي

تقديم الآباء: نيافة الأنبا إبرآم ـ نيافة الأنبا متاؤس ـ نيافة الأنبا مارتيروس.

الكاتب: الراهب أفرام الأنبا مكاريوس ـ وادي الرَّيَّان.

تاريخ الإصدار: سبتمبر ٢٠٢٢.

المطبعة: جذور للطباعة والنشر ـ ٢٧٧٩٦١٣٧.

رقم الإيداع: ١٩٦٦٢/ ٢٠٢٢م.

هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ. هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَتْبَعُونَ الْخَرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ،

هَؤُلاَءِ اشْتُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً لِلَّهِ وَلِلْخَرُوفِ، وَفِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يُوجَدْ غِشٌّ، لأَنَّهُمْ بِلاَ عَيْبٍ قُدَّامَ عَرْشِ اللهِ

†

تقديمـات الآبـاء للكتـاب

تقديم نيافة الأنبا إبرآم مُطران الفيوم ورئيس أديرتها

الرهبنة هى حياة الكمال المسيحي، هى السِّيرة الروحانية والملائكية، وهى الطريق الكَرب الذي اجتازه الكثير والكثير من الآباء الرهبان منذ فجر المسيحية، إنطلاقاً من مصر، بدءً بالأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان، وأعلام الرهبنة الأُوَل: أنبا مقار مصباح الرهبنة، وأنبا باخوميوس أب الشركة، وأنبا شنودة رئيس المتوحدين، وأولادهم من بعدهم، وقد قدَّموا حياتهم ذبيحة حُب للفادي الحبيب حتى نالوا النصيب الصالح. الرهبنة عظيمة؛ لَيتَ جميعَ الرهبان يَبقون على اشتِياقاتهم الأولى التي كانوا عليها أولاً أثناء فترة الاستعداد والتلمذة.

أرجو أن يكون هذا الكتاب سبب بركة ونَفع روحي لكل مَن يقرأه، وليُعوِّض الله اِبنَنا المبارك الأب أفرام على اهتمامه بإعداد هذا الكتاب، بشفاعة أُمنا والدة الإله، وبركة آبائنا العِظام، وصلوات قداسة البابا تواضروس.

الأنبا إبرآم

مطران الفيوم

تقديم نيافة الأنبا متاؤس أسقف دير السيدة العذراء ـ السُّريان

✝

باسم الآب والابن والروح القدس الله الواحد آمين

كتاب "هل يمكننا أن نستعيد رهبنة القرن الرابع؟"، ويَليه عنوان آخَر "خاص بِالسَّائرين على دَرب الرهبنة"؛ هو كتاب رهباني بالدرجة الأولى. ويهتم ويُركِّز بالأكثر على حياة الوَحدة في الرهبنة، ويُسمِّيها كمال الرهبنة فَيَقول: "الرهبنة تكميل الفضائل. والوَحدة تكميل الرهبنة".

كتب في بعض فصول الكتاب عن مَبادئ وأركان الرهبنة مثل: البتولية والطاعة والتجرد.. وسلوكيات الرهبنة مثل: تكريس الحياة كلها للمسيح والصلاة الدائمة وقَمع الجسد وقَطع المشيئة.. كما كتب عن بعض المَفاهيم الرهبانية مثل: الشكل الرهباني والسِّيرة الرهبانية والفضائل الرهبانية.. كذلك كتب عن علامات هامة في طريق الرهبنة مثل: الغرض المستقيم للراهب، وأب الاعتراف الحكيم الذي يُدبِّر الراهب، والثبات في القلاية، والقانون الروحي المُحكَم للراهب، من صلواتٍ وقراءات وعمل يَد يملأ كل وقت الراهب ويُنشِّطه.. كذلك كتب عن أشهر الحروب التي تُتعِب الراهب مثل: حروب الجسد، حرب شهوة الكهنوت، حرب شهوة الرئاسة والخدمة، وكيف يتغلَّب عليها.. كما كتب كثيراً وبِعُمق عن الوحدة في الرهبنة وتدبير المتوحد وفوائد حياة الوحدة للراهب. نشكر الأب المُوقَّر الراهب أفرام على مجهوده في هذا الكتاب ونرجو له كل نعمة وبركة.

بشفاعة أُمنا الطاهرة العذراء مريم فخر البتولية، وصلوات القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب رهبان العالم، والقديس العظيم أنبا مقار سِراج الرهبنة، وصلوات أبينا الطوباوي المكرَّم البابا تواضروس الثاني أب رهبان هذا الجيل.

ولإلهنا كل مجد وكرامة في كنيسته وأديرته إلى الأبد آمين.

الأنبا متاؤس

أسقف دير السُّريان العامِر ـ صوم الميلاد ٢٠٢٠

تقديم نيافة الأنبا مارتيروس أسقف كنائس شرق السكة الحديد

أُقدِّم لهذا الكتاب الذي فيه يدعو الكاتب أبونا أفرام إلى استِعادة روح الرهبنة القديمة، التي ظهر نورُها بشدة في القرن الرابع الميلادي، وقد بدأت بقوانين وتقاليد راسخة عند شيوخ الرهبنة حينذاك.. ويُسجِّل لنا سؤالاً يرجع إلى الوجدان الرهباني القبطي، حيث كان الراهب يسأل آباءَه الشيوخ بِقَوله: "قُل لي يا أبي كلمة لكي أخلُص"، كعروس تسعَى باحثة عن عريس روحها.

يتساءل الكاتب نيابةً عن كل راهبٍ: هل أنا حقاً راهبٌ أعيش الحياة الرهبانية الحَقَّة التي كانت عند آبائنا قديماً؟.. كما يكتب خواطره الرهبانية مُدعِّماً إيَّاها بآيات الكتاب المقدس، بدايةً من خروج أبينا إبراهيم وراء صوت الرب في طاعةٍ كاملة، ذاكِراً الآيات الدَّالة على حَمل الصليب والتلمذة الحقيقية.. وقد ذكر الكاتب نِقاطاً رائعة بخصوص بعض أقوال الآباء الشيوخ، وبخصوص تفاصيل الحياة الرهبانية عملياً. وتطرَّق إلى أُسُس الرهبنة الثلاث، مُدَعِّماً حديثه بالآيات الكتابية، عن: البتولية والطاعة والفقر الاختياري، ذاكِراً أن الزِّي الرهباني هو شكل الراهب، أمَّا العمل الداخلي بمُمارسة الحياة الرهبانية فهو سِيرته الحياتية القلبية بهدف النمو في محبة الله والاتحاد به.

يُعالج الكاتب عِدة موضوعات: علاقة الراهب بأُسرته القديمة وابتِعاده عن سُكنَى العلمانيين واحتِرازه من التعامل مع النساء وسَعيه لِاقتناء الفضائل ومُعالجة حروب الضَّجَر وشهوة المَناصِب، وممارسته الخدمة - إن دُعِيَ لها - بِحَذَرٍ شديد لِئَلا تستهلِك الخدمة رهبانيته.. ويتحدث بشفافية عن كيفية حياة التبتُّل بالعِفَّة والطهارة. ويُنهي كتابَه بِالتساؤل: "ماذا فعلنا بِوَزنة رهبنتنا؟"، و: "هل يمكننا أن نستعيد رهبنة القرن الرابع؟". لقد حاول الكاتب أن يضع أفكاراً على أرض الواقع لكي ما يجعل المستحيل سهلاً.

أقدم شكري الجزيل إلى قُدس أبونا أفرام على أُطروحَة هذا الكتاب الجديد، الذي حقاً يخدم الحياة الرهبانية، وأشكره على محاولته وضع أفكارٍ مَبدئية قابلة للتطبيق، للسَّعي نحو حياةٍ رهبانيةٍ أفضل، بصلوات آبائنا القديسين، وصلوات قداسة البابا تواضروس الثاني.

المحتويـــات	الصفحة

مُقدِّمـــة ٧

هل أنا حقاً راهبٌ؟ ١٠

خَواطِرٌ رهبانية ١٤

من الأخلاق العَلمانية إلى الأخلاق الرهبانية ٢٨

هل وجَّه السيد المسيح وصايا للرهبان، دون كل المؤمنين؟ ٣٠

أبعاد ومفاهيم في الحياة الرهبانية ٣٥

علامات على الطريق الرهباني ٣٨

علاقاتٌ، وتدبيرات ٤٢

قاماتٌ، واختبارات ٨١

من دُرَر الأدب الرهباني ٨٧

تَذَكَّر أن ٨٩

لا... (Don't) ٩٤

في (مُعضِلة) الطريق الرهباني؛ العِفَّة ١٠١

ماذا فعلنا بِوَزنة رهبنتنا؟ ١٢٣

نُبُوة القديس أنطونيوس عن مستقبل الرهبنة في الأيام الأخيرة ١٢٩

هل يمكننا أن نستعيد رهبنة القرن الرابع؟ ١٣٠

خِبراتٌ تَوَحُّدِية ١٣٤

مُناجاة راهب ١٦٨

مُقدِّمـــــة

(مُختار) إنسان مُتديِّن، صاحب مبادئ، مهذَّب، يبحث عن (الحياة والأفضل)، وقد أراد (أن يكون كاملاً). وها هو الآن قد وصل إلى مُفترَق الطرق، وعليه أن يحدد طريقه في الحياة للوصول إلى تحقيق هدفه.

(دُنيا) زميلته في الشركة التي يعمل بها، فتاة إجتماعية، غنية، وبالمفهوم البشري فهى (جَذَّابة)، مما كان له أكبر الأثر في رغبته في الاقتران بها، وبحُكم المكان الواحد و (شركة) العمل والخُلطَة صارت بينهما أُلفَة، "فَكَشَفَ لَهَا كُلَّ قَلْبِهِ" وصرَّح لها برغبته في الارتباط بها.. وهى بدَورها لم تتردد في قبوله، بل وشجَّعته بأن أخبرَته بأن:

(مُحارِب) أباها، قد أعدَّ لها مسكن المستقبل، هى ومَن تقترن به في (مدينة الأحلام)، وأنه على استعداد أن يوفر له كل صور الرفاهية، على أن يضع كل رصيده في بنك هذه الأرض.

لكن بمرور الوقت إكتشف (مُختار) أن (دُنيا) ليست على "الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ"، لأنها هوائية، تهتم كثيراً بمظهرها، تطلب ما لنفسها، وكل آمالها أرضية جِسدانية.

(مُختار) مِحتار!.. فأخذ يفكر "وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ": صحيحٌ إن (دُنيا) فيها "شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ"، "وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ"، وأنا أنشُد "النَّصِيبَ الصَّالِحَ".

(عادل) أبوه، عرَّفه بأن له حرية الإرادة كاملةً في إختيار طريقه، لكنه سوف يكون مسئولاً عن اختياره، كما أكَّد عليه قائلاً: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلتَصِقُ بِهِ لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ"، و: "مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ"، "احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا".

(حِكمة) أُمُه، نصحته بالقَول: "يَا ابْنِي كُنْ حَكِيماً وَفَرِّحْ قَلْبِي"، و "فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ".. تمَهَّل، و "تَضَرَّعْ إِلَى الْعَلِيِّ لِيَهْدِيَكَ بِالحَقِّ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ"، لأنه "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طُرُقُ الْمَوْتِ".. وهذا لا يتأتَّى لك بدون إتِّباع وَصاياه في الكتاب المقدس، ومُشاوَرة المُرشد الروحي.

(غريب) صديقه الملازم له، أخبره بأن ليس له في تلك الأرض "مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ"، وأكَّد له أن كل الذين يسكنون في تلك المنطقة يعودون ويَرحلون عنها لسببٍ أو لآخَر، ولا يتمكن من البقاء فيها ولا واحد، وليس هذا فقط، بل ويتركون كل ما يمتلكون فيها.

ولمَّا علِم بالأمر خادم "كَلِمَةَ الإِنْجِيلِ"، الأستاذ "سِرَاجٍ مُنِيرٍ"؛ فَلِوَقته اِفتقده وعلَّمه قائلاً: يا (مُختار)، "دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي". صحيحٌ أن الـ (دُنيا) حلوة؛ لكنها هكذا بالنسبة للجسد، لكن "اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ وَلَكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ... اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي أَمَّا الْجَسَدُ فلاَ يُفِيدُ شَيْئاً... إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ، وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ". ونَصَحه قائلاً: "اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ". "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً... اِتْبَعْنِي"، ولَسوف أُرِيكَ "طَرِيقاً أَفْضَلَ".

وفَجأةً! (نور) أخوه، الذي يعرف طبيعة أخيه جيداً، نَبَّهَه إلى عدم صواب هذا الاختيار، الذي ليس هو إلَّا نِتاج شهوة باطلة ليس له فيها (خَلَاصٌ)، وحَثَّه على العُدُول عنه وإلَّا فَلَسوف يقضي حياته مُمَزَّقاً. وقال له: ماذا سَتُثمِر من تلك الـ (دُنيا) سِوَى: (شرود) و (أشجان) و (شحَّات) و (عِريان)..! وأرشده إلى فتاة أخرى من (الكنيسة) يعرفها جيداً، وهي:

(سامية). التي تقضي وقتها في الصلاة وعبادة الرب، وبالرُّغم من أنها كانت غير إجتماعية، فقيرة، ولا يرى أغلب الناس جمالها المُخفَى؛ إلَّا أنها كانت عفيفة، متواضعة، ومملوءة روحانية.

(إيمان) أخته، كانت تعرفها أيضاً جيداً فطَمأنَته من جِهتها، وعرَّفَته بأنها تسكن في "مَسْكَنِ السَّلاَمِ"، وشجَّعته بِوَعد الرب: "هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ".

وبالفعل، غيَّر (مُختار) مَسار حياته، فقد هجر الـ (دنيا)، وفرح بما كان يَتُوق إليه كَمَن وجد "كَنْزاً مُخْفىً فِي حَقْلٍ"، واقترَن به، وقد (أثمَر): (نِعْمَة) و (حَيَاة) و (صَلَاح) و (فَرَح) و (جَمَال) و (رَجَاء) و (كَمَال). وفوق هذا أيضاً قد بارَكَه الرب بأن أعَدَّ له مَسكناً آمِناً في "مَسَاكِنَ مُطْمَئِنَّةٍ".

"مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ؛ فَلْيَسْمَعْ!"

الراهب الحبيب في الرب.. حقاً ما أفضل الحياة الرهبانية، لا لِذاتها ولا لِشكلها، إنما لِكَونها طريق وطريقة للحياة مع الله ولله وفي ما لله.

وهذا الكتاب هو بنعمة الله وإرشاد روحه القدوس؛ تسجيلٌ لمجموعةٍ من الخواطِر الفكرية وملاحظات الأحداث الواقعية خلال عِدة سِنين، ليس فقط لِتعريف السَّائر على دَرب الرهبنة بِمَعالِم الطريق؛ وإنَّما بِهَدف التأكيد على المفاهيم الرهبانية السليمة والأصيلة، المَرجُو الرجوع إليها. وقد قام الكاتب بِصياغَتها وتَنسيقها لتخرج معانيها محمولة على كلمات أسطُر هذه الصفحات بِهدف إفادة القارئ، عن طريق اِستِبيان مَبادئ أو مَضامِين الحياة الرهبانية السامية، كلٍ من: الرئيسية التي لا تتغير بتغيُّر العصور؛ والعامة دون الخَوض في التَّبايُنات أو الفروق الشخصية الفردية، ومُستَقاةً نَصَّاً من الكتب الأكثر جَمعاً لِأقوال آباء الرهبنة الحاذِقين، بالتقليد الآبائي الرهباني المُتداوَلة بين أيدينا ـ بِوَضعِها بين قَوسَين هكذا [...] ـ وهى كتب: "بُستان الرهبان" و "السُّلَّم إلى الله" و "حياة الصلاة الأرثوذكسية"، بأسلوبٍ يُوَفِّق نوعاً ما بين أسلوب الصياغة الكلاسيكي (أي القديم) للكتابات الرهبانية، وبين الأيديولوجية (أي طريقة التفكير) المُعاصِرة، وإضافةً إلى هذا فمِما جَمَعَه الكاتب ـ فماً لِأُذن ـ من اِختباراتٍ أو تأملات لِآباء ورهبان مُعاصِرين، فَضلاً عن هذا؛ التعليقات التي أضافها للكاتب الآباء الأساقفة مُقَدِّمو هذا الكتاب..

ويجدُر بالكاتب التنويه إلى الملاحظة المُلحَقة بالعنوان الرئيسي بغُلاف هذا الكتاب، وهى: "خاص بِالسَّائرين على دَرب الرهبنة"، وهذا لأنه ليس موجَّهاً لغير الرهبان. وأمَّا هنا فيُضيف للقارئ الراهب ملاحظة أخرى، وهى: "خاص بالرهبان ناشِدِي الرهبنة الحقيقية". وإلَّا؛ فَسَوف لا يَعدو أن يكون مجرد ثقافة رهبانية. خُذ مِنه قَدر ما ترغب وما لا تشعُر فيه الآن أنه يُفيدك فقد يُفيدك فيما بعد.. فإن كنت أنت من هؤلاء الجادِّين فاعلَم أنك لن تجد في الواقع أولئك المُثُل الذين قرأت عنهم، إلَّا في نماذج فردية قليلة. فتَبَصَّر أنت وابحث من أين وبِأي تدبير تُخلِّص نفسك وتَصِل إلى مَرامَك.. هذا وإن لم يَقُد روحُ الله الراهبَ، وتَسُوسُه النعمة، ويختبر بنفسه ما تَعَلَّمه عن أُصول الحياة الرهبانية الفاخِرة؛ فَستبقَى مَفاهيم هذه الكتابات وغيرها قَيد المعارف النظرية..

هل أنا حقاً راهبٌ؟

راهبٌ أنا، لي في السيرة الرهبانية الآن (عشر) سنوات. اختبرَت نفسي هذه الخلَجات، ويسُرُّني مشاركتك لي فيها، وسأُروي لك ما حدث معي من البداية..

حضرْتُ صلاة الغروب مع إخوتي الرهبان، وبعد فَيضٍ من المشاعر الروحية عُدت إلى قلايتي.. قُمت بإعداد طعامي، وقبل أن أهُم بالأكل ألقَيت لِلحظةٍ نظرةً ماسِحةً على محتويات المائدة، فَراوَدَتني تلك الأفكار..

هل كان آباؤنا القُدامَى في الرهبنة يأكلون مثل ما آكل أنا الآن، وهل يسلكون مثل ما أسلك أنا الآن؟ هل جهادي مُماثِلٌ أو حتى مُتمثِّلٌ بجهادهم؟ فكان الراهب الذي يسهر الليل بطولِه في الصلاة أو تلاوة الأسفار.. وهناك الراهب الذي يصوم حتى وقت الغروب، وعندما يأكل كان يتناول فقط ما يسُد الرَمَق، ونوع طعامه لا يبعث على الشهوة ولا على الشَّهِيَّة، وحتى إذا ما وجد في طعامه شيئاً من اللَّذة فإنه يُطَبِّق عليه طريقة "اِفسِده قليلاً"، لدرجة أنهم كانوا يُسَمُّون مجرد مَزيج الخل بالماء "مَرَقاً"!.. وهذا الراهب الذي يقوم بِعمل مِئات الميطانيات بِصفةٍ يومية، دون عَناء.. وذاك الذي من كثرة بُكائه حفَرَ سَيل دموعه أُخدُودَين على وَجنَتَيه، وغيره مَن حَفَظ أسفاراً بِأكملها عن ظهر قلب.. وذلك الذي أخذ منه الدهَش كل مأخذ!

فقُلت لنفسي: **"هل أنا حقاً راهب؟!"**.. وكأني كنت في غيبوبة طوال هذه العَشر السنوات وأفَقت الآن، شاعِراً بأنني فقدت زمناً من العُمر بلا طائل، والأسوَأ أنني كنت قانِعاً بحالي مُقتنعاً بجهادي.. هَرَعت إلى أبي الروحي، الذي ـ كما عهِدتُه ـ فتح لي بابَه ولم يرُدَّني بالرُّغم من تأخر الوقت بالنسبة له، فهو ينام مبكراً لكي يستيقظ مبكراً جداً. ولمَّا قرأ في عينَيَّ تعبيرات الأسَى، وبموهبته الأبَوية وبِقَسَمات وجهه الباشَّة والروحانية، قد التقطها مِنّي كما يلتقط طبيب عيون القَذَى من العَين.. أفصحت له عمَّا بداخلي، وأخيراً سألته: "هل أنا حقاً سائر على طريق الرهبنة، أم أنني قد خرجت من العالم عَبَثاً؟!".

هدَّأ أبي من رَوعي، وأخذ يُذَكِّرني ببعض مبادئ الطريق الأساسية، فقال لي:

إن الوقت ليس متأخراً جداً للرجوع إلى الهدف الأوحَد، وحرارة المحبة الإلهية الأولى، مع ضرورة اِقتران كل جهاد بالإفراز والاعتِدال، والتأكُّد من نقاوة الدافع من وراء كل سلوك.. وأمَّا عن جهادات القديسين العالية هذه فلم يقتنوها بين ليلةٍ ونهار، بل بعد جهاداتٍ مُستَميتة، وبِسياسة التَدَرُّج الطويل، وكشْفهم أفكارهم للطبيب المرشد، جيِّدها مثل رَديئها.. مع الوَضع في الاعتبار أن الممارسات النُّسكية ليست هدفاً في حَد ذاتها، إنما هى تَدَابير لِتَروِيض الجسد وكَبح جَماحه كُلَّما يَجمَح..

شكرت أبي الحكيم على سِعَة محبته وإرشاده لي. خرجت من عنده وطول الطريق وأنا أجتَرُّ في كلماته، التي في مجموعها كانت تمثل (روشتة) علاج، وإلى حدٍ ما، قد تَجَدَّد فيَّ الرجاء في البَدء في إعادة صياغة منهجي الرهباني، وتقنين تَوَجُّهاتي وتَحَرُّكاتي.

رجعت إلى القلاية، جلست، ورُحت أفكر.. قُلت في نفسي: ما الفرق الجوهري الذي يُمَيِّز حياتي الآن عنها قبل رهبنتي؟ ما الثمر المتضاعف الذي حقَّقته عَمَّا لو لم أكُن هنا؟!

لقد أعفاني الرب من كافة الاِلتزامات الاِجتماعية بكل أنواعها حتى أرتَقي المصاعِد الروحية، ووفَّر لي الفرصة التي لا تُوهَب إلَّا للذين أُعِد لهم، لأن كثيرين أرادوا ولم يُعطَ لهم: فقد أعتقني من مُكابَدة السَّعي للحصول على القُوت، ومن مَشاق المُزاحمة بين الناس للحصول على وضعٍ محترم ومأمون، كما عَتَقني من نِير الاِرتباط بِامرأة، وهذا ليس بِالأمر الصغير، وأيضاً من قيود القوانين والأعراف البشرية الوَضعية، الواجب على كل إنسانٍ عائشٍ وسط مجتمع مختلط المذاهب والأجناس والأحزاب أن يتقيَّد بها، كمشورة الرب "أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ"..

ما الإضافة التي جَنَيتُها من مَجيئي إلى هنا؟ ما الكَسب الذي أحرَزتُه من بعد ما "خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ وَأُوجَدَ فِيهِ" (في٣: ٨، ٩)؟! فَصَومٌ يَمضي وصَومٌ يَجِئ وعِيدٌ يَمضي وعِيدٌ يَجِئ، صَيفٌ من بعد شِتاء وشِتاءٌ من بعد صَيف، وقد بدأ الشَّيبُ

يَغزو لِحيَتي وأنا كما أنا. وهل أنا أتَيتُ إلى هنا لأنه لم يكُن في العالم طعام، أو ثِياب، أو بيت، أو أهل..؟ فلماذا إذاً أُحاول تأمين كل هذا مجدَّداً، وأجتهِد في تَعظيم مَعيشتي (١يو٢: ١٦)؟!! إن كنتُ قد وضعتُ يَدي على المِحراث كَي أحيا راهِباً؛ فلماذا أعود أنظُر إلى الوَراء فأسلُك بعد كَعِلماني؟!.. الآن فقط اِختبرْتُ قَول مار أفرام: [لِأي شيء رفضتَ العالم إن كنت تطلب نِياحَ العالم! لِلضِّيق دعاك الله الكلمة فكيف تطلب نِياحاً! لِلعُري دعاك فكيف تتزيَّن بِالرِّداء!].

وما الذي يُمَيِّزني عن أولاد الله الذين يعيشون وسط العالم؟ وعَلامَ يدعونني: "أبونا"، ويَنحَنون كَي يَلثِموا يَدي لنوال (البركة)؟ أَلِأني أزهَد الدنيا وأتنسَّك في مَلَذَّاتها؟ فإنني لا أفرِق عنهم كثيراً، ولا أُعَدُّ أكثر من مسيحي مُلتزم بِالأصوام والطقوس الكَنَسِيَّة. أَلِأن يدَيَّ، في صلاتي، تفتحان أبواب السماء فتُخلِّصان الكنيسة من ضرباتها؟ أَلِأني قد أتقَنت الهذيذ والتأمل، وارتَقَت صلواتي إلى الدَّهَش والتِّيؤريَّا، وبلغَت قامَتي الاتحاد بالله؟! يَبدو أنني قد نَسيتُ ما أتَيتُ لِأجله! ولَسوف أُحاسَب على كل هذه الامتيازات والوزنات التي طَمَرتُها ولم أُثمِر وأربَح بها!

قال لي أحدهم: إن الرب لا ينسى تركَك للعالم وذهابك للدير، كما هو مكتوب: "قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ، مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ، ذِهَابَكِ وَرَائِي فِي **الْبَرِّيَّةِ** فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ" (إر٢: ٢).. لكنني قُلتُ في نفسي: إن سُكنَى **البرية** بدون جهاد وانضِباط وثمر روحي لا يُخلِّص، فقد قِيل عن أحدهم أنه كان "إِنْسَانَ **الْبَرِّيَّةِ**" (تك٢٥: ٢٧)، ومع هذا فلَم يكُن مُرضِياً لله، والشعب الذي كان مختاراً "أَكَلُوا الْمَنَّ فِي **الْبَرِّيَّةِ** وَمَاتُوا" (يو٦: ٤٩).. وكيف يفرح رجل، مثلاً، بامرأته التي منذ زمن قد تركت مَن لها وما لها وذهبت معه؛ لكنها عادت بقلبها من ورائه لتطلب أمورها القديمة؟! وأين الباب الضَّيِّق والطريق الكَرب الذي أُكابِده؟ وأين أنا من مُصارعة أجناد الشر وغلَبَتهم؟

الدير ليس هو إحدى المدن الهادئة التي يأوي إليها مَن يبتغي الراحة من ضجيج المدينة، وبعدما يَحصُل على مسكن فيها يبتدئ في تجهيزه؛ من حيث الأثاث والفُرُش والأجهزة الكهربائية، وكأنها شَقَّة لا قلَّاية. إن كانت ثقافتي عن المَسكن هنا هكذا فإنه يَنقُصه شيءٌ واحدٌ: ((الزوجة))!! فإنني في الواقع آكل السَّمين وألبس الصوف وأبِيتُ في المسكن المُجَهَّز، وكثيرٌ مِمَّا اشتَهَته عَينايَ

"لَمْ أُمْسِكْهُ عَنْهُمَا"، وكأن فترة (الاختبار) هى الثمن الذي يَبذُله الأخ خاضِعاً مُطيعاً حتى يَنعَم بعد السيامة بحياةٍ مجتمعِية مُعتبَرَة.. لكن الرهبنة التي أعرفها، أو بالحَرِي قرأت عنها، هى حياة جهاد مستمر بِبَذلِي لِذاتي وجسدي، "لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضاً فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ".

قلت في نفسي: لا، لن أقبل هذا الوضع، أنا لم أترك الكل ولم آتِ إلى هنا عَبَثاً. إن لم أتدبَّر الأمر فسَتكون خسارتي عظيمة، إن لم أُعَوِّض ما قد فاتَني فسَأكون "أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ"، مثل ذلك الرجل الجاهل الذي بَنَى بيته على الرمل.. يجب أن أبدأ الحياة التي جِئتُ لِأجلها من جديد.

وهكذا قضيت تلك الليلة أُعاني مُقاضاة أفكاري لنفسي.. اِستَلقَيت إلى المَقعد ورفعت عينيَّ إلى فوق ناظِراً إلى لا شيء.. ومنذ ذلك الوقت وأنا لا أعلم كَم من الوقت قد مرَّ عليَّ.. سمعت أنغاماً عَذبَة! أَلَعَلَّه حدث لي اِختطافٌ لأرى رؤية، هل السماء تُعَزِّيني وسط هذه المشاعر؟ هل اِنتقلت من الجسد إلى الفردوس؟! لكن لا، لم يكُن شيءٌ من هذا، إنه كان جرس التسبحة..

أخي الراهب.. إن بَدَت هذه المشاعر مثالية؛ فَحَسَناً أن نرجع إلى سُبُل الرهبنة القديمة:

"هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا **وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ**" (إر٦: ١٦)،

"**اُذْكُرْ أَيَّامَ القِدَمِ** وَتَأَمَّلُوا سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ" (تث٣٢: ٧).

فإن لم تَكُن رهبنة آبائِنا في استِطاعِنا فَلْنُجاهِد قَدْرَ استِطاعِنا.

ويُشجِّعنا أحد شيوخ (البُستان) بِقَوله لنا: [اِجلس في قلايتك واعمَل بِقَدر اِستِطاعتك بِلا سَجَس، فإنه يُرضيني هذا القَدْر اليَسير الذي تعمل الآن مثل تلك الأمور الكِبار التي كان أنطونيوس يعملها في البرية، ولِي إيمان أن كل راهب يجلس في قلايته من أجل الله مُفتِّشاً أفكاره تارِكاً التفتيش عن عيوب الآخَرين؛ **فإن ذلك يُؤهِّله لأن يكون موضع أنبا أنطونيوس**].

وأيضاً أبَّا مقار: [الباب ضَيِّق والطريق كَربة، ولكن **المدينة مملوءة فَرَحاً وسروراً!**].

إن هذا الكتاب ليس دَعوةً لِتقليد سُلوك آبائنا الأبطال بِلا إفراز؛ ولكنه دَعوة لِاستِعادة روح رهبنتنا الأولى، وإحياء جُذوَتها المُتبقِّيَة الحالية..

✝ يتحقَّق في الرهبنة قَول الرب:

"هَئَنَذَا صَانِعٌ أَمْراً جَدِيداً. الآنَ يَنْبُتُ. أَلاَ تَعْرِفُونَهُ؟ **أَجْعَلُ فِي الْبَرِّيَّةِ طَرِيقاً فِي الْقَفْرِ أَنْهَاراً**... لأَنِّي **جَعَلْتُ فِي الْبَرِّيَّةِ مَاءً، أَنْهَاراً فِي الْقَفْرِ** لأَسْقِيَ شَعْبِي مُخْتَارِي. **هَذَا الشَّعْبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِي**" إش٤٣: ١٩ـ ٢٢

✝ الرهبنة: دعوة إلهية خاصة + اِختيار فَردي حُر.

الدعوة تتضمَّن القدرة المطلوبة لتنفيذها، والتَرَهُّب تنفيذٌ طائِعٌ ومباشرٌ للأقوال الإلهية:

"...**اِذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ** إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ" تك١٢: ١

"...**أُهْرُبْ لِحَيَاتِكَ**. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. **اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلَّا تَهْلِكَ**" تك١٩: ١٧

"اِسمعي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ **وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ**، فَيَشْتَهِيَ الْمَلِكُ حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ سَيِّدُكِ فَاسْجُدِي لَهُ" مز٤٥: ١٠، ١١

✝ اِسم "راهب" مُشتَق من الآية: "قَدِّسُوا **رَبَّ الْجُنُودِ** فَهُوَ خَوْفُكُمْ وَهُوَ **رَهْبَتُكُمْ**" إش٨: ١٣،

ومن قَول الرب: "هَا أَنَا قَاطِعٌ عَهْدًا... إِنَّ الَّذِي أَنَا فَاعِلُهُ مَعَكَ **رَهِيبٌ**" (خر٣٤: ١٠).

✝ كما أن المعمودية للإنسان هى ميلادٌ ثانٍ حقيقي له، والتوبة هى كمثل معمودية ثانية له؛

فإن الرهبنة بالنسبة للراهب هى كمثل ميلاد (ثالث) ومعمودية (ثالثة).

عرفنا من الأدب الرهباني، من سيرة أبا أنطونيوس أب الرهبان؛ أن الإنسان عند رهبنته تُغفَر له جميع خطاياه السابقة. وبهذا فإن المعمودية والتوبة والرهبنة يشتركون في هذه جميعاً:

جَحد العالم ـ مُخاصَمة مملكة الظلمة ـ إماتة الإنسان العتيق ـ الالتصاق بالله ـ السلوك بالروح.

✝ البتولية ـ التسبيح ـ التكريس الكلي ـ الجهاد العالي ـ شركة الرب في آلامه؛ هى أكاليل ثمينة مجموعة في الإكليل الكبير الذي هو الرهبنة.. فالرهبنة فرصة ممتازة لاقتناء كل هذا في آنٍ واحدٍ.

✝ الرهبنة هى سِراج الحق والحب المُتبقي في الأرض، مَوضِع راحة المسيح وَسط البشرية (مز٨٧: ٢)، قَلب الكنيسة، ألوِيَة جيش الكنيسة وحُرَّاس أسوارها، وُسَطاء العالم أمام الله عن الخَليقة كلها.. وكَتيبة الرهبان هُم: الثلاثمائة المُنتقون مُنتَخَبي الرب من بين أُلوف شَعبه (قض٧: ٤ـ ٨)، السَّبعة الآلاف رُكبة التي أبقاها الرب لنفسه (١مل١٩: ١٨)، "الْمِئَةُ وَالأَرْبَعَةُ وَالأَرْبَعُونَ أَلْفاً الَّذِينَ اشْتُرُوا مِنَ الأَرْضِ. هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ. هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَتْبَعُونَ الْخَرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ. هَؤُلاَءِ اشْتُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً لِلَّهِ وَلِلْخَرُوفِ. وَفِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يُوجَدْ غِشٌّ، لأَنَّهُمْ بِلاَ عَيْبٍ قُدَّامَ عَرْشِ اللهِ" (رؤ١٤: ٣ـ ٦).

✝ الرهبنة تكميل الفضائل، والوَحدة تكميل الرهبنة.. يشتهر تمثيل الدعوة الرهبانية في دعوة السيد المسيح للشاب الغني لِتَبعِيَّته. فذاك كان حافظاً للوصايا، لكن السيد المسيح عرَّفه بأن مجرد حِفظ الوصايا هو مستوى المُتوسِّطين، وأنه يبقَى أمامه مستوى الكمال، الاختياري، في محبته لله وتكميله للفضائل، وهو تَرك الكل من أجله وتَبعِيَّته هو، بِقَوله له: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً... **تَعَالَ اتْبَعْنِي**" مت١٩: ٢١.. كذلك في قَول السيد: "فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ **لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ؛ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً**" لو١٤: ٣٣. وقَول الرب: "يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ" ورد في ترجمة (NIV) هكذا: "give up everything"، أي "يُقلِع عن كل شيء" لا النقود فقط.

فكثيرون مَن كانوا قد آمَنوا بالمسيح الرب، ولكن قليلون منهم هُم الذين أقلَعوا عن كل شيء فتبِعوه وكانوا له تلاميذ. إن تَبعِيَّة إنسانٍ للرب، هى تقديسُه لِقلبه وكِيانه وحياته بالكلية له، التقديس الذي يتمثَّل أكمَل صوَره في سِيرة الرهبنة.

✝ الرهبنة (course) في إعادة تأهيل النفس التي تريد والتي تخضع لِبرنامجها، كَي تَسترِد وَضعها الأصلي قبل إصابتها بِجرثومة الخطية، ولا يجب بالضرورة أن تفهم ما يَعرِض لها في حينه (يو١٣:

٧)، فمِن غير المُفترَض في المريض أنه يتحقق من التفاعلات الكيميائية التي يُحدِثها الدواء بِجسمه.. الرهبنة تَوَجُّهٌ روحي ووجداني قبل أن تكون منهجاً وتدبيراً.. الرهبنة السليمة هى الترجمة العملية لِتَوَجُّه قلب الراهب.. الرهبنة مبادرة حب ومغامرة حب، باجتياز الطريق الشاق شَوقاً للحبيب.. الرهبنة مظهر ممتاز ومتميز جداً للحب الإلهي (وإن كان الحب الإلهي ليس حِكراً على الرهبنة).

✝ الفلسفة (أي: محبة الحكمة) الحقيقية هى المسيحية، والمسيحية الكاملة هى الرهبنة (مت١٩: ٢١)، لِذا فالفيلسوف الحقيقي هو الراهب.. لقد فاقَت حكمةُ الانفصال عن العالم حكمةَ سليمان!

الراهب هو ذلك الإنسان الذي كُشِفَ له مُبَكِّراً قِناع الدُّنيا المُتجمِّلة، حتى بادَرَ بِالهروب من وجهها الحقيقي الدَّميم.. وإن كانت حقيقةُ هذا العالم باطلَةً؛ فكم يكون باطلُهُ؟! وإن كان الذين هُم لله لَيسُوا من العالم (يو١٥: ١٩؛ يو١٧: ١٤، ١٦)؛ لهذا فَخَير ما فيه تَرك ما فيه مُبَكِّراً.. الراهب هو شهيدٌ دون سَفك دم، مالِكٌ دون وثائِق، حاكِمٌ دون سُلطة، غالِبُ **العالم** دون معركة!

✝ لو عرف المسيحيون كرامة الرهبنة؛ لَامتلأت البراري رُهباناً!

✝ الإنسان الذي يشتاق إلى الله بحياة الرهبنة، يترقب الفرصة للانطلاق، ويَلِجُّ في صلاته من أجل هذا، ولِسان حاله يقول له: "**هُنَالِكَ أُعْطِيكَ حُبِّي**" (نش٧: ١٢).

فالرهبنة واعِز باطِني وإحدى النزوع الوجدانية العميقة في قلب الإنسان للحياة مع الله، نزعةٌ لا تقِل قوة عن نزعة الغريزة الجسدية بل، وعند البعض تتفاضل عليها، حتى إنه إذا تَوفَّرت لهم فُرَص زواج مُعتبَرة وأسباب العَيش المُريح؛ فإنهم يُفضلون الرهبنة، ولِسان حاله يقول: أتعاب الرهبنة الشافية ولا مَسَرَّات العالم الزائلة، الجلوس على الأرض في الدير ولا السُّكنَى في رفاهية العالم.. فَمدلول اِسم الفاعِل "راهب" هو: خائِفٌ الله ـ زاهِدٌ الدُّنيا ـ منفردٌ للعبادة.

ويستمر هذا الحنين في وجدان الراهب طِيلة حياته، حتى أنه إذا سُئِل: هل أنت مُمتَن بِرَهبنتك؟ ألم تندم يوماً؟ فإنه يُجيب: أنا نادمٌ على الفترة التي قضيتها في (الدُّنيا) قبل الرهبنة، إنني وُلِدت لأكون راهباً، وأخشَى أن تكون الرهبنة حُلماً حُلواً لي أعود لِأَفيق منه.. إنني في الفردوس!

✝ هؤلاء المُتسَربِلون بِالقُلُنسُوَة والثياب (السُّود): مَن هُم ومِن أين أتَوا؟ هؤلاء هُم الذين هجروا مدينة الهلاك وعبروا بحر العالم الهَيَّاج، هؤلاء هُم الذين يُعانون الطريق الكَرب، ولأنهم للمسيح؛ فهُم "**قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ**" (غل٥: ٢٤)، ومن أجل هذا هُم يحيون فيما لله ويخدمونه نهاراً وليلاً، لأنهم عرفوا أن "...**غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ**، وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ" ١كو٧: ٣٢، ٣٣

✝ الذين لا يقدرون أن يحيوا مع الله وسط العالم؛ فالرهبنة طريق خلاص ممتاز لهم،

والذين يبتغون حياة الكمال الإنجيلي؛ فالرهبنة طريق خلاص ممتاز لهم،

والذين امتلأت قلوبهم بالمحبة الإلهية لدرجة العِشق؛ فالرهبنة طريق خلاص ممتاز لهم.

✝ رأينا أناساً أرادوا أن يَتَرَهَّبوا، فالتقطتهم الرهبنة خلال مدة وجيزة،

ورأينا آخَرين أرادوا أن يترهبوا، فصبروا السنوات في إشتياق، ثم أُعطِى لهم،

وآخَرين تقابلوا مع الرهبنة صُدفةً، فلِوَقتهم ساروا مع السائرين فيها.

✝ كما أنه لا يجب أن يُحزَن كثيراً على الميت لِانتقاله من هذه الدُّنيا بل على الحي وهو ميت؛ هكذا لا يجب أن يُحزَن كثيراً على الخارج للرهبنة لِابتعاده عن الدُّنيا بل على العائش في مَلَذَّاتها.

✝ بِقَول السيد المسيح: "دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ"؛ تكون تَبعِية المسيح هى "طَرِيقُ الْحَيَاةِ".

الرهبنة **الفعلية** هى طَوق النجاة وميناء الخلاص من بحر هذا العالم المضطرب، هى الطريق البَرِّي السريع نحو مدينة الملك العظيم، هى الأرض الجيدة التي تصنع ثمراً بعضٌ مِئةً وآخَر سِتّين وآخَر ثلاثين، أرض الموعد الفائضة لبناً وعسلاً، قِسط المَن المُخفَى، جنة عدن، جنة مُغلَقة وعين مُقفَلة وينبوع مختوم، الفردوس العقلي، المُتاجَرة الرابِحة.. الراهب هو ذلك الرجل العاقل الذي بنى بيته على الصخر، وهو ذلك الذي وجد كنز المسيح في حقل الرهبنة فباع كل ماله واشترى ذلك الحقل، وهو ذلك الذي باع كل لآلِئه التافِهة، واشترى لؤلؤة المسيح الواحدة الكثيرة الثمن.

✝ الأرض الجيدة التي يجب أن يُزرَع فيها طالِب الله هى البرية القفر. أمَّا الدير القائم وسط مجتمع العالم المُتمدِن فلا يحصُد أثماراً كأثمار البرية (إلَّا لو أغلق أبوابه، إن أراد، وإن إستطاع).

قال القديس مقاريوس لِبعض الرهبان الطَّوَّافين:

[قولوا لي يا إخوتي ويا آبائي؛ **في أيّ موضعٍ إقتنَى آباؤنا الفضائل، أفي العالم أم في البَراري؟** إذاً كيف نقتني الفضائل ونحن في العالم؟!].

✝ أيها المَوضع الأخير، هَنيئاً بك لمَن عرف قَدر أفضَلِيَّتك..

أيا جَرَس التسبحة، ما أعذبَ صوتَك لمَن له الأذن الروحية..

أيا مائدةَ الأغابي، ما أوفَرَ دَسَمَ أغذِيَتِكِ وما أحلَى عصائِرِكِ المحبِيَّة الخَفِيَّة..

ما أجملك يا راهب لَدَى السمائيين بِثِيابك المُعَفَّرة بِعَرَق الجهادَين: الجهاد الروحي، وعمل اليَدَين.

✝ ليس الراهب هو مَن هجر الناس بالجسد؛ ولكنه مَن تَغَرَّب عن كل أحد..

وليس الراهب هو مَن خَلَعَ عنه أثواب الدُّنيا؛ ولكنه مَن خَلَعَ عنه أهواءَه..

وليس الراهب هو مَن يَختار لِنَفسه بِحريته وَحدَه الموضع الأخير؛ ولكنه مَن يُعطَى له من آخَرين، وعندما يُستَبعَد يشعُر، من قلبه، أن هذا هو ما يستحقه..

وليس الراهب هو مَن إستبدل حياةً بحياة؛ ولكنه مَن إستبدل موتاً بموت (٢كو٤: ١٠ـ ١٣)!..

✝ لَيسَت الرهبنة منهجاً غير إنجيلي، ولم تكُن مَهرَباً من الاستشهاد ـ كَزَعمِ واعِظٍ بروتستانتي بارِز حالِياً ـ لكن؛ وبِشَهادة الإنجيل: "طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلَّيْنَ، وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. **تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ**" عب١١: ٣٧، ٣٨، فَلَم يكُن الإنجيل المقدس يقصد بهذا الكلام رهبان وسُوَّاح العهد الجديد أولاً، بل يَصِف واقِعاً سابِقاً. بل أن جذور الرهبنة والبتولية تمتد قِدَماً إلى اليهودية، فقد كان أُناسٌ يَفترِزون بِقلبٍ راغِبٍ، ساكنين الجبال أو الخِيام، مُتعبِّدين حُبَّاً في الرب "يَهْوَهْ"، بدليل وجود الركابيين أيام إرميا النبي، الذين عمِلوا بِوَصية أبيهم، القائل لهم: "لاَ تَشْرَبُوا خَمْرًا أَنْتُمْ وَلاَ بَنُوكُمْ إِلَى الأَبَدِ. وَلاَ تَبْنُوا

بَيْتًا، وَلاَ تَزْرَعُوا زَرْعًا، وَلاَ تَغْرِسُوا كَرْمًا، وَلاَ تَكُنْ لَكُمْ، بَلِ **اسْكُنُوا فِي الْخِيَامِ** كُلَّ أَيَّامِكُمْ"، فقالوا لإرميا النبي: "**فَسَكَنَّا فِي الْخِيَامِ**، وَسَمِعْنَا وَعَمِلْنَا حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَانَا بِهِ يُونَادَابُ أَبُونَا" (إر٣٥: ٦ـ ١١)، فبارَكهم الرب: "لِذلِكَ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: لاَ يَنْقَطِعُ لِيُونَادَابَ بْنِ رَكَابَ إِنْسَانٌ يَقِفُ أَمَامِي كُلَّ الأَيَّامِ" إر٣٥: ١٩.. وكان البعض من رِجال الله بتَوليين، كالأنبياء: إيليا واليشَع وإرميا ودانيال، وغَيرهم مِمَّن لم يَذكرهم الكتاب.. وهناك منهج بَني الأنبياء (٢مل٢: ٣، ٥، ١٥؛ ٢مل٤: ١، ٣٨؛ ٢مل٦: ١).. ثم القديس يوحنا المعمدان.. أليَست هذه أنماطاً من الرهبنة؟! لَعَل هذا هو ما قد قصَدَه الرب بِقَوله عن اِنتِذارِهم وتَعَبُّدهم له: "**هُتَافُ الْجِبَالِ**" (حز٧: ٧).

والرهبنة منهجٌ إنجيلي عُرِف من قبل دقلديانوس وبداية عصر الاستشهاد، بل حتى من قبل زمن أبا أنطونيوس أبي الرهبان، لأنه هو نفسه تَرَهَّب على النُّسَّاك الذين كانوا، من قَبله، يَعتَزِلون إلى أَطراف المدن، وإن لم يكُن لهم شكل الرهبنة الحالي ولا زِيٌّ محدد، فكان يَستقي من كلٍ منهم أصول الرهبنة ـ كما قال هو ـ كما تجمع النحلة رَحيقَها من كل زهرة.

هؤلاء التائهين في الجبال المُقفِرة في جوعٍ وعطش وفي بَرد وصَقيع

مُعوَزين مُتضايقين مُتألمين كقَول بولس الرسول

لكن إسمك القدوس ياربي يسوع صار لهم ناصِراً في جميع ضِيقاتهم

إسمك القدوس ياربي يسوع هو يُنجيهم من جميع شدائدهم

هو يكون لهم طعام حياة تقتات به نفوسهم وأجسادهم معاً

هو يكون لهم ينبوع ماء حياة حُلواً في حناجِرهم أكثر من العسل

(من إبصالية يوم الثلاثاء)

طالب الله (طالب الرهبنة) والخروج من العالم:

✝ قد يُعلن أحد عن رغبته في التَرَهُّب، فيتطوع أحدهم مُشفِقاً ومُحَذِّراً: لا تفعل! الرهبنة طريق صعب، الطريق الوُسطَى خلَّصت الكثيرين (ذلك يقصِد بِالطريق الوُسطَى؛ العَيش في العالم مع الاجتهاد في إرضاء الله). لكني أقول لك أن طريق الرهبنة خلَّصت الأكثرين. يمكنك التحقق من هذا بأن تقارن بين عدد الذين خلَصوا وهم في العالم بالنسبة لمجموع سكان العالم؛ وبين عدد الذين خلَصوا وهم في الرهبنة بالنسبة لمجموع عدد الرهبان.. أتُريد أن تعرف الطريق الوُسطَى؟ لمَّا كانت الطريق الأدنَى هى التَزَوُّج، والطريق العُليا هى العودة كليةً في ما لله، أي الرهبنة التَوَحُّدِية؛ لِذا فالطريق الوُسطَى التي تُخلِّص الكثيرين هى الرهبنة المَجمَعِيَّة.. اِسأل عن السُّبُل التي سَلكَها القديسون وكانت سبباً في تقديسهم وتكليلهم، القديسون الذين من جميع الكنائس، ومن أي عصر، ومن أي بُقعة، تجد أنه كان غالباً سَبيل الرهبنة.. فإذا قالوا لك بإشفاقٍ: "كيف أنت عائِش هنا؟!"، قُل لهم أنت أيضاً بإشفاقٍ: "بل كيف أنتم عائِشون هناك؟!"، و: "ماذا أنتم فاعلون هناك؟!".. "لاَ تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلاَدِكُنَّ".

✝ غالبية المُهاجرين من العالم للرهبنة لا يتضرَّرون من إعلان اسم الدَّير الذَّاهبين إليه، لكن البعض يحتاجون أن يُخفُوه كمثل مَن هُم هارِبين من آخِذي الثأر! فهُم يَعلمون أن أناساً سوف يُسبِّبون لهم متاعِب قد تؤدي إلى رَدِّهم. فهل ليس أمامك إلَّا هذا؟ اِختَر ما يوافق ظروفك.

✝ اِحفظ يوم خروجك من العالم، وليَكُن عندك مُكَرَّماً مثل يوم تَكريسك وأكثر. أُذكر أن الرب أمر بني إسرائيل بِحِفظ يوم خروجهم من أرض مصر لا بِحِفظ يوم دخولهم أرض الموعد: "وَيَكُونُ لَكُمْ **هَذَا الْيَوْمُ تَذْكَاراً فَتُعَيِّدُونَهُ عِيداً لِلرَّبِّ**. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعَيِّدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً... لأَنِّي فِي هَذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ أَخْرَجْتُ أَجْنَادَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ... **هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ** لإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. **هَذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ**..." خر١٢: ١٤ـ ١٨، ٤٢، "..**لِتَذْكُرَ يَوْمَ خُرُوجِكَ** مِنْ أَرْضِ مِصْرَ كُل أَيَّامِ حَيَاتِكَ" تث١٦: ٣. والكنيسة هى أيضاً في تَسبِحَتها بالهُوس الأول والهُوس الثاني، يومياً؛

تتغنَّى بخروجها القديم.. لأنه لكي يخرج طالب الله من مجال العالم؛ فلا تَكفيه قوة إرادته وحدها، بل يحتاج بالأكثر أن تَرفَعه النعمة، كاحتياج الصاروخ عند بدء إطلاقِه إلى قوة دَفع فائِقة حتى يُكمِل خروجه من مجال جاذِبية الأرض. [مَرةً أتَى أحد الشيوخ إلى الأب مقاريوس وقال له: إن فلان الأخ رجع إلى العالم. فقال له الشيخ: لماذا عجِبتَ من هذا؟ لا تَعجَب، **لكن إعجَب بالأحرَى إن كان هناك إنسانٌ هرب من العالم!**].

✝ قال أحدهم مُفتخِراً: "أنا لَقِّيت العالم"، فقُلت في نفسي مُفتخِراً أيضاً: "وانا سِبت العالم!".

✝ سُمِّيَت فترة ما قبل صلاة التكريس الرهباني بفترة "الاختبار"، لا لِاختبار الآباء لِطالب الرهبنة (الأخ) فقط، بل أيضاً لاختبار الطالب لنفسه، حتى إنه يمكن أن تُسَمَّى هذه الفترة بفترة "اِختبار" من جهة الآباء، وبفترة "اِختيار" من جهة الطالب.. لأنه ليست قراءة كتاب "بُستان الرهبان" والإعجاب بما فيه والتطلُّع لتنفيذه هو كل شيء. فالقراءة والمعرفة بالطريق هو أمرٌ والاختبار والتنفيذ هو أمرٌ آخر.. وتتضمَّن فترة الاختبار أمرَين رئيسيَّين:

الأول: إتِّخاذ قرار الرهبنة (قرار القبول المبدئي من جهة الآباء، وقرار الانخراط في السيرة الرهبانية من جهة الطالب). ويَحسُن ألَّا تزيد مُدته عن بعض أشهرٍ قليلة.

والثاني: اِستعداد الأخ للرهبنة. ويستغرق الفترة من إتخاذه القرار وقبوله بالدير إلى يوم التكريس.

✝ عند حلول ساعة اتِّخاذ المتقدم للرهبنة لِقراره الأخير، فإنه يُفاضل المفاضَلة الأخيرة بين الاِلتحاق بالحياة التي طالَما اشتاق إليها، أي الرهبنة، وبين الاِكتفاء بالقدر الحالي من الحياة الطبيعية، التي طالَما اعتاد عليها وكَيَّف نفسه عليها وسط (الدُّنيا)، لفترةٍ امتدت إلى ما بين عِقدَين إلى ثلاث عقود من السنين، ففي هذا التوقيت (أي عند اتِّخاذ لِقراره) ينبغي عليه أن:

١ـ يفحص نفسه؛ هل أنا أسعَى إلى الشكل الرهباني، أم إلى الحياة الرهبانية، أم إلى المسيح؟!

٢ـ لا يكون الموجِّه الأكبر له هو العقل، فالمَسلك الرهباني غالباً ما يكون فوق العقلي والمنطقي.

٣ـ إذا أراد طريق الرهبنة؛ يكون رُجُوح كِفَّة ميزان المفاضلة لِصالح الرهبنة بِفارقٍ واضحٍ ومُعتبَر.

✝ صحيحٌ أنه لكي يترهَّب مُريدُ الرهبنة لا يجب أن يَشترِط في نفسه أن يكون خالياً من الأوجاع؛ لكنه عليه أن يَختبر في نفسه كَونَه على الأقَل:

١ـ قطع شَوطاً وافراً في حياة التوبة والجهاد الروحي.

٢ـ لَدَيه قَدْر وافِر من الاستعداد للتنفيذ الطائع لِلَوازِم السيرة الرهبانية.

٣ـ مُحِبَّاً للهدوء (لأن المناخ العام في الحياة في الدير هو الهدوء: هدوء المكان، وهدوء النفس من الداخل)..

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[اِعتِزال العالم هو مَقتٌ طَوعي وجحود للطبيعة لأجل البلوغ إلى ما يَفوق الطبيعة...

إن جميع الذين بادَروا إلى الزُّهد في العالم لابد أنهم زَهَدوا فيه إمَّا في سبيل الملكوت الآتي أو لكثرة خطاياهم أو حُبَّاً لله. **وإن كان اعتِزالهم العالم ناجماً عن سببٍ آخَر فهو اعتِزال أحمق، غير أن إلهنا الصالح واضِع هذا الجهاد ينتظر نهاية سَعيهم ليَحكُم عليه**].

بين الحياة مع الله بالرهبنة؛ والحياة مع الله وَسط العالم:

✝ أولاد الله يتهذَّبون ويتنقون إمَّا في الزواج وتربية الأولاد؛ وإمَّا في الرهبنة.

✝ لمَّا كان سِر الزيجة مقدساً ومباركاً من الله؛ فإن سِر البتولية أكثر غِبطةٍ وتَطويبٍ ومَدحٍ منه.

✝ يَبدو أن الطريق الأوفَق لبلوغ حياة القداسة والكمال المسيحي في هذا الزمان، ليس هو العَيش في الدُّنيا والاِستِثناء هو الرهبنة؛ بل هو الرهبنة والاِستِثناء هو العَيش في الدُّنيا.. ليس أمام "طَالِبِ اللهِ"، بِالحق، خَيارٌ سِوَى أن يهرب من الدُّنيا.. حقيقةً أن الحياة في مخافة الرب ومَرضاته وَسط الدُّنيا صارت الآن أصعب عنها في الرهبنة، وكقَول مار إسحاق:

[إن بين المُنهَمِكين بأمور العالم وبين المُشتغِلين بالثاؤريَّا فرقاً: **فالأولون تبتدِئ أمورُهم حلوة بَهِجة مُفرِحة، وتنتهي مُرَّة كئيبة مُظلِمة. أمَّا الآخَرون فتبتدِئ أمورُهم مَريرة مُحزِنة مُظلِمة إلَّا أنها تنتهي بالفرح والبهجة والسرور**. والذي ذاق الطريقَين يعرف قيمة هذا القَول].

✝ أعتقد أن أُسُس الحياة الروحية لِطالِبي الله في العالم هى: الصلاة ـ الصوم ـ الصدقة (بِأنواعها). وأن أُسُس الحياة الروحية لِطالِبي الله في الرهبنة هي: الصلاة ـ الصوم ـ العُزلَة والانفِراد (بِأنواعه).

✝ قال الرب: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ **مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ**" (مت٥: ٣).. فإن لم يَعِش المسيحيون العائِشون في الدُّنيا الفضائل الروحية التي للرهبنة؛ فلا أعرف كيف يدخلون **ملكوت السموات!**.. وإن لم يَعِش الرهبان حياة الكمال المسيحي الفُضْلَى عن تلك التي يعيشها سائر المسيحيين الذين في الدُّنيا؛ فلَسوف يتحول دَيرُهم إلى مجرد مستعمَرة، المبادئ التي تجمعهم فيها هى فقط: وَحدة الإيمان، الجنس، الزِّي، وطريقة الحياة.

✝ الدير بالنسبة للراهب هو بمثابة مدرسة داخلية (أي التي يُقيم تلاميذُها بها)، يتعلم فيه العلوم الروحية المتنوعة: بعضها لِتَهذُّب النفس مثل تدريبها على اقتناء الفضائل، وبعضها لِرِياض الجسد مثل الصوم والعمل، وبعضها لتثقيف العقل مثل تَغذِيتها بتعاليم آباء الرهبنة..

✝ يُعاد ترتيب الأحداث الزمنية بالنسبة للراهب بمفهومٍ روحي: فيَوم ميلاده هو يوم خروجه من الدُّنيا ووصوله إلى الدير، ويوم عُرسه هو يوم رهبنته، ويوم حصوله على شهادة تَخَرُّجه هو زمن تَكَمُّله في الروح، ويوم هِجرته هو يوم نِياحته..

✝ كما يفرح العائِش في العالم بإنجاب أولاد؛ هكذا يفرح الراهب بِإثمار الروح فيه: أحشاء رأفات ـ نقاوة قلب ـ بساطة عين ـ دموع ـ صلاة دائمة ـ هدوء نفس ـ رؤية روحية...

✝ كَقِصَر نهار الشتاء عنه في الصيف؛ كَذا يرى الراهب أيامه في الرهبنة تمضي أسرَع مما كانت وهو في الدُّنيا. فيَقول القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس: [إن العُمر كيَومٍ واحدٍ بالنسبة لِأولئك الذين يُريدون أن يعملوا بِشَوق]. إنه من أثمَن أُصُول الراهب الجاد هو الوقت، ولو أعطَى للوقت تقديره الصحيح لَألغَى الكثير من اِهتماماته، بل ولَاستقطَع من وقت نَومه طَلَباً للعُلويات.

✝ الحياة في الدير تَعفي المُتبتِّل من دَفع أقارِبه ومَعارِفه له على الزواج. كما تَعفيه من المُراوَدات الماكِرة التي من البعض من الجنس الآخَر (منطقة سَكَنه/ محل عمله/ كنيسته..). كما أيضاً من ضغوط الأرواح الشريرة بإلحاحِها عليه بِفكرة الزواج، تارةً بالإقناع العقلي وتارةً بِاستِثارة عاطفته.. (صادَفتُ أُناساً كانت دعوتهم في الرهبنة، لكنهم لم يحتملوا تلك الضغوط ورَضَخوا لها).

✝ التَكَرُّس للرب بصفةٍ عامة يعطي فُرَصاً أَوفَر للإنسان الروحي الذي يَنشُد التَّرَقّي في الحياة مع الله. فهناك التكريس البتولي وسط العالم، وهناك التكريس الرهباني في الحياة الديرية، لكن هذا الأخير يتميز بِتَهيئة إمكانياتٍ أَوفَر لذاك الذي يَبتغي الاحتِواء كليةً في الله، وهذه الإمكانيات هي:

ـ اِلتحاق أَكمَل بمنهج الحياة المسيحية الإنجيلية الأصيلة.

ـ إنفصال أَوقَع عن الناس، مع تَحَرُّر من الأعراف والتقاليد البشرية المائِتة (مُغرِيات ـ مَخاوف ـ سياسات ـ قيود ـ مَظالم...)، بما فيها تلك التي بَلَغت إلى المجتمع الكَنَسِي.

ـ هروب أَصدَق من المُعثِرات البيئية. فأيُّ مكانٍ عادِم من وجود اِمرأة أكثر من الدير؟

ـ مجتمع أكثر تَضَمُّناً لِخوف الله، ولمحبته.

ـ هدف أوحَد مع رُفقاء الطريق.

ـ سكون أَبلَغ للنفس (خارجي + داخلي)، بتأثير هدوء البرية المباشر عليها.

ـ رؤية أَشمَل للحياة، بالتأمل العقلي وطَلَب الحقيقة.

ـ اِكتشاف أَعمق لِبَواطِن النفس.

ـ أُفُق أَبعَد للاشتياقات الروحية، بِعدم القلق من جهة الماديات والزمنيات.

ـ وقت أطوَل للهذيذ في كلام الله.

ـ قدرة أَعلَى على التأمل الروحي في الله، والامتِثال في حضرته.

ـ نصيب أَفضل في النمو والانطلاق الروحيَّين.

ـ فرصة أَوفَر للزُّهد في الجسديَّات. فمُجرد النظر إلى القَفر يُميت الشهوات الجسدية في النفس.

ـ تأثير أَقوَى للنعمة على الكَيان الإنساني.

ـ مساحة أكبر للامتلاء بالروح القدس.

ـ بيئة أَنسَب لإنتاج ثمار الروح القدس (محبة ـ فرح ـ سلام...).

ـ طريق أَسرَع نحو مُلك الله على القلب.

بالحياة الرهبانية **يخرج** الرهبان من مَحَلَّة أُمَم العالم وهُم في العالم، وفِكر قلوبهم مُترنِّم: "**فَلْنَخْرُجْ** إِذاً إِلَيْهِ **خَارِجَ** الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ" عب١٣: ١٣. مثل هؤلاء يمتدِحهم الإنجيل بِقَوله: "لأَنَّهُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ **خَرَجُوا** وَهُمْ لاَ يَأْخُذُونَ شَيْئاً مِنَ الأُمَمِ" ٣يو: ٧

عمودان أساسيَّان يتوقف عليهما السِّلك الرهباني:

يقول مار إسحاق:

[النفس المُحِبة لله؛ سَعادتها في الله وحده. حُل قلبك من الرِّباطات البَرَّانية أولاً؛ حينئذٍ تقدر أن تَربِطه بِحُب الله. **مَن لم يَفطِم نفسه من حُب الدُّنيا؛ لا يستطيع أن يتذوَّق حلاوة محبة الله**].

يتوقف السِّلك الرهباني وتَوَجُّه الراهب، طِيلة طريقِه من أوَّله لِآخِره، على عَمودَين لازِمَين ومُتلازمَين، مثل عَمودَي النحاس الصَّلبَين العالِيَين "يَاكِينُ وَبُوعَز"، اللذَين كانا يُزَيِّنَين هيكل الرب (١مل٧: ٢١)، وهُما:

١ـ الامتلاء بالحب الإلهي: **"أَمَّا أَنَا فَالاِقْتِرَابُ إِلَى اللهِ حَسَنٌ لِي"** (مز٧٣: ٢٨).

٢ـ التشبُّع بِجَحد الدُّنيا، بِرَفض: نِياح الجسد ـ عزاء الشَّريك ـ مجد الناس.. **"وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئاً فِي الأَرْضِ"** (مز٧٣: ٢٥).

وغياب أحدهما عند أي مرحلة هو الذي يفسِّر أيَّةً أو أكثر من الظواهر التالية، أو غيرها:

١ـ عدم استجابة الله بالدعوة لإنسانٍ راغِب في الرهبنة.

٢ـ تأخُّر ـ أو عدم ـ فِطام راهب عن الاتصال بِأُناس الدُّنيا، أو عن اِستعمال أمور الدُّنيا.

٣ـ عدم تغيُّر مَلامح شخصية ـ أو أخلاق ـ راهب عمَّا كانت عليه قبل رهبنته.

٤ـ تأخُّر ـ أو عدم ـ نضوج ثمار الروح القدس في راهب.

٥ـ راهب يكسِر نَذره ويهجُر الرهبنة، أو يعود فَيَعيش كعلماني في زِي راهب..

لَوازِم الراهب وعُدَّته:

✝ الزِّيُّ الحَسَن للراهب: الصَّمت "هُدُوءُ اللِّسَانِ شَجَرَةُ حَيَاةٍ" (أم١٥: ٤). هناك الصَّمت العَام، بمقدار، يتَّسِم به جميع الرهبان؛ وهناك الصَّمت التَّام، وهذا تَدبيرٌ فَرديٌ نادِرٌ ليس لجميع الرهبان.

✝ أمان الراهب: الطاعة.

✝ حِصن الراهب: الدير.

✝ نعيم الراهب: القلاية.

✝ مصباح الراهب: الوصية.

✝ مقياس الراهب: الإفراز.

✝ سلاح الراهب: اِسم القوة الحُلو الذي لربنا يسوع المسيح.

✝ ثروة الراهب وغِناه: عِفَّته وطهارته.

✝ إكليل الراهب: الاتضاع (قال أنبا أغاثون).

✝ غذاء الراهب وعزاؤه وجهاده وموهبته: الحديث الدائم مع الله.

[ما هو رأس كل أعمال النسك التي إذا ما بَلَغَها إنسان يشعر أنه قد بَلَغَ قِمة الطريق؟ إنه الوصول إلى الصلاة الدائمة! فَحِينما يَصِل إلى هذا الحَد يكون قد لَمَسَ نهاية كل الفضائل وصار مسكناً للروح القدس]ـ مار إسحاق السرياني.

[أتُريد أن تقتني الصلاة الدائمة؟ إجتهد في الصلاة، وحينما يرى الرب غَيرَتك وهِمَّتك وسَعيَك في الصلاة؛ يُعطيك إيَّاها]ـ أبَّا مكاريوس الكبير.

من الأخلاق العَلمانية إلى الأخلاق الرهبانية

المقصود بالأخلاق العَلمانية هنا ليس هو الأخلاق الرديئة، إنما **المقصود بالأخلاق العَلمانية: الأخلاق الإجتماعية المألوفة، الأخلاق غير الروحية أو غير القُدُسِيَّة**. فكما تتفاضَل وتَرتَقي الأخلاق المسيحية عن الأخلاق العامِيَّة؛ هكذا تتفاضَل وتَرتَقي الأخلاق الرهبانية عن الأخلاق العلمانية..

فلا يليق بالراهب: الهَذَر، المُطالَبة، رَفع الصوت، اِستخدام التعبيرات السُّوقِيَّة، اِستعمال العِطر، اِستماع الموسيقَى، الظهور بغَير الزِّي الرهباني... فهذه، وإن لم تكُن شراً؛ إلَّا أنها لَيسَت سلوكاً رهبانياً مِثالياً. لأنه **هل يوجد ميِّتٌ يستمع إلى موسيقى، أو يضع عِطراً، أو ما إلى ذلك؟!**

فالأخلاق العلمانية تصنعها الاستعدادات الإنسانية المُتهذِّبة وكذا الضوابط الاجتماعية، أمَّا الأخلاق الرهبانية فالمصدر الأول لتكوينها وتشكيل النفس بها هو الروح القدس. فالروح القدس هو الذي يُثمر في قلب الراهب ـ إذا كان عَمَّالاً ـ الفضائل الروحية التي لا يستطيع الإنسان الطبيعي أن يقتنيها (١كو٢: ١٤). فالحياة الرهبانية هى المنهج (course) التعليمي والعِلاجي معاً، الذي به يُشَكِّل الروح القدس قلب ونفسية الراهب فَيُحَوِّله إلى إنسان اِتِّضاع، ومحبة، وصلاة.. حتى إنه في مرحلةٍ ما تالِية يبدو الراهب وكأنه أَشْبَه بملاكٍ!.. كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [لِيَكُن سلوكنا في السِّيرة الرهبانية (حتى لا أقول **في السِّيرة الملائكية**) من كل القلب، سواء في الأعمال أو الأقوال أو الأفكار أو الحركات، **وإلَّا فَلَيست هى سِيرة رهبانية**].

لأنه بالتأكيد توجد فَوَارِق بين المسيحي الذي هجر الدُّنيا، هَجْراً مكانياً وهَجْراً كيانياً، وبين المسيحي الذي ما زال عائشاً فيها كيانياً أو حتى مكانياً فقط، فَوَارِق تَنبُت في الداخل أولاً وتنمو نمواً مُطرَداً، حتى تَفيض فتظهر عليه من الخارج. ولأن الروح القدس هو صانع هذا التجديد؛ لذا فالسِّمة الغالبة على كل سلوكيات الراهب هى "الروحانية". ومفعول هذا التجديد يظهر في: الأخلاق الجيدة المُتَرَقِّيَة ـ السلوكيات المُكتسَبة المُهذَّبة ـ رُدود الأفعال التِّلقائية المنضبطة. وبأكثر تفصيلٍ؛ يظهر مفعول هذا التجديد في:

المُظهر الروحي: (الكنيسة ـ المائدة ـ العمل ـ ترتيب الحواس ـ ترتيب الأعضاء ـ المُسالَمة ـ الإيثار (تفضيل الآخَر) ـ عمل المحبة الخَفي ـ المَشي ـ الكلام ـ الصوت ـ الألفاظ ـ الضحك...).

القلاية: (العمل الروحي الخَفي ـ الانفراد ـ الأفكار ـ الجلوس ـ الأكل ـ الرقاد...).

طريقة التعامل: (المقابلة ـ الاستقبال ـ الزيارة ـ الآباء ـ الرؤساء ـ الضيوف ـ المال...).

من جِهة هذا؛ فإن الذين ترهَّبوا هُم ثلاث فِئات (وتتفاوَت درجات كل فِئة على حِدة):

ـ هناك الراهب الذي يَبقَى كما هو. إن كنتَ عرفته قبل رهبنته ثم رأيتَه راهباً؛ تشعر وكأنك أمام نفس الشخص ونفس الشخصية، وكأنه (مُنتَحِل) زِي راهب.

ـ وهناك الراهب الذي تَقَدَّم ونَما ولكنه بعد فترة ـ قصُرَت أم طالت ـ حدثت له (انتِكاسَة)، فَاستيقظ إنسانُه العلماني العتيق وحَيَا، وعاد لأخلاقه العلمانية وعادت إليه أخلاقه.. يوجد (رهبان رهبان) ويوجد (رهبان علمانيون!).

ـ وهناك الراهب الذي يَعدُو ويَعبُر، حتى حَلَّ فيه روح النعمة واستراح، فتظهر عليه الأخلاق الرهبانية الجديدة دون افتِعالٍ منه أو تَكَلُّف. حتى أنك إن كنتَ عرفته قبل رهبنته ثم رأيتَه راهباً؛ تشعر وكأنك تتعامل مع شخصٍ آخر وشخصيةٍ أخرى، فقد تغيَّرت طبيعته وطِباعه إلى الروحانية.

وعُموماً فإن العلمانيين الذين لهم أخلاق العالم ثم يترهَّبون؛ فبالرهبنة، وبجهادٍ كبير، يَخلُصون. أمَّا إن كانوا وهُم وَسط العالم نُقاة القلوب؛ فإنهم بالرهبنة يَخلُصون، وأيضاً يَتَزَكُّون ويَتزايَدون نقاوةً. الراهب غير ممارِسٍ لِطُرُق العالم ولا يعود يتعامل بأسلوب العالم، حتى ولا يتعرَّف على أحداثه. تراه إنساناً بالِغاً لكن بسبب تَنَقِّيه صارت (ثقافة) العالم غير متوافقةٍ مع شخصيته الجديدة. ومع هذا فهو ليس مُغَيَّباً عن آلام وجِراح الكنيسة، ولا عن أنين وتَمَخُّض العالم.. إن هذا ومَن مِثله هُم الذين، بِصلاتهم، يُحَرِّكون اليَد التي تضبِط العالم!

إن الهدف من هذا الموضوع، ومن كل هذا الكتاب؛ هو تأكيد حقيقة أن الراهب يجب أن يكون إنساناً مختلفاً، مُتَرَقِّياً ومُتَفاضِلاً، فهو إنسانٌ روحاني وسِيرته هى في السماوات (في٣: ٢٠).

هل وجَّه السيد المسيح وصايا للرهبان، دون كل المؤمنين؟

١ـ لا نستطيع القَول بوصايا للرهبان وحدهم، فحِفظ الوصايا هو علامة محبة الله (يو١٤: ١٥، ٢١ـ ٢٥) التي يسعَى الجميع اليها، لكنها تدبيراتٌ خاصة للبعض بتحديد ظروف مناسبة لِسَعيِهم.

٢ـ هؤلاء البعض تُمنَح لهم استعداداتٌ تُمَكِّنهم من اِرتِياد مَسارٍ مُتباينٍ عن مَسار عُموم المؤمنين.

٣ـ الرهبنة هى إحدى صور الحياة الإنجيلية، مثل الاستشهاد والخدمة، والتي مضمونها جميعاً هو التكريس الكُلّي للنفس والحياة فيما لله. وقد وردت مَبادئ الرهبنة الثلاث مجتمعةً في تعاليم السيد المسيح في الأصحاح (مت١٩)، وقد أشار الرب فيها إلى عنصر الإرادة والاختيار الفَردي الحُر.

مَبادئ الرهبنة:

أ ـ المبادئ الظاهرة (أي الخصائص الخارجية للرهبنة، وطريقة حياة الراهب وسط المجتمع):

١ـ البتولية. ٢ـ الفقر الاختياري. ٣ـ طاعة الآباء.

ب ـ المبادئ غير الظاهرة للرهبنة (أي أعمال البناء الداخلي الفِعلي للراهب):

إن المُهِمة الروحية التي أمام الراهب ـ وأمام كل إنسان ـ يَنشُد الحياة ويطلب الخلاص طالَما وُجِد في هذه الأرض؛ هى العَودة إلى الله الذي تَغَرَّب عنه قديماً يوم طُرِد من الفردوس، وسبيل إلى العَودة إلى الله هو بَذل الذات، وهذا يَتأتَّى تحديداً عن طريق:

١ـ الصلاة الدائمة: "أَمَّا أَنَا **فَصَلاَةٌ**" (مز١٠٩: ٤).

٢ـ النُّسك في المادِّيَّات: "**أُقْمِعُ جَسَدِي** وَأَسْتَعْبِدُهُ" (١كو٩: ٢٧).

٣ـ سُكون النفس (السُّكوت والانفِراد): "بِالرُّجُوعِ **وَالسُّكُونِ** تَخْلُصُونَ. **بِالْهُدُوءِ** وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ" (إش٣٠: ١٥).

أمَّا إن خرج التَّوَجُّه العام في ديرٍ ما عن هذا المفهوم؛ فَلَسوف لا يَعدو ذلك الدير كَونه أكثر من مُستعمَرة اِستيطانية أو مشروع اِستِصلاح أراضي أو مدينة صناعية إنتاجية...!

التَبَتُّل قرارُ نَذرٍ جائزٍ لِصاحبه وقتما يريد، أمَّا التَّرهُّب فلا يُنذَر مُسبقاً؛ بل يُنذَر ـ بمبادئه الثلاثة ـ عند التكريس:

الاشتياق الرهباني تقديس إرادي للكيان والحياة بحبٍ حُر غير مُلزِم. لأن اختيار الإنسان لِطريقِه ليس هو اختياراً أُحادياً من جانبه وحده، بل اِختياراً مُشتَرَكاً بينه وبين روح الله القدوس، اِختياراً يتحدَّد تِبعاً لِعِدة اِعتبارات، منها: سياسة النعمة بما هو أنسَب لِخلاصه، وكذا تكوينه، واستعداداته، ومسئوليته الأدبية من نحو أحد من الناس.. لكن عندما يُعقَد العَزم على التَرَهُّب، وحال النُّطق بالدعوة الإلهية؛ ينذر الراهب نذوره الثلاث: بتوليته ـ فقره الإرادي ـ طاعته لأبيه.

الرهبنة بِمبادئها الثلاث، منهجٌ إنجيلي:

١ـ الحياة البتولية منهجٌ إنجيلي:

"قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: إِنْ كَانَ هَكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَلاَ يُوافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!. فَقَالَ لَهُمْ: لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُم، لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، **وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.** مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ" مت١٩: ١٠ـ ١٣

والفلسفة الروحية للراهب في حياته البتولية، ضبط الجسد والسلوك بالروح، هى أنه:

ـ قد طرح عنه عزاءَ المُعين النظير، المرأة، أن يكون معها جسداً واحداً (مت١٩: ٥)، وفضَّلَ عليه مَعونة ورِفقة وعزاء اللاهوت ذاته لِيَكون معه روحاً واحداً (١كو٦: ١٧)؛ وهذا ليس أمراً سهلاً، إنه نُسكٌ جسديّ ونفسانيّ بسبب فَقر الجسد والعاطِفة. لِذا فقد طَوَّب السيد المسيح البتوليين جداً: "**وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ... امْرَأَةً**... مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" مت١٩: ٢٩

ـ لَمَّا كان يوجد أُناسٌ أصحاب رسالات رَفيعة، فَيَعزَفون عن الزواج مؤثِرين الحياة البتولية، كَالعُلَماء والفلاسِفة... أفَلا يوجد بالأولَى بتوليون لهُم رسالة أرقَى، وهى المحبة الإلهية؟! لِذا فقد آثَر (فضَّل) الإنسان البتول حُرية وتَسَامي وتَقَدُّم روحه على شهوة جسده، وفي مُكابَدته مقاومة نِداء طبيعته قد كَرَّس جسده ذبيحة حُب للرب وحده.

- بِهَجرِهِ الدُّنيا يهجر شهوات الجسد الخاطئة، وبِتَرَهُّبه يَعَف عن أعمال الجسد الطبيعية، فيقتني البتولية، وبِتَنَسُّكه في مُتطلبات الجسد الضرورية، يَزهَدها. ولماذا يُكابِد كل هذا الجهاد؟ هذا لكي يَرتَقي من مستوى إلى مستوى أسمَى، مُتأهِّلاً لِنمو الروح.

- في اِعتباره أعمال الجسد الشَّرعية التي لِغَير البتوليين أنها ليست خطية؛ لكنه منذ أن عَفَّ عنها ولازَمَ الرب، إن هو اختَبَر شيئاً منها، صارت بالنسبة له خطية.

٢- الفقر الاختياري منهجٌ إنجيلي:

"قَالَ لَهُ يَسُوعُ: **إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ** وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي. فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ **يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ!** وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ **مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!**" مت١٩: ٢١- ٢٥

والفلسفة الروحية للراهب في فقره الإرادي، هي أنه:

- يُشارِك الرب في ما قد قدَّمه من أجله هو أولاً، فهو الذي "**افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ**" (٢كو٨: ٩).

- أدرك أن "مَلَكُوت السَّمَاوَاتِ" أو "مَلَكُوت اللهِ" في تعاليم السيد المسيح لا يَقصد به الملكوت الأبدي فقط، بل أيضاً مُلك الله على القلب والحياة، وامتلاءَهما بمعرفته وبمحبته. لهذا فالراهب المُفتقِر بإرادته يَعزَف عن أن يكون له مُمتلَكات تُعَوِّقه عن نوع الملكوت هذا أيضاً.. اِفهم ما أقول: الهدف من الفقر الاختياري الذي نَذَرتَه هو؛ لا أن تعيش مُعوَزاً أو محتاجاً بل أن تترفَّع عن مَلَذَّات الدنيا، وتَنعَتِق من الانشِغال بِمُراعاة أباطيل كاذبة.

- لا يشتهي شيئاً يمكن أن يكون نُقطة ضعف لَدَيه.

- لا يخاف شيئاً، فأقصى ما يمكن أن يُسمَّى خطراً هو الخطر على حياته، ولكن هذه وديعة يحفظها الله إلى أجَلها المُعيَّن.

- لا يقلق على شيء، إذ ليس له ما يمكن أن يُصيبَه سوسٌ أو صدأٌ أو سرقةٌ، فَيَحيا بلا هَم..

إن الراهب الذي يُبقي له شيئاً يمتلكه (مالاً/ بيتاً/ أرضاً/ محلاً..)؛ يكون ذلك الشيء بالنسبة له كَمَن يُمسِك بخَيطٍ طويل رابِطاً به رِجل عصفور، فَمهما طار العصفور وعَلا سَيَعود يَجذِبه حَتماً لأسفل.

ـ لا يحتاج إلى شيء، فالله الذي يَعُول دَبيب الأرض أمينٌ وقادرٌ أن يُدَبِّر حتى أصغر أموره.

ـ لا يتكل على مالٍ لَدَيه كَمصدر قوة أو كَوَسيلة ضمان، بل يصير الله وحده هو مُتَّكله وعَونه.

هذا كله قد أنشَأ قَول القديس أُغسطينوس:

[وقفت على قِمَّة العالم حينما أحسَست في ذاتي أنِّي **لا أشتهي شيئاً، ولا أخاف من شيء**. لأن **الذي يحتقر أمور هذا العالم ويَزدَري بها، حتى الجيدة الحسنة فيه؛ فإنه يتعالَى فَوقها جميعاً**].

ومن أقوال مار إسحاق السرياني:

[ليس شيءٌ يُقَرِّب قلب الإنسان إلى الله مثل الرحمة. **وليس شيءٌ يمنح السلام للقلب مثل الفقر الاختياري**].

وقد قال شيخ:

[كلُّ إنسانٍ قد ذاقَ حَلاوَة المَسكنة (الفقر) يَستَثقِل الثَّوبَ الذي يَلبَسه والكُوزَ الذي يشرب فيه الماء، **لأن عَقله قد إشتغل بِأشياء أخرَى روحانية**].

٣ـ الطاعة البَنَوِية منهجٌ إنجيلي:

"فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ **أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي**، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ. وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" مت١٩: ٢٨، ٢٩

إن تبعية التلاميذ للسيد المسيح كانت بِطاعتهم له عندما دعاهم:

"**اتْبَعْنِي**" (يو١: ٤٣؛ مت٩: ٩؛ يو٢١: ١٩، ٢٢)، "**هَلُمَّ وَرَائِي**" (مت٤: ١٩)، "**فَدَعَاهُمَا**" (مت٤: ٢١)، "**دَعَا تَلاَمِيذَهُ**، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اِثْنَيْ عَشَرَ" (لو٦: ١٣)، "وبَعْدَ ذَلِكَ **عَيَّنَ الرَّبُّ** سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضاً، وَأَرْسَلَهُمُ" (لو١٠: ١)، "أَنْتُمُ الَّذِينَ **تَبِعْتُمُونِي**" (مت١٩: ٢٨)، "أَلَيْسَ **أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمُ** الاِثْنَيْ عَشَرَ؟" (يو٦: ٧٠)، "أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ **اخْتَرْتُهُمْ**" (يو١٣: ١٨)، "لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ **أَنَا اخْتَرْتُكُمْ**، وَأَقَمْتُكُمْ" (يو١٥: ١٦)...

والفلسفة الروحية للراهب في طاعته لأبيه، هى أنه:

ـ يتمثَّل بطاعة سيده الذي أطاع الآب حتى النهاية.

ـ يكسِر مشيئته التي هى قَرينة ذاته، حتى يُمكنه أن يقتني الاتضاع.

ـ يعترف، ضِمنِيَّاً، بضعفِه ونقصِه واحتياجه، وعدم الوُثوق في رؤيتِه أو في فهمِه.

قد يتشكَّك راهبٌ في أحد تدابير أبيه له، لَعَله يكون تدبيراً غير مناسب أو غير مُفيد، مُفكِّراً بأنه حتى لو كان مناسباً أو مُفيداً فكيف أضمن أنه ليس من ذاته هو بل من الله؟ لكن الضامن لك؛ أن أباك هو المُعَيَّن من قِبَل الله لك، وهو المسئول عن تدبير خلاصك إن أنت التزمْت بِطاعتك له، وقِيل بِأن: الطاعة تُخلي مسئولية الطريق.

✝ إذا لم يوجد الأب، ولأجل أنه في هذه الأيام قلَّ وجود الآباء الأطباء؛ فليتمسك الراهب جداً جداً بالغرض المستقيم، وفي كل خطوة يَخطوها؛ لِيَبحث بخصوصها أولاً في كتب وأقوال الآباء القديسين التي خلَّفوها لنا.. ومع هذا فحيث يوجد الابن الأمين المُطيع يوجد الأب الحكيم الطبيب.

"إن البتولية مع الفضيلة أجمل، فإن معها ذِكراً خالداً، لأنها تبقى معلومة عند الله والناس.

إذا حضرَت يُقتَدَى بها، وإذا غابت يُشتاق إليها،

ومدى الدهور تفتخر بإكليل الظَّفر، بعد انتصارها في ساحة المعارك الطاهرة"

حك٤: ١، ٢

أبعاد ومفاهيم في الحياة الرهبانية

١ـ الشكل:

الزِي ـ اللِّحية ـ الاسم ـ بطاقة الهوية ـ الانتماء لمجمعٍ رهباني...

٢ـ السيرة:

التَدَيُّن والعبادة ـ الثقافة الكتابية والكَنَسِية ـ السلوك الأخلاقي ـ الانضمام لمجتمع المُتَكَرِّسين...

٣ـ تَوَجُّه القلب:

الحب الإلهي ـ الإيقان بِبُطلانية الحياة الزمنية ـ العُزُوف عن ميول الجسد وعزاء العواطف البشرية ـ التَّوق إلى حياة الدهر الآتي...

هذا الترتيب ليس بالضرورة من جهة أسبقية التحقيق زمنياً، بل هو من جهة التفصيل في عرض الحقيقة. فمِن الوَجهة الإيجابية؛ قد يقتني إنسانٌ السيرة والتَّوَجُّه القلبي قبل أن يقتني الشكل الرهباني بل حتى قبل دخوله الدير، كما قد يقتني إنسانٌ التَّوَجُّه القلبي الرهباني حتى ولو لم يتمكَّن من دخوله دير واقتِنائِه شكل الرهبنة، فيصير له قلب راهب وهو وَسط مُعتَرَك المجتمع العَلماني، فالرهبنة بالنسبة له هى طبيعة قلب لا تَكَلُّف وتَكَيُّف مَعيشة، منهج حياة أكثر منه شكل.

أمَّا من الوَجهة السلبية؛ فرهبنة إنسانٍ ما قد لا تَعدو أن تكون اِستبدال ظروف معيشية بظروف معيشية أخرى، ولم يَقتنِ سيرة الرهبنة المُميَّزة والمُتمايِزة، بل والخطورة أن تكون الرهبنة بالنسبة له هى البيئة المناسبة لنمو الأوجاع داخل نفسه وقلبه، حيث يتوفر له مجالٌ كافٍ من حرية الإرادة والتصرف، وبما قد تَراكَم لَدَيه من كَبتٍ وانحِلال فإنه يُجور على أحد إخوته البُسَطاء، كنوعٍ من التَّنفيس عن ذاته.. إنه بهذا يكون قد خلع عنه ثوب الرهبنة وهو في الرهبنة. فحينئذٍ تُرى؛ هل شكل الرهبنة الذي أبقَى عليه سَيُحسَب له أم سَيُحسَب عليه؟ لَعَلَّه سَيُحسَب عليه!

✝ إن كنت تطلب سلوكاً عملياً محدداً ومؤكداً يَعصِمك من التِّيه أو السقوط في الطريق الرهباني وتضمن به اِجتيازَك الطريق، بنجاح، دائماً وحتى النهاية ـ فإليك هذا القانون الرهباني:

$$ر = ق_{١} + ق_{٢} + ق_{٣}$$

حيث **ر**: رهبنة،

ق١ : قلاية. الصبر على مُلازمة القلاية، فلا خروج إلا لِضَرورة، وعدم خَطو بوابة الدير.

القلاية كنيسة ثانية. إن كنت مخْلصاً لِقلايتك فهى سَتَفي بإخلاصك وتُعَلمك كل شيء. ورُبما سبب تَسمِيَة مَسكن الراهب بالقَلَّاية (Cell)؛ هو مُكابَدَته فيها لِلفِكر ولِضُغطَة الضَّجَر، وكذلك لِمُعاناته من مُقاتَلة الأرواح الشريرة، كما أيضاً بسبب درجة الحرارة المرتفعة صَيفاً.

ق٢ : قائد. يكون: روحانياً، له موهبة الأُبوة الروحية، يأخذ على عاتِقه تعليمك وشفاءك.

ق٣ : قانون. تدبيرٌ هادفٌ ومُحَدَّد في العبادة وفي التعامل، تدبيرٌ قابِلٌ للمرونة وقابِلٌ للتطوُّر.

قانونك الروحي هو الغلاف الصَّلب الذي يحفظ روحياتك من تَقَلُّب الظروف الخارجية، ومن ثَمَّ تأثيرها عليك في وقت ضعفك.. هو المُستودَع الآمِن الذي يحفظ ذَخائِرك الروحية مُقابِل مَكائد وسرقات اللصوص الخَفيين.. هو الذي يحافظ على استِمرارِية مَسيرة محبتك العابِدة..

سيرة ووسيلة وفضيلة؛ يَحسُن للراهب أن يعَيِّن لنفسه في مَسعاه..

سيرة: تساعده على التركيز وتحديد الاتجاه (شركة المجمع أم التوَحُّد..).

وسيلة: بها يقطع أشواطاً في الطريق بمجهودٍ أقل، (مثل الصمت. فالصمت بمعرفة تدبيرٌ يَرقَى إلى مستوى الفضيلة، لَيتَه يكون تدبيراً ليس فقط لِقِلة من الرهبان إنَّما منهجاً حياتيَّاً لَدَى عُمومهم. وتَشتهِر عبارة أبَّا أرسانيوس المأثورة: [تكلمتُ كثيراً فنَدِمت؛ **أما عن الصمت فما ندِمتُ قَط**]).

فضيلة: بإتقانها يقتني فضائل أخرى معاً (عمل المحبة ـ تَحَمُّل ضَعفات الأخوة ـ قبول المهانة أو المَظلَمة ـ عدم الإدانة ـ الصلاة الدائمة ـ الرجوع بِالمَلامة على الذات ـ كَسر المشيئة الذاتية..). والفضائل الروحية مُتسَلسِلة، الواحدة منها تؤدي إلى الأخريات، لا سِيَّما الفضائل الأُمَّهات.

فَواحدة من هذه (سيرة ـ وسيلة ـ فضيلة) تشفع عنه أمام الديان في ذلك اليوم.

بين الفضائل ووسائل اِقتناء الفضائل..

ينبغي لنا نحن مَعشَر الرهبان أن نُمَيِّز بين الفضائل وبين وسائل اِقتِناء الفضائل.. وسائل اقتناء الفضائل (كاتِّخاذ الموضع الأخير أو لِبس ثياب ذَرِيَّة أو الصَّمت أو التجرُّد..)؛ هى أدوات لتشكيل الفضائل في النفس، وليست هى فضائل في حَد ذاتها. كما يَلزم أن تُستعمَل بإفراز.. أما الفضائل عَينها فهى التي نَنشُدها بواسطة تلك الوسائل، وهى ثمار فِعل الروح القدس في النفس، بعد إظهارها صِدق إرادتها في اِقتِناء الفضيلة بهذه الطُّرُق (كالمحبة والوداعة والتعَفُّف.. غل٥: ٢٢، ٢٣). فلا نتوقَّفَنَّ عند إتقان وسائل اِقتناء الفضائل، دون أن تصل بنا إلى اقتناء الفضائل عَينها.

بين الخلاص وطريقة الخلاص..

"كيف أخلُص؟"، "قُل لي يا أبي كلمة منفعة"؛ سؤالٌ تَرَدَّد في كتاب "بُستان الرهبان" ويَتَرَدَّد دائماً في السِّلك الرهباني، هذه إجابته العامة للجميع، وأيضاً الخاصة لكل واحدٍ بِمُفرَده:

١ـ أن تعرف ماذا تريد أنت بالتحديد. أي أن تُحدِّد اِتجاهك في الحياة، فَتُقرِّر اِختياراتك.

٢ـ أن تعرف اِختيارات الله ودعواته لك، وغالباً تتفق مع شخصيتك ومع اختياراتك.

٣ـ أن تأخذ دعوات الله واختياراته لك، وتسلك بِمُقتضَياتها بأمانة حتى النهاية.

عُنصُريَّ المَسيرة الرهبانية: هدف + طريق..

كَجَناحَي الطائر لَو أُصيب أحَدُهما صار في خطرٍ مُحقَّق؛ هكذا يكون حال الراهب إذا فقدَ هدفَه أو طريقَه، وماذا يكون حالُه لَو فقدَهُما كِلَيهما؟!.. وفُقدان الراهب لِهَدَفِه يتمثَّل في دخول شهوة إلى قلبِه تُحَوِّله عن هدفه، حتى لَو كانت شهوة أمْرٍ مقدس إلى جوار هدفه الأوحَد.. وفُقدان الراهب لِطَريقِه يتمثَّل في اِنخِراطِه في اِهتمام غريب يُفْقِده أو يُلْهِيه عن طريقه (علاقات ـ عمل زائد ـ دراسة ـ هواية...). بل يجب ألَّا يُلْهِهِ الطريق عَينُه عن الهدف، ولا الهدف عَينُه عن الطريق. قد لا ينتبه الراهب لِهذا الخطر إلَّا في مرحلةٍ متأخرة، ويظَل روح الرب يُنَبِّهه ولكنه يَتبَع شهوته أو اِهتمامه الجديد دون هدفه أو طريقه الصحيحَين اللذَين خرج لأجلهما!

علامات على الطريق الرهباني

✝ مَن يَفِد إلى الرهبنة بِالغرض المستقيم وبِالمَسلك القَويم للنهاية؛ تَفيض له البرية "**لَبَناً وَعَسَلاً**"، ومَن يَفِد إلى الرهبنة بِغَير هذَين؛ تُنبِت له البرية "**شَوْكاً وَحَسَكاً**".. كتب الدَّرَجي: [لِيَعلم جميع الذين يدخلون هذا الجهاد الصالح، الذي هو قاسٍ وصعب وفي الوقت نفسه سهل، **أنهم إنَّما يُقدِمون على القَفز في النار... إن كان المُعَمَّدون لا يَخلصون جميعهم بالضرورة فسأصمُت عن الرهبان**]!

✝ سِيرة الحياة الرهبانية جُزءان مُتكاملان: فالجزء الأول هو الخروج من الدُّنيا، مروراً بالالتحاق بالدير، إلى يوم السيامة الرهبانية. أمَّا الجزء الثاني فيبدأ من ساعة الدعوة: "ندعوك راهباً" وحتى وقت النياحة (ووقت النياحة في الرهبنة كثيراً ما لا يرتبط بِسِن الشيخوخة).

✝ لِمَن هجر الدُّنيا ورَحَلَ إلى الرهبنة: فترة الفِطام عن الدُّنيا عند واحدٍ قد تكون أشهُر قليلة، بينما عند آخر قد تمتد إلى سنواتٍ عديدة، وأكثر من هذا فعِند ثالث قد تظل محبة الدُّنيا مُزمِنة ومتأصِّلة، كمثل جذور شجرةٍ مُتَعَتِّقةٍ في الأرض. علاج هذا الأخير يكون بِأمرَين معاً: تجديد الذِّهن (بالإيقان بِبُطل وزَوال الدُّنيا، وانغِراس محبة الله في القلب)، وبِرِبواتٍ من أعمال الإماتة.

✝ بجانب عمل النعمة؛ ما هي الطاقة الداخلية التي حملت الراهب، من البداية، على الخروج من الدُّنيا ثم الالتحاق بالدير؟ إنها طاقة الاشتياق الروحي. وما هي الطاقة الداخلية التي حملته على اجتياز فترة الإعداد للرهبنة حتى أَوصَلَته اليها؟ إنها طاقة الاشتياق الروحي.. لهذا أيها المختار اِحفظ طاقة الاشتياق الروحي بِداخلك بكل وسيلة، لأنه بِقَدر اِضطِرامها بِقَدر بُلوغك المصاعد الروحية التي ليس لها آخِر، وبقَدر خُفُوتها بقَدر تَبَاطُئِك حتى إلى درجة التوقُّف، أو إصابتك بما يُسَمَّى (الشيخوخة الروحية).. قال الأب يوحنا الدَّرَجي أن الراهب الأمين:

[**هو مَن يحفظ غَيرَته مُتَّقِدة إلى النهاية**، ولا يزال **حتى المَمات** يُزيد كل يوم على نارِه ناراً وعلى اضطِرامِه اِضطِراماً وعلى شَوقِه شَوقاً وعلى هِمَّتِه ونشاطِه نشاطاً **دون انقِطاع**].

مُبهِجٌ هو مَشهَد علماني ذي اشتِياقاتٍ روحية، ومُكربٌ هو مَشهَد راهبٍ شاخَ وتَجَمَّد!

✝ فترة التلمذة (فترة الاختبار / المبتدئين) هى أهم فترة في حياة الراهب، لأنها هى فترة التأسيس والتعليم التي يَنبَني عليها جهادُه وقامَتُه فيما بعد. وهى فترة تشكيل نَواحي شخصيته الرهبانية كليةً. وهى فترة سِنِي الشَّبع التي ينبغي عليه أن يُخزِّن فيها ما سَيَعتمد عليه في مستقبل طريقه الكَرب..

✝ لا يكشف الله للمُبتدئ كل أفراح الطريق لكي لا يضع قلبه عليها ويتعلَّق بها. كما لا يكشف الله للمُبتدئ كل صعوبات الطريق لكي لا يَجزع منها ويتراجع.

✝ تُسَمَّى أعمال جهاد الراهب وخدمة أوقاته بالـ "قانون"، وعندما ينضُج بدرجةٍ كافية يمكن أن تُسَمَّى "طقس"، ولَمَّا يَبلُغ ويقوَى يمكن أن تُسَمَّى "تدبير المحبة".

✝ كن أميناً ألَّا تُخطئ بالنِيَّة لِيَهبك الله ألَّا تُخطئ بالفعل. كن أميناً ألَّا تخطئ بإرادتك ليهبك الله ألَّا تخطئ بغير إرادتك. سِر في النور قبل أن يُدرِكك الظلام. اِعمل في النهار كَي لا تَعثُر في الليل. اِقتَنِ الأحد كي لا يكون هرَبُك في السبت. جاهد في الصيف قبل أن يَحِل بك الشتاء. اِتعب في شبابك لِتستريح في كِبَرك. اِجمع في سَبع سِنِي الشَّبع كي لا تحتاج في سَبع سِنِي الجُوع.

✝ يامَن تركت أباك وأمك وبيتك ومالك، وفضلت الترهُّب على التزوُّج؛ هل مازِلت تغضب على أخيك بعد؟! هل لك مُقتنَيات بعد؟! هل تبتغي رِئاسة بعد؟! هل يَميل قلبك إلى جسد بعد؟! قُل لنفسك كل يوم: "**الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ**" (لو ١٠: ٤٢)، [يا... **تأمَّل فيما خرجت لأجله**].

✝ هل لم تستقبل إنساناً (علمانياً) في قلايتك بحسب قوانين الرهبنة؟ حسناً فعلتَ. لكن لأي سببٍ اِستَضَفتَ بها إنساناً (رهبانياً)؟ نَعم، لَعَلَّكما كُنتُما تتحدثان بِعظائم الله، أو لَعَلَّه قد تَبَقَّى في يومكُما ـ كِلَيكُما ـ وقت (فراغ)، أو رُبما قد منع الله تعزياته عنكما ـ كِلَيكُما أيضاً ـ حتى اِلتَمَستُماها كلٌ منكما في الآخَر!.. إنه لا صداقةَ في الرهبنة. ولَمَّا كانت الصداقة في العالم لا تجوز بين أفراد الجنسين؛ فإنها في الرهبنة لا تجوز حتى بين أفراد النوع الواحد. إن كان قد وُجِد بالتُّراث الرهباني حالات نادرة لِثُنائِيّي أُخُوَّة أو صداقة؛ فَلأجل ظروفٍ مُتزامِنة أو لِاحتياجٍ خاص؛ لكنها لَيست مَشاعاً في الرهبنة.. إنك لَمَّا كنت قد تخلَّيت عن أقوى عاطفة أدبية وهى عاطفتك نحو أبيك

وأمك، وعن أقوى عاطفة جسدية وهى عاطفة الغريزة ـ فهل تعود بعد تطلب عاطفة أخرى!.. إن مَن زَهَد العزاء البشري وتَرَهَّب ثم عاد وكَوَّن عاطفة صداقة جديدة؛ يكون كمَن يُبقي في وسط قلايته رِداءً شِنعارياً ـ يعتبره ـ نَفيساً (يش٧: ٢١)!.. وقد قِيلَ بِأن الدَّالَّة هى سُم الحياة الرهبانية، وأيضاً بأن؛ التعزيات البشرية تمنع التعزيات الإلهية.

✝ تحية أولاد الله لبعضهم في المدن هى: "سلام"، بينما في المجتمع الرهباني هى: "أغابي".. تأمَّل!

✝ خدامٌ بكنيسة الرب يُنفِّذون وَصيَّته **"تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ"**، لكن رهباناً قد تَفَوَّقوا عليهم في إتقانها، لأنهم يفعلون لا فقط طاعةً للوَصيَّة، أو لكي ينالوا هُم أجراً سمائياً؛ بل حُبَّاً حقيقياً للقريب.

✝ تُمَثِّل الراحة للراهب خطراً أكثر من التعب، والكرامة خطراً أكثر من المهانة.. لكن لا تنشغِل بذلك أو بتلك، وقُل لنفسك: "أَسْلُكُ الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ. **لا أَمِيلُ يَمِيناً وَلا شِمَالاً**" (تث٢: ٢٧).

✝ لا يتحدَّد سِن البلوغ للراهب بِعوامل الزمن، كالسِّن أو مُدة الإقامة بالدير، أو بالإمكانيات الشخصية، لأنه قد تتمكن النعمة في شُبَّانٍ فَيَبلُغون سريعاً، وقد يتهاون بها شيوخ فَيَشيخون.

✝ ثلاث درجات رئيسية لِسِيرة الرهبنة: الشركة، والوَحدة، والسياحة. أمَّا ماهيَّة الرهبنة، أي محبة الله؛ فلا نعرف لها مُنتهَى!.. ولكل درجة من درجات الرهبنة رُتَب. فَلِدَرجة السياحة رُتَب، ولِدَرجة الوَحدة رُتَب، وحتى لِدَرجة شركة المجمع رُتَب.. ورُتَب الشركة لا تتوقف على مُدة إقامة الراهب بالدير، قصيرة أم طويلة، من المُبتدئين كان أم من الرهبان أم من شيوخ الرهبان:

فهناك الراهب الذي خرج من الدُّنيا، وتَرَهَّب بالفعل، لكنه عاد ففقد الهدف وضلَّ الطريق وأصابه الانحلال، فلا يحتمل قضاءَ وقتٍ طويلٍ بالقلاية، وكلما حاول ضميره أن يُوقِظه؛ يَنهَمِك في العمل المادي أكثر لكي يتناسَى تَيَهانه، أو لكي يُقنِع نفسه بأنه يَصرِف طاقته في خدمة الدير، وقد زاد الأمر لَدَيه سوءاً بأنه بدأ يعتاد الخروج من الدير، بسبب وبدون سبب، وعاد يستأنِف الاتصالات والتعاملات والعلاقات.. حال مثل هذا حال بني إسرائيل الذين خرجوا بالفعل من مصر لكنهم رجعوا بقلوبهم إليها، فلم يدخلوا أرض المَوعد.

وهناك رتبة الراهب الذي يحاول أن يُسايِر مُقتضيات الحياة الرهبانية لكي لا يشِذ عن إخوته، لكنه يأكل ويشرب وينام بِوَفرة، أنيق المَظهر، يتعامل ويتزاوَر بطريقة أقرب إلى العلمانية، يستعمل الموبايل، مشتملة قلايته على الأثاث والأجهزة، يطمح في تَبَوُّء المناصب الإدارية أو الكنَسِيَّة، ويستطلِع مُجرَيات الأحداث، ويتوق إلى العلاقات مع ذَوِي الرئاسة.

وهناك الراهب الذي يريد العُمق، فَيُكمل قانونه، ويصوم الأصوام المقرَّرة، ويواظب على الكنيسة، ويلتزم بِكافة أنظمة المجمع، ويَزهَد المُقتنيات، ولا يخرج من قلايته إلا لِما وجَب، ويَنشُد البلوغ إلى ما وَرَدَ إلى مَسمَعه من قامات الآباء، لكنه لا يريد أن يتمثَّل بهم في أتعابهم.

ثم تأتي رتبة الراهب الذي وضع يده على المحراث وعزَم على اقتِناء ثمر الروح القدس، بالسلوك بالروح، وقَمع أهواء النفس وإماتة شهوات الجسد، ومُمارسة أعمال الاتضاع، واحتمال ضُرُوب الهوان وقبول المَظلَمة، والطاعة وكَسْر المشيئة الذاتية، والتَحَلّي بإنكار النفس والصمت، حائزاً على كَنز من الدموع، مُتشَوِّقاً إلى الانطلاق إلى البرية، حيث حياة التَّوَحُّد..

الراهب والأهل:

لماذا يُؤَكِّد الآباء علينا، منذ ابتِداء دخولنا الدير، على الانفصال عن الأهل وعلى عدم زيارة البيت والمَوطِن القديمَين؟

١ـ يُنبِّهنا الرب يسوع إلى مَبدأ رئيسي في الحياة الرهبانية، وهو أن الذي يتجرد لمحبة الله يجب عليه ألَّا يُضيف إلى علاقته بالله طَرَفاً ثالثاً، حتى مع كَون العلاقة بذلك الطرف بَريئة.. فمثلاً، قال الرب عن الرجل الذي يتزوَّج: "يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ" (مت١٩: ٥)، فهو بهذا لا يدعو المتزوج طبعاً إلى بغضَة الأب والأم، ومحبتهما ليست مُضادةً لهذه العلاقة الجديدة، بل أصيلة وطبيعية، لكن بسبب تَفَاضُل محبة جديدة على محبة الأب والأم وَجَبَ عليه تركهما، وليس معنى هذا أنه غير مخلِصٍ أو غير بارٍ بِمحبتهما، فَلَم يقُل الرب: (يَكرَه الرجل أباه وأمَّه)، بل: "يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ".. فإذا كان الأمر يتطلب في العلاقات الإنسانية هذا التَّرك؛ فكَم بالأولَى يستحق منا نحن مَعشَر الرهبان كل اعتبار أن نُفاضِل محبة الله فِعلاً على كل محبة أخرى، حتى أقوى محبة وهى رابِطة الدم؟!.. من أجل هذا يترك الراهب أباه وأمَّه ويَلتصِق بِرهبنته.

٢ـ لابد لمن يريد أن يتبع الرب، أن يَهجُر أهله ومَوطِنه، هكذا أمَر الرب:

"**اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ** إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ" تك١٢: ١

"اسمعي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي وَأَمِيلِي أُذْنَكِ **وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ**" مز٤٥: ١٠

وقد قال السيد المسيح لِواحدٍ كان يريد أن يتبعه لكن ليس أثناء حياة أبيه: "**دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ**" (لو٩: ٦٠)، ولآخر أراد فقط أن يُوَدِّع أهله قبل أن يتبعه، قال له: "لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ **يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ**" (لو٩: ٦٢).. والسيد المسيح نفسه قال: "مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟... **مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي**

وَأُخْتِي وَأُمِّي" (مت١٢: ٤٨ـ إلخ)، وعندما بدأ خدمته ترك وطنه "النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى" (لو٤: ١٦)، "وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفْرَنَاحُومَ" (مت٤: ١٣).

٣ـ مع كَون القديسة العذراء مريم هى أُم ووالدة الرب يسوع بِحَسب ناسوته بِالحقيقة؛ إلَّا أنه منذ مَسحَته ناسوتياً في الأردن لم يَذكُر الإنجيل المقدس أنه دعاها: "أُمي".. عَيبٌ على الراهب أن يقول: "أبي" و: "أُمي". [أُخبِرَ أحَد الرهبان بِأن أباه قد مات، فأجاب الذي أتاه بالخَبَر: كُف عن التجديف فإن أبي لا يموت!]. إن لَزِمَ الأمر يمكنه أن يستعمل الألقاب: (الوالد ـ الوالدة..).

إذا جُرِّبتَ بعاطفة الدم من نحو أبَويك؛ تذكَّر الفَطيم صموئيل، والطفلة مريم، وقِدِّيسي الرهبنة العِظام الذين تَرَهَّبوا منذ طفولتهم أو شبابهم المبكر، أثناء حياة أبَويهم.

إن الراهب الذي يَتَفَوَّه بِعباراتٍ مثل: (أبي ـ أمي ـ عندي في البيت ـ عندنا في البلد..)؛ يكون قد ترك الدُّنيا بِالجسد فقط ولكن قلبه ما زال باقِياً فيها، مُشابِهاً اِمرأة لُوط!

وعن هذا كتب الدَّرَجي: [**متى تركنا بيوتَنا وأهلَنا لأجل الرب، وبِعنا ذَواتِنا للغُربة حُبّاً بالمسيح**؛ يحاولون (الشياطين) إقلاقنا عن طريق الأحلام، فيُصوِّرون لنا أهلَنا إمَّا نادِبين أو مُحتضَرين أو مَسجونين وفي عَناءٍ بسببنا. فَمَن يُصدِّق الأحلام يُشبِه بالتالي مَن يَركُض وراء ظِله].

٤ـ إن الوجود في ظروف الحياة القديمة (أشخاص ـ أماكن ـ أشياء...) يحرك الأركان الضعيفة في النفس، ويُعيد تذكار الخِبرات السلبية لَدَيها، أي رَذائل الصِّبا التي كانت في زمن ما قبل الرجولة الروحية (الطِباع الطَّائِشة ـ الأنانية ـ الغضب ـ الضعفات ـ العادات...). وفي هذا لنا شواهد من الكتاب المقدس ومن آباء الرهبنة. فمثلاً؛ أوصَى أبونا إبراهيم خادمَهُ بِعَهدٍ قائلاً: "**اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَرْجِعَ بِابْنِي إِلَى هُنَاكَ... أَمَّا ابْنِي فَلاَ تَرْجِعْ بِهِ إِلَى هُنَاكَ**" (تك٢٤: ٦، ٨)، وموسى النبي إلتصق بالرب بعدما ترك أسرته ووطنه: "بِالإِيمَانِ **تَرَكَ مِصْرَ... كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى**" عب١١: ٢٧، ويعقوب ويوحنا لَمَّا دعاهُما السيد؛ "فَلِلْوَقْتِ **تَرَكَا** السَّفِينَةَ **وَأَبَاهُمَا** وَتَبِعَاهُ" (مت٤: ٢٢)...

٥ـ لَمَّا كان الوالِدان هما أكثر الناس تأثيراً على الراهب، لِذا قد يحاول البعض عن طريقهما ـ من قريبٍ أو من بعيد ـ رَده عن تَرَهُّبه قبل رهبنته، أو التدخُّل في حياته الجديدة بعد رهبنته.

٦ـ بين الأهل يتعرَّض الراهب للكرامة الضَّارة والمجد الباطل.

٧ـ وعلى العَكس من هذا؛ فعند البعض قد يحدث أنه عند زيارة الراهب لِوَطنه القديم، أن ليس جميع أقرِبائه أو مَعارِفه سَيُرَحِّبون به، غضباً منه أو عليه، بسبب جَهالاتٍ صِبيانية قديمة، بل قد يصِل الأمر إلى أن البعض يُهينونه. وهذا مُتضمَّنٌ ـ بِنَوعٍ ما ـ في قَول السيد المسيح: "لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ **إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ**" (مت١٣: ٥٧). لِذا فلا يفعل من أجل حِفظ وَقار الرهبنة.

وكذا من غير المُفضَّل زيارة أهل الراهب له بِصِفةٍ دَورِية، ومن أسباب هذا:

١ـ لكي لا تَنشَط لَدَى المُبتدِئ عاطفة الدم، فَتَقوَى على حياته الروحية الجديدة والأعظَم من نحو الله، وحتى إن لم تَقوَ عليها فَعَلى الأقل تُبَرِّدها.. "وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. **مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي**، وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" مت١٠: ٣٦، ٣٧

٢ـ إن لقاء الراهب بأهله يَستحدِث داخِله وجدان الطفل القديم: التدليل، الارتباط والاعتمادية، اللَّهو، الضحك.. (أبٌ وفَدَ إلى الدير لزيارة ابنه راغب الرهبنة (الأخ)، فإذ بهذا الأخير يناديه: "بابا.."!، وآخَر تتصل به والدته فيُجيبُها: "أيوَه يا ماما.."!). فالتأثير الوجداني للأهل هو قَيدٌ خَفي، إرادي، للراهب الذي يَستَبقِيه، يسبب له القُصور أو التأخُّر في نُضجه الروحي.

٣ـ لقد صار الله هو مصدر مَعونات وتَعزِيات الراهب عِوَضاً عن كل بَشر، وإلَّا، ولو كان الأخ حديث العهد بالدير، فإنه عندما يقارِن بين أتعاب الرهبنة وبين الإمكانيات الزمنية المُتاحة، والتي ما زالت باقية له ومَعروضة عليه؛ فقد يرجع المسكين معهم.. إن زيارة الأهل للأخ مَحَكٌ لِعَزيمته.

٤ـ لِإبطال الدَّالَّة، والخُلطَة، القديمة التي للقَرابة.

٥ـ المقابلات حتماً تتخلَّلها أحاديث، والأحاديث حتماً تقترن بها أخبار المعارِف والغُرباء، الجيدة والسيئة، والأخبار حتماً تتبع الراهب داخل القلاية تُشَتِّت فِكرَه وتُقلِقه.

٦ـ إن مَعارف الراهب القُدامَى كثيراً ما يميلون إلى أن يضعوه ـ رُغم إرادته ـ في قالِب مَن هو بالضرورة قد حصل علي المواهب فوق الطبيعية، أو على مَنصِبٍ رِئاسي.

٧ـ زيارة الأهل لِخاصَّتهم إنَّما تكون لِمَن هُم في المستشفيات أو في السجون أو ما شابَه ذلك، وأمَّا الراهب فقد أصبح ليس من خاصَّتهم هُم بل من خاصَّة الرب يسوع المسيح، صار في ما للرب، وقد علَّمنا هذا بنفسه، فلمَّا كان أبواه يجتهدان في طَلَبه قال لهما: "...لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ **يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي**؟" لو٢: ٤٩

يا مَن نَجَوتَ من مدينة الهلاك، إن كانت نَفْسَا **أَبَوَيك** تتأذَّيان من مُفارقَتك؛ فلا مانع من الاتِّصال الهاتِفي بِهما، كنَوعٍ من الوفاء، على أن يكون ذلك على فتراتٍ مُتباعِدة، وبصفةٍ غير دَورية. (لَو كنتَ قد تنيَّحتَّ؛ فَهَل كانَا سَيرَونَك أو يُكلِّمونَك؟!).

إجتهد جِدِّيّاً أن:

لا تُبقي لَدَيك شيئاً كنتَ تمتلِكه أو تَقتَنيه قبل رهبنتك.

لا تتصل بِأحدٍ من مَعارِفك كنتَ تتعامَل معه قبل رهبنتك.

لا تذهب إلى بيتٍ أو إلى مكانٍ كنتَ تذهب إليه قبل رهبنتك.

لا تَعُد تتذكر تَعَدِّياتك التي كنتَ قد فعلتَها وتُبتَ عنها قبل رهبنتك.

لا تذكُر أحداثاً ماضِيَة في حياتك مَرَّت بك أو مَرَرتَ بها قبل رهبنتك.

[إن شِئتَ أن تَخلُص: فلا تدخل بيتك الذي خرجتَ منه،

ولاتُبصِر أبَوَيك ولا أقرباءك الجسدانيين،

وإلَّا؛ فأنت تُقيم زمانك كله بغير ثمرة.

لا تَعُد تفتقد أهلك الجسدانيين ولا تُعطِهم وجهك لينظروك]

أبَا أنطونيوس

الراهب والمَجمَع:

عائلة البيت العلماني لا يَتحِد جميع أفرادها بِالضرورة في الأهداف أو في الطُّرُق؛ وأمَّا عائلة البيت الرهباني فجميع أفرادها مُتحِدين بِالضرورة في كلٍ من: الهدف الواحد والطريق الواحد.. ومع هذا؛ فالنتيجة التي بنعمة الرب قد تَوَصَّلت إليها، بعد سنواتٍ من الاختبار، هى أنه على طالب الله في المجتمع الرهباني **الاستقلال** قَدر الإمكان، وجدانياً وإن أمكَن مَكانياً أيضاً.

هذا ما قد قاله أبًا يوحنا القصير: [**كُن مُحِبًّاً لكل أحد وأنت بَعيد عن كل أحد**].

والأب يوحنا الدَّرَجي: [**مُتغرِّبٌ حقاً هو مَن يُساكِن قَوماً ويكون بينهم كَمَن لُغته غير لُغَتهم**، وذلك بمعرفة وليس عن جهل].

وأقصد **بِالاستقلال** ليس بِالضبط الاِنعِزال بل عدم الذوبان (لكن لِيَحذَر الراهب من ألَّا يكون هذا استِقلالاً بل اِستِعلاءً). لأن هناك أُناسٌ عندما وفَدوا إلى الدير كانوا حارِّين بالروح وممتلئين حَماسةً، ولكن أشواك الشركة خنقَتهم وأمراض المجمع أصابتهم، والبعض صاروا أسوَأ حالاً مما كانوا عليه عندما وفَدوا!

هذا يُؤكِّده الأب يوحنا الدَّرَجي أيضاً: [رأيت أطفالاً أنقياء صالحين جاءُوا إلى المدرسة طَلَباً للحكمة والأدب والمنفعة، **ولكنهم بِمُعاشَرَتهم للصبيان الآخَرين لم يَنشأوا فيها إلَّا على حُب الإيذاء والرزيلة**. مَن له عقل فسَوف يَفقَه ذلك].

والأب ثيؤفان الناسك: [إن اِختَرتَ حياةَ الدير فَعَلَيك بِإعداد نفسك لِلوَحدة، فالحياة فى الدير شاقةٌ لِمَن يريدون أن يَعيشوا فى صُحبَة الناس كما لو كانوا فى العالم. **فَفي الدير ينبغى أن تقتصر معرفتك على الربيتة أو أب إعتِرافك فقط. أمَّا علاقتك بِالآخَرين، فَتَقوم على أساس تَجَاهُل لِوُجودِهم**. حينئذٍ يَسير كلُّ شيءٍ على ما يُرام، وإلَّا انقَلَب الشَّغَب إلى أسوأ من مَلاهي العالم].

لا يَظُنَّنَّ المجاهد أن الدَّير هو الضَّامِن لِبُلوغه إلى هدفه الذي خرج لِأجله. فالدير مجتمعٌ مُتَّحدٌ في العقيدة والجنس والزِّي وطريقة الحياة، ولكن الصلوات الجماعية به لا تدل دائماً على أن هذا المجتمع كله "مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ" أرضيين، بل هى فقط (البرنامج) اليومي للدَّير. فأيام السيد المسيح

كان الكهنة ورؤساؤهم والكتبة والفَريسيون يُصلُّون أيضاً، ويصومون، ويَتلون الأسفار، ويُرتِّلون المزامير، ويُزَينون مدافن الأنبياء ـ لكنهم كانوا مُخالِفين. ونحن في تسبيحنا نرتِّل: [سبحوا الرب كما يليق به وليس كالمُخالِفين]، إذاً يوجد مَن يُسبِّحون الرب بينما هُم (مُخالِفين).. والبشر هُم البشر، والرهبان هُم بَشَر، لا يَتَنَقون ويتقدَّسون ساعة التكريس، بل أنهم يَفِدون إلى الدير وهُم مُحَمَّلين بأوجاعٍ مُتراكمةٍ طِيلة عشرين أو ثلاثين سنة، بل أن البعض منهم لا يُريدون التَّخَلِّي عن طِباعِهم وطَبائِعهم، وقد يحتاجون إلى مُدةٍ مُماثِلة حتى يَصيروا أسوياءَ روحاً أو حتى خُلُقاً.

فقد يوجَد رهبان في مجمعٍ ما يكونون عثرةً للراهب البسيط أو ذي الإرادة الصالحة. فمثلاً؛ إذا استعمل أحد الرهبان تدبيراً ما، مثل لِبس ثيابٍ ذَرِيَّة أو الصَّمت أو عدم الخُلطة... فلا يتوقَّع أن جميع إخوته سَيُصَفِّقون له ويُشَجِّعونه؛ بل أن بعضاً منهم سَيَزدَرون به ويَتَّهِمونه (بِالدَّروَشة) ويَشتَكون عليه! بِالرُّغم من أن تدبيره هذا ليس بِدعةً بل تدبيراً شَهيراً في السِّلك الرهباني.. في الواقع إن لم يعرف الراهب الجاد طريقه جيداً، ويضع هدفَه نُصب عينيه دائماً، ويقتني إفرازاً كافياً؛ سَتَكون رهبنتُه سِلسِلةً من المآسي والأحباط! فيُمكن القَول بأن طريق الرهبنة هو طريق **الأحزان**، ولَعَل هذا هو معنى قَول مار إسحاق: [إذا أردت اقتناء الفضيلة فسَلِّم نفسك **لكل حُزن**].

أيها المجاهد، لا تحزن كثيراً من ضُغطة ظروفٍ مُعاكِسة أو من وجود رُفقاءٍ (أشقِياء)، لأن غالبية القديسين لا يرتَقون بِواسطة صلاح إرادتهم وجهادهم وَحدهم، بل بهذه المَحَكَّات من الخارج، من البعض عن ضعف أو جَهالة ومن البعض الآخَر عن عدم تَقوَى، وإن كان بهذا أم بذلك فأشفِق أنت عليهم.. ومنذ زمن الكنيسة المُبَكِّر كان يوجد بها "إخوَة كَذَبَة" (٢كو١١: ٢٦؛ غل٢: ٤).

راهبٌ يقول لِأخيه كلمة صَعبة أو يُحزِنه بِأي نوع؛ فإن نُسكه وصلاته وتَلحينه لا يَسُر الله.

لابد للراهب المُجاهد من مُلاقاة الصعوبات أو الضيقات المُعاكِسة: يُظلَم، يُسلَب، يُفتَرَى عليه.. ويَذكر التاريخ الرهباني أنه طالما يسكن راهب في مجمعٍ فإنه لا يَسلَم من الوَقيعة! ولكن يَدا الله تتلقَّفان كل هذا وتَستخدِمانه لِفائدته، إن هو قبِله كما من يد الله. فقد تُسَخِّره يَد عِنايته إمَّا لِعلاجه وشِفائه من خطيةٍ مُتَخَفِّية داخل قلبه، وإمَّا لِتَنقِيَته من إحدى الأوجاع النفسانية، وإمَّا

لِحِفظه من الإصابة بإحدي المَذَمَّات البَغيضة كالبِر الذاتي أو المجد الباطل، وإمَّا لِتَزكِيته وتَرقِيته في السِّيرة الرهبانية العُليا، وإمَّا لِتَكميله في فضائل الروح القدس وأثماره النَّفيسة..

ما تعلَّمناه مِمَّن كانوا قبلنا نُخبركم به: قبِّل اليَد التي تَلطِمك مثل اليَد التي تُباركك، لأن كِلتَيهما تُقَرِّبانك إلى الله. وخِبرة الأيام تُبيِّن أن أكثر مَن يتسبَّبون في إيذاء شخص هُم أكثر مَن يتسبَّبون في نَفعِه الروحي، بل وفي خَيره الزمني، إن كان مُستقيم الغرض وقَويم المَسلَك.. أُذكر مَن هُم الذين تَسَبَّبوا في تمجيد يوسف؟ ومَن هو الذي تَسَبَّب في أن يصير بولا أولاً للسوَّاح..؟

وعن هذه الفضيلة يقول مار إسحاق: [إذا ما أفرَزتَ نفسك للتوبة؛ **فكُل يوم لا تُصادِفك فيه مَحقَرة لا يكون له حساب عندك**].. والأب يوحنا الدَّرَجي: [مَن يَعدو مُحاضِراً إلى اللاهَوَى ومن ثَمَّ إلى الله؛ **يَحسِب كل يوم لا يُغَيِّر فيه خسارةً كبيرةً له**. وكما أن الأشجار التي تهزُّها الرياح تتأصَّل أصولُها في الأرض؛ كذلك تترسَّخ نفوس المُقيمين في الطاعة، فلا تضطرب ولا تتزعزع].

فإن كنتَ أنت هو فثِق أن الرب معك، وأُذكر كلمات المزمور: "**سَلِّمْ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجْرِي... اِنْتَظِرِ الرَّبَّ وَاصْبِرْ لَهُ** وَلاَ تَغَرْ مِنَ الَّذِي يَنْجَحُ فِي طَرِيقِهِ، مِنَ الرَّجُلِ الْمُجْرِي مَكَايِدَ... **لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ**" (مز٣٧: ٥ـ ١٠). ويبقَى قَول السيد المسيح: "دَعُوهُمَا يَنْمِيَانِ كِلاَهُمَا مَعاً **إِلَى الْحَصَادِ**" (مت١٣: ٣٠).

وفَضلاً عن هذا؛ أُذكر أن أولئك الـ (أشقِياء) قد وَفَدوا من الدُّنيا مُجَرَّحين وبِالوقت سوف يَبرَأون. ولَو كنت أنت في ظروف أحَدهم فَلَعَلك ما كنت تحتمل. أفَلَسنا كلنا خُطاة؟ أفَلَسنا كلنا مَرضَى؟ كما أن العِبرة بالنهاية، لأنه قد تفتقد النعمةُ أحَدَهم ويستجيب هو لها فَيَفوق في تَوبته كثيرين.. أَطِل أناتك على مرض أخيك (مز٣٥: ١٣)، كَيما تَحمِلَك اليمين التي تَحمِل كافَّة الخليقة.

كُن خادماً وَسط آبائك، وكُن أباً وَسط خُدَّامك.

كُن اِبناً وَسط إخوتك، وكُن أخاً وَسط أبنائك.

الراهب والأب الروحي:

✝ اِعلَم أن الأب الروحي الحقيقي لا يوجد مثله كثيراً، فإنه لَمَّا أنشَد موسى النبي بِروح الرب: "...اِسْأَل **أَبَاكَ** فَيُخْبِرَكَ **وَشُيُوخَكَ** فَيَقُولُوا لكَ" تث٣٢: ٧؛ ذَكَرَ "شُيُوخَكَ" بِصيغة الجمع ولكنه ذكر "أَبَاكَ" بِصيغة المفرد.. اِسمع أيضاً ما يقوله الأب والوالِد بولس: "**يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ** أَيْضاً إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ" غل٤: ١٩، "لأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ **لَكُمْ رَبَوَاتٌ مِنَ الْمُرْشِدِينَ فِي الْمَسِيحِ لَكِنْ لَيْسَ آبَاءٌ كَثِيرُونَ**. لأَنِّي **أَنَا وَلَدْتُكُمْ** فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالإِنْجِيلِ" ١كو٤: ١٥

"تَاجُ جَمَال: **شَيْبَةٌ تُوجَدُ فِي طَرِيقِ الْبِرِّ**" أم١٦: ٣١. فَمغبوطٌ هو مِن الرب مَن يَجده. وقد قِيل في رهبنتنا بِأن المجمع الذي لا يوجد به شيوخٌ عَمَّالون في الفضيلة؛ الرهبنة تكون فيه عاقِراً.

✝ مثل الابن الصغير الغَض، الذي يلجأ إلى أبيه الحكيم في كل كبيرة وصغيرة، حتى يستطيع أن يقف على قدميه ويَشتَد ساعِده وتتصلَّب عِظامه، فَيستطيع أن يُواجه بنفسه مُعتَرَك الحياة كرجل ـ هكذا الراهب المبتدىء، واجبٌ عليه أن يلتصق بأبيه الروحي المُتَعَتِّق في اِختبار أنواع القِتالات والغالب فيها، في كل كبيرة وصغيرة، الروحية منها أو الفِكرية أو الجسدية، حتى إلى جَرعة الماء التي يشربها، كما علَّمنا الآباء. إلى أن يكتسب الإفراز الكافي والإرادة القوية والصلابة، وعندئذٍ (ينفَطِم) عن أبيه، ويصير رجل الله الذي يستطيع بِبركة أبيه أن يحارب بنفسه حروب الرب ويَغلِب فيها، لكن لا ينفصل عن أبيه.. فالأب الروحي، الذي عَيَّنه الله للراهب، هو كالأب البطريرك، لا يَحِل مَحَله أخَر حتى تَسكُن يَده، كما أنه هو وحده الذي يأخذ الراهب تدابيره منه. نعم يُمكِنه أن يتعلم من كل أحد لكنه يتسمَّع لِصَوت الله ويستقي كلام الروح للحياة وللخلاص من أبيه أكثر من أي أحد، من جهة الأعمال الروحية وأيضاً من جهة التصرُّفات الزمنية.

✝ ثلاثة تكون صادِقاً معهم، بلا تَحَفُّظ: الله، ونفسك، وأبوك. فَبِقَدر ما تكون أميناً في اِعترافك وكَشفك أفكارك لِأبيك الروحي؛ بقدر ما يُعطيه الله الكلام اللازم والمناسب لِخلاصك. وبِقَدر ما تكون أمامه كَمَن يُكلِّم الله؛ بقدر ما ستخرج الكلمات من فمه كما من فَم الله! كُن أمامه

صريحاً شفَّافاً، لا يمنعُك خجلُك من أن تكون أمامه ككِتاب مفتوح، وهو كطبيبٍ مُختبِر يعرف ضعف الطبيعة، والأدوِيَة المناسبة لها.

✝ عند اختيارك لِأبٍ روحي لك؛ اِسأل نفسك أولاً: هل أريده فقط أب اعتراف أُلقي عنده (نفاياتي) لكني أريد أن أسلك كما أرى؛ أم أنني أحتاج أباً مُدَبِّراً ومُرشِداً، أُطيعُه وأتَربَّى عليه؟ فإذا كنت تحتاج هذا الأخير؛ فَصَلِّ إلى الله أن يختاره هو لك، وانتظر أمامه حتى يُرشِدك أو يوجِّهك إليه.. وإذا ارتَأيتَ لك مُرشِداً، وكما قال الأب يوحنا الدَّرَجي: [**إختبِر مُرشِدك أولاً بحكمة وتجربة، لئلا تقع عند مريضٍ بدل الطبيب**].. وفِيمَ تختبر فيه؟ أن يكون مُتَأصِّلاً في الرهبنة شَبِعاً من أتعابها، رجل صلاة، مُحِبَّاً للهدوء، مَقوداً بِروح الله. أن يكون مَشهوداً لِصلاحه من غالبية المجمع، تستشعِر فيه كُلاً من: مخافة الله والروحانية والحكمة وروح الأُبُوة، تكون قد سمعت من قبل إلى إرشاداتٍ أو إلى عِظاتٍ قد وَجَّهها إليك أو إلى إخوتك واستَرَحت لها أو وجدتها في مَحَلها.. ومن الأفضل ألَّا يكون رئيساً، من ناحيةٍ فَلِكَي يكون توجيهُه لك حراً غير مُتأثرٍ بظروف المكان أو مرتبطاً بنوع العلاقة؛ ومن ناحيةٍ فَلِكَي يكون لَدَيه مُتَّسَعٌ من الوقت، لِيَسمعك بِطول أناةٍ ولِيَستَفيض هو في تَعليمك. لكن، وكما قال الدَّرَجي أيضاً: [**من بعد دخولك في طاعة أبيك لا تُفَتِّشه ولا تدِنه ولا تستبدله، بل لِيَكُن لك فيه أمانة**]، ومهما قال لك تَقبله كما من فم الله.

✝ أيُّما أنفَع لخلاص النفس، النُّسك أم الخدمة أم الدرس أم... أم الطاعة؟ دائماً الطاعة تَغلِب. من حيوية مبدأ الطاعة في الرهبنة أنها أحد الثلاثة نُذُور التي يتعهَّد بها الراهب عند تكريسه، لا لكي يضمن الدير إلتزامه بالخضوع بل لكي يُؤَمِّنه. لأنه إن لم يُلزِم الراهب نفسه بالخضوع فَسَيَحنَث بِنَذرِه: "فَتَقُولَ: كَيْفَ أَنِّي أَبْغَضْتُ الأَدَبَ، وَرَذَلَ قَلْبِي التَّوْبِيخَ! **وَلَمْ أَسْمَعْ لِصَوْتِ مُرْشِدِيَّ، وَلَمْ أَمِلْ أُذُنِي إِلَى مُعَلِّمِيَّ**" أم٥: ١٢، ١٣.. لقد صارت لفظة "الطاعة" مُرادِفةً للفظة "الشركة".

وعن ضرورة الطاعة للراهب؛ كتب الدَّرَجي أيضاً:

[كما يَضِل الطريق سريعاً مَن لا دليل له مَهما كان فَطِناً؛ **كذلك يهلك سريعاً مَن يسير في الطريق الرهباني وهو يتولَّى أمره بنفسه**، وإن كان مُتفقِّهاً بكل حكمة العالم].

[وقد قال الكتاب: **"اِثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ"**، أي خيرٌ أن يُشارِك الأب اِبنه في مُجاهَدة أهوائه بقوة الروح الإلهي... الأرواح الشريرة تُميت مَن يُصارِعها خلواً من عَضَد].

[ورأيت بينهم مَن كانوا يُقيمون في الطاعة منذ حوالي خمسين سنة، فتوسَّلْت إليهم أن يُفيدوني عن أيَّة تعزية جَنوها من مثل هذا التعب. فأجاب البعض بأنهم **إنحَدَروا إلى قَعر التواضع الذي يُبعِد عنهم كل قِتال**، وقال آخَرون أنهم **حازوا عدم التألُّم** بل عدم الانفعال بالكلية إزاء التعييرات والشتائم].

✝ هل لك إخلاصٌ ووفاء وأمانة في أبيك الروحي كما كان إخلاص ووفاء وأمانة يشوع لموسى رجل الله وإليشع لإيليا النبي ويوحنا لِرب المجد؟ أُنظر إلى أيَّة درجة كان حتى حامل سلاح شاول وفيَّاً له (١صم٣١: ٥)! قال أبا دانيال أن أبا أرسانيوس استَدعاه مرة وأوْصاه قائلاً: [كُن في صُلح مع أبيك، **حتى عندما يذهب إلى سيدنا يشفع أمامه فيك** ويكون لك خير].

قِيل في "بُستان الرهبان" أكثر من مرة؛ بِأن الراهب الملتزم بِطاعة أبيه من أجل الله؛ لَهُو أعلَى مَرتبة من المُجاهِد في الوَحدة!.. إنَّا ما قد تَعَلَّمناه في الرهبنة عن مبدأ وقانون وقاعدة طاعة الأب الروحي يجعلنا، إذا طلب مِنَّا آباؤنا أن نمشي على أيدينا بينما أرجُلنا مُنتصِبةً لِأعلَى؛ لَفَعَلنا!

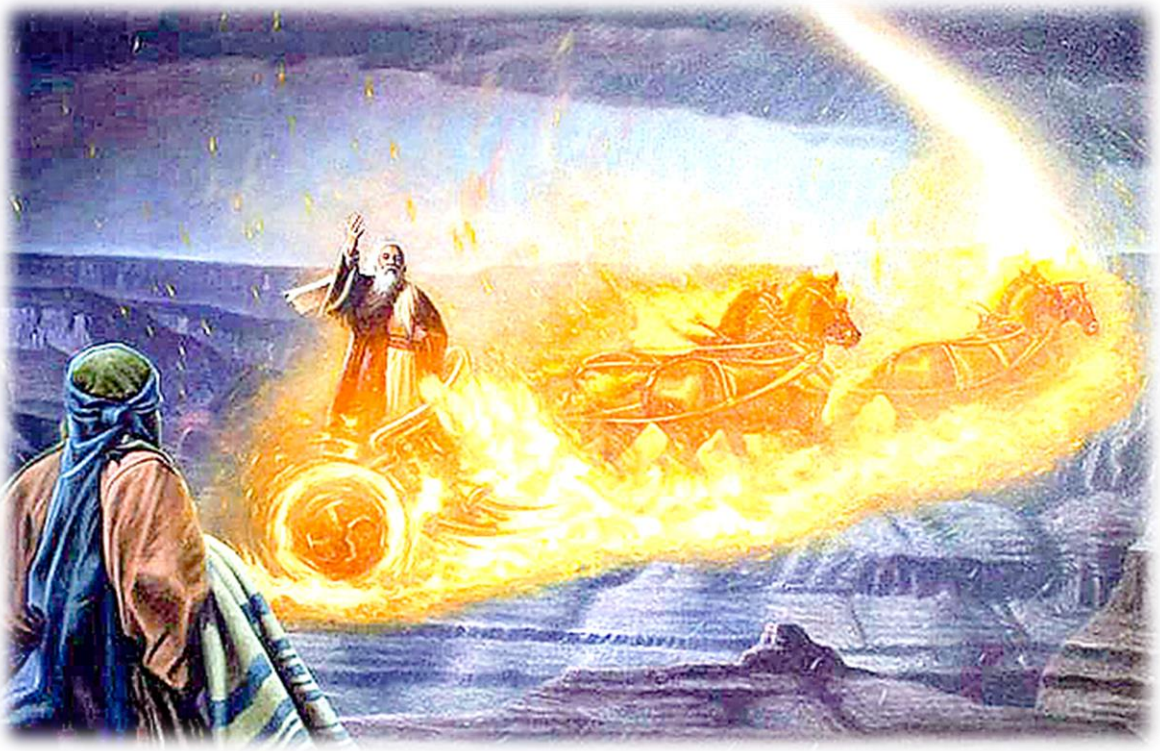

الراهب بين الإفراز (الحكمة/ المعرفة/ الفَهم/ الرأي...)؛ والتدبير:

"يَا ابْنِي لاَ تَبْرَحْ هَذِهِ مِنْ عَيْنَيْكَ. احْفَظِ **الرَّأْيَ وَالتَّدْبِيرَ**، فَيَكُونَا حَيَاةً لِنَفْسِكَ وَنِعْمَةً لِعُنُقِكَ...
يَا ابْنِي أَصْغِ إِلَى **حِكْمَتِي**. أَمِلْ أُذْنَكَ إِلَى **فَهْمِي**، لِحِفْظِ **التَّدَابِيرِ** وَلِتَحْفَظَ شَفَتَاكَ **مَعْرِفَةً**...
أَنَا **الْحِكْمَةُ** أَسْكُنُ **الذَّكَاءَ** وَأَجِدُ **مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ**" أم٣: ٢١، ٢٢؛ أم٥: ١، ٢؛ أم٨: ١٢

اِجتمع البعض عند أبّا أنطونيوس وتَباحَثوا في أيّ الفضائل أقدَر لِحِفظ الراهب من مَصائد العدو. فمِنهم مَن قال "الصيام والسهر"، ومَن قال "المَسكنة والزُّهد"، ومَن قال "الرحمة".. وبعد اِنتِهائهم من المُباحَثة قال لهُم أبا أنطونيوس: حقاً إن كل هذه الفضائل يحتاج إليها كل الذين يطلبون الله، ولكننا رأينا بعضهم قد حادُوا عن المَسلَك القويم، وسبب ذلك أنهم لم يستعملوا "**الإفراز**"..
وأيضاً يقول مار أفرام السرياني: [بغير طين لا يُبنَى البُرج؛ **وبغير معرفة لا تقوم فضيلة**].

الإفراز هو البصيرة المُستنيرة التي تُمكِّن صاحبها من التمييز بين ما هو ضار وما هو نافع، والتمييز بين ما هو نافع وما هو أنفَع. فكما يَستنير الجسد بالعَينَين الجِسّيَّتَين كذلك تَستضيء عَينا القلب بالتمييز.. فالإفراز في الجهاد الروحي هو الذي يحدِّد التدبير السليم لِاقتناء الفضائل وبُلوغ الهدف. التدبير السليم ينبُع من الإفراز ويَنتُج عنه، "لِتُعْطِيَ (الحكمة) الْجُهَّالَ ذَكَاءً وَالشَّابَّ **مَعْرِفَةً وَتَدَبُّراً**. يَسْمَعُهَا الْحَكِيمُ فَيَزْدَادُ عِلْماً **وَالْفَهِيمُ** يَكْتَسِبُ **تَدْبِيراً**" أم١: ٤، ٥.. إن الرهبنة ساميةٌ جداً، فبالرُّغم من أن مَبادِئها ثابتة إلَّا أنها مَرِنة غير جامدة، فيُمكنها أن تحتوي كل مُحِبّيها بحسب تَبايُنهم واختلاف ظروفهم، كما أنها تحتمل الاستِثناءات.. "**وتدبير العاقل** يكون مُرَتَّباً" (سي١٠: ١).

فمثلاً، الراهب ذو الإفراز إذا قُوتِل بِزيارة الدُّنيا؛ يُحَدِّث نفسه بأنه مثل السمكة إذا خرجَت من الماء تموت، هكذا الراهب إذا خرج من دَيره. وفي المُقابِل؛ إذا كُلِّف بِمُهمة خارج الدير يُحَدِّث نفسه بأن الراهب هو الراهب، في أي ظروف، طالَما التزَم بِحِفظ قانونه، مُقيماً بِمَقر الدير، ومُسرعاً إلى المِخدَع ذي الباب المُغلَق.. الراهبُ هو الذي يصنعُ مكانَهُ؛ لا المكانُ هو الذي يصنع راهبَهُ. وحالَما يُنهي مُهمته يُسرِع إلى دَيره وقلايته، مُتَرَنماً: "**اِرْجِعِي يَا نَفْسِي** إِلَى رَاحَتِكِ" (مز١١٦: ٧).

والراهب ذو الإفراز يعرف في أي المواقف يقبل المَظلَمة ويحتملها ولا يُبرِئ ساحَته منها، بل يقول "أخطأت" ويصمت؛ ويعرف أيضاً في أي المواقف يَدفَع عنه التُّهمة الموجَّهة إليه. ومثالٌ لهذا، إذا كان الخطأ موضوع التُّهمة فردياً خاصاً به وحده فهو يقبلها، أمَّا إذا كان بِفَضيلته يُشرِك معه آخَر أو آخَرين في المُعاناة دون اختيارٍ منهم، أو يكون سبب عثرة لأحد؛ فإنه يوضح الأمر.. لهذا كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [**لِتفحص بِانتباه ونُميِّز** متى ينبغي أن نحتمل طَعن الآخَرين بِنا لَدَى الراعي شاكرين وصامِتين؛ ومتى ينبغي أن نوضِّح له حقيقة الأمر. ويَلوح لي أنه علينا أن نصمُت في كل الحالات التي تُسبِّب لنا الهَوان، لأنها مناسبات رِبح لنا. أمَّا في الوِشايات التي تُسيء إلى شخصٍ آخَر غيرنا؛ فَيَجب الدفاع عنه وذلك حِفاظاً على رِباط المحبة والسلام].. وهكذا فعل مار أفرام السرياني، قبل الافتِراء أولاً لكنه عاد وبَرَّأ نفسه. كما أن أبَا أغاثون لَمَّا سَمِع أُناسٌ بِعِظم إفرازه وكَثرة دِعَته وأرادوا أن يَختبِروه، أتَوا إليه وتكلَّموا معه، ثم ابتدأوا يَنسِبون إليه مَذَمَّات الكِبرياء والهَذَر والاحتِيال؛ فقَبِلها منهم باتِّضاع، لكن لَمَّا نَسَبوا إليه مَذَمَّة الهَرطقة؛ أجاب: [حاشا وكَلَّا، إنِّي **لَستُ مُهَرطِقاً**]. فلَمَّا سألوه عن سبب اِحتماله منهم ما نَسَبوه إليه من مَذَمَّات لكنه لم يحتمل منهم مَذَمَّة الهَرطقة؛ أجابهم: [إن جميع ما تكلَّمتم به عليَّ قد اعتبَرتُه لِنفسي رِبحاً ومَنفعةً **إلَّا الهَرطقة**، لأنها بُعدٌ عن الله، وأنا لا أشاء البُعد عنه].

أيضاً الراهب ذو الإفراز يُفرِز الضيقة التي يجب عليه أن يحتملها، عملاً بِقَول الرب: "**وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي**" (مت١٠: ٣٨)، وكما قال أبا بولا: [**مَن هرب من الضيقة فقد هرب من الله**]، فيُميِّزها عن الضيقة التي ينبغي عليه الهروب منها، عملاً بِقَول الملاك لِلوط: "**اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ**، لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ... لِئَلَّا تَهْلِكَ" (تك١٩: ١٧).. وهكذا صنع الرب يسوع، ففي وقتٍ ما، لَمَّا "سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ" (يو٧: ٣٠؛ يو٨: ٢٠)؛ تَجَنَّب الظهور أمام الرؤساء الذين يريدون قَتله: "فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ. **فَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ أَيْضاً يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ علاَنِيَةً**، بَلْ مَضَى مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْكُورَةِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ، إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا أَفْرَايِمُ، وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ" (يو١١: ٥٣، ٥٤). لكنه في وقتٍ لاحِقٍ، لَمَّا قال: "قَدْ أَتَتِ

السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ" (يو١٢: ٢٣) دخل أورشليم دخولاً عَلَنياً اِحتِفالِيَّاً، ثم عِند سؤالهم عنه للقَبض عليه؛ قال لهم: "**أَنَا هُوَ**... قَدْ قُلْتُ لَكُمْ: **إِنِّي أَنَا هُوَ**" (يو١٨: ٥ـ ٩).

كذلك الراهب ذو الإفراز إذا قُوتِل بشهوة الخدمة؛ يُحَدِّث نفسه بأنه مسئولٌ عن خلاص نفسه هو وحده، أمَّا الراهب الخادم فهو ـ عَلاوة على نفسه ـ مسئولٌ عن خلاص كل مَن اؤتُمِن عليه، ولِيُتِمّ ذلك فإن جهاداً أكبر عليه قد وُضِع، فضلاً عن أن عمل الخدمة ليس كأحد الأنشطة، ولا هو مُسَمَّى وظيفي (position) في الرهبنة، ولا يكون بِرَغبة ذاتية بل هو دعوة إلهية: "**أَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئاً**"..

لكنه إذا دُعِي للخدمة؛ فإنه يُلَبِّي الدعوة غير مُشفِقٍ على ذاتِه: "الْكَأْسُ الَّتِي **أَعْطَانِي الآبُ** أَلاَ أَشْرَبُهَا؟" (يو١٨: ١١)، "هَئَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي أَنْ **أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلَهِي سُرِرْتُ**" (مز٤٠: ٧، ٨)، "لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي **وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ**" (أع٢٠: ٢٤).

ثم أن الراهب ذو الإفراز يعرف أن يستُر على أخيه الخاطئ في ذَلَّته، عملاً بِتعليم الكتاب: "الْمَحَبَّةَ **تَسْتُرُ** كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا" (١بط٤: ٨)، ومُتمثِّلاً بِتصرُّف أبًا مقار لَمَّا سَتَر على ابنه، فَطَوَّبه الله.. ولكن إذا كان الخطأ مُنافِياً لِلحق أو مُضاداً للإيمان أو مُناهِضاً (مُقاوِماً) للكنيسة، فإنه يكون "صَوْتُ **صَارِخٍ** فِي الْبَرِّيَّةِ" (مت٣: ٣)، فَيَشهد لِلحق: "**لَمْ أَكْتُمْ عَدْلَكَ** فِي وَسَطِ قَلْبِي. **تَكَلَّمْتُ** بِأَمَانَتِكَ وَخَلاَصِكَ. **لَمْ أُخْفِ رَحْمَتَكَ وَحَقَّكَ** عَنِ الْجَمَاعَةِ الْعَظِيمَةِ" (مز٤٠: ١٠)..

"واعقِد المَشورة مع القلب، فإنه ليس لك مُشيرٌ أنصَح منه.

لأن نفس الرجل قد تُخبِر بالحق أكثر من سبعة رُقَباء يَرقُبون من موضعٍ عال،

وفي كل هذه تَضَرَّع إلى العَلِي ليَهديك بِالحق في الطريق المستقيم" سي٣٧: ١٧ـ ٢٠

الراهب والتدبير الروحي:

ثلاثة أبعاد للتدبير الروحي:

١ـ المَبادئ:

أي القِيَم الروحية، وهى محبة الله والجهاد الروحي والإرادة الصالحة... وبالطبع فهى عامة يشترك فيها كل أولاد الله، رهباناً وعلمانيين.

٢ـ التطبيقات:

أي المُفاضَلة بين طُرُق مُمارسة المَبادئ: الزواج أم البتولية، الخدمة أم الرهبنة.. فالتطبيقات متعددة المناهج ولكل منهج خصائصه، ولهذا لا يتَّحد فيها كل الأفراد بل يَتبايَنون فيها. وتتوقف على الاختيار والدعوة الإلَهيَّين، كما على إرادة كل فَرد، ثم على قامَته الروحية وطبيعته النفسية وحالته الجسدية..

٣ـ المُلابَسات:

أي الإمكانيات المادية الزمنية والبشرية الظاهرة المُستعمَلة عند تطبيقات المَبادئ، كاختيار الدير، واختيار الأب الروحي..

وفي جميعها يحتاج العابد إلى التضرُّع إلى الله والتسليم الإيماني لِمَشيئته الصالحة حتى يَهَبه التدبير الأصلَح له بأبعاده الثلاث (المَبادئ والتطبيقات والمُلابَسات). أمَّا من جهته هو فإنه يحتاج إلى إفرازٍ وتَوازُن، فلا تَطرُّف يساراً (تَواكُل/ تَكاسُل..)، ولا تَطرُّف يميناً (شَطَحات/ تَعَجُّل..).

قال لي راهبٌ مَقولة يجب أن نُفَنِّدها:

قال بأنه ليس مُضطَّراً إلى الإلتزام بقانون معيَّن في عِبادته، مُعَلِّلاً فِكرته هذه بأنه (حُرٌ) في أُسلوب عِبادته، مُستشهِداً بذلك القديس الذي كانت صلاته هى فقط: (عصاتي ومِعزاتي، يا رب اِغفِر لي سَيئاتي)!.. فما رأي قُدسك أنت في هذا الكلام؟!

يا لَغَيِّ بَني آدم، الذين في عدم قبولهم لِحَقٍ ما يُنكِرون وجوده كليةً كَي لا يُفكروا في ما يُنكِرونه! فَيُوَبِّخهم المزمور: "أَحَقّاً **بِالْحَقِّ الأَخْرَسِ تَتَكَلَّمُونَ**، بِالْمُسْتَقِيمَاتِ تَقْضُونَ يَا بَنِي آدَمَ؟!" مز٥٨: ١. تِلك كانت هى فلسفة المَلاحِدة الذين اعتبروا أن الله يُقَيِّدهم فاستَنكَروا وجوده كليةً. وكانت هى فلسفة اللوثَريين الذين رفضوا الخضوع للسلطان الكهنوتي فاستَنكَروا سِر الكهنوت..

وهى هى فلسفة الراهب المُتواني الذي يعتبر أن القانون (قيودٌ) عليه كفرائِض ناموسية!

أقول له: لقد فاتَكَ أن تعرف أن ذلك القديس كان أُمِّيّاً ليس له ما لك من التعليم، حتى أن راعي البَلدة كان يجتهد في تَحفيظه الصلاة الربَّانية.. وأن الذين يتسنَّى لهم الانتقال من مرحلة الـ (قانون)، هُم الذين انتقلوا من مرحلة المُبتَدِئين إلى مرحلة المُتقدِّمين ومنها إلى مرحلة الكاملين، الذين وصلوا إلى حالة الصلاة الدائمة، الذين وصفهم مار إسحاق بأنهم [**طُول النهار يَبتَهِلون**].

فهَل لنا نحن المُبتدِئون ما لذلك القديس من نقاوة القلب التي أهَّلته لأن يمشي على الماء، ودون أن يشعر بأنه فعل شيئاً خارِقاً؟! وهل لنا رصيدٌ قديم من أعراق ودموع القديسين، التي حُسِبت لهم إستشهاداً؟! إن كُنا ونحن نَحبو على دَرب الرهبنة لا نحتمل قليل صلوات وصوم وميطانيات؛ فكيف نستطيع إحتمال المتاعب التي تأتينا من الخارج؟! ولا داعٍ بعد هذا لِذِكر حروب الشياطين: "إِنْ جَرَيْتَ مَعَ الْمُشَاةِ فَأَتْعَبُوكَ **فَكَيْفَ تُبَارِي الْخَيْلَ؟** وَإِنْ كُنْتَ مُنْبَطِحاً فِي أَرْضِ السَّلاَمِ **فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي كِبْرِيَاءِ الأُرْدُنِّ؟!**" إر١٢: ٥

دُعِيَ القانون "قانوناً" لا لأن أحداً فَرَضَه عليك، لكن لأنك أنت الذي تَفرِضه على نفسك كَي تُلزِم نفسك به. ومع هذا كله؛ إن كانت لَفظة "قانون" تُتعِبك فَيُمكِنك أن تُسَمِّيه "تدبيراً"..

القانون بِقَدر قامَتِك هو مِجذافي قارِب حياتك، هو الحافِظ لك إثْر تَقَلُّبات مِزاجِك الروحي.

كان أفضل لذلك الراهب بدلاً من قَوله (عصاتي ومِعزاتي)؛ أن يقول: "عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ". وكان أجدَر به أن يكشف فكرَهُ لِأبيه، إن كان له أب! أو يطلب منه تَقليل تدبيره اليومي من أن يَحِل تدبيره مُحاوِلاً بتلك الفكرة إسكات ضميره، مع أنه لا يمكن أن أباً يعطي إبنه تدبيراً يَفوق قامَته.

ما هو المُقوِّم والحافظ للمستوى الروحي؛ للراهب الذي يقوم بِقَضاء حاجات الدير خارِجَه؟

هذا هو: **تكميله خدمة أوقاته** (أي: أعمال عِبادته الخاصة/ تدبيره الروحي/ قانونه)، وهذا هو أيضاً مقياس أو مؤشِّر صِحة وسَلامة مَسيرِه.

وتعترض الرهبان الذين يقومون بهذا النوع من الخدمة ٣ إعاقات رئيسية:

١ـ إنشغال الفكر في الاهتمام بتدبير المَهام المُكلَّفين بها.

٢ـ صَرف كثير من الوقت في تنفيذ تلك المَهام.

٣ـ تَعَذُّر تَوَفُّر حجرة فَردية لكلٍ منهم، بِالمقر، يتسنَّى لهم من خلالها تكميل خدمة أوقاتهم.

ولِعِلاج هذا؛ يمكن أن تقوم بِتَقنين تدبيرك، فما لا تأخذه كله لا تتركه كله، وما نقص منه تَستَعيض عنه بِـ "صلاة يسوع"، ويمكنك تشغيل كاسيت السيارة على بعض تَسبِحة الإبصَلمودية أو صلوات المزامير والأجبِيَة. إن محبتك للمسيح هى التي تَجذِب قلبك إلى التوافُر على مُحادَثَته.

ألم تسمع أن الراهب إن بَقِيَ كثيراً خارج الدير يَخرُب، مَثَله مَثَل السمكة التي إن بَقِيَت كثيراً خارج الماء تموت؟ وإن لم تضبِط نفسك بـ "القانون"، مُصَلِّياً: "**حَوِّلْ عَيْنَيَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَاطِلِ**" (مز ١١٩: ٣٧)؛ فَستَجد نفسك بعد فترة وقد فَتُرْتَ وانحدَرْتَ تدريجياً عن قامَتك، فَصِرتَ كمثل (عاملٍ) في الدير وفي الظاهر لك شكل راهب (من خرج من ديره إتقَل تدبيره!).

إن المَسيرة الرهبانية هى "تدبير"، والحَيَدان عنه درجة واحدة في البداية يَصِل إلى مائة وثمانين درجة في النهاية، ذلك إن تَوَقَّف في نهاية!.. لا شيء أهَم لك من خلاص نفسك..

[ليَكُن لك حَدّاً وقانوناً في كل ما تُمارِسه، سواء كنتَ عائشاً في الطاعة (الشركة)

أم خارج الطاعة، وسواء في أعمالك الخارجية أو الداخلية...]

الأب يوحنا الدَّرَجي

الراهب والغَيبيات وأمور ما فوق الطبيعة:

ما أن يلبس الأخ الجديد الثوب الأبيض؛ إلَّا ويبتدئ فِكرُه (يَسرَح) في الغَيبيات، ويحاول اِستِخبار ما فوق الطبيعة المادِّية الأرضية. وما أن يجتمع بعض الرهبان إلَّا ويتطرَّق حديثُهم إلى الكلام عن الآباء السُّواح، ويتطرَّف إلى الخَوارِق التي اقتَرَنَت بِسِيَر القديسين الروحانيين، بِداعي التأمل أو التحدُّث بِعَظائم الله.. لكن هذا التَّوَجُّه ليس دائماً بِصالِحٍ، ومَشوبٌ بالأخطار، وحَتماً تكتَنِفه مَكائد الأرواح الشريرة. اِعلَم أنه كما أن طرق الخلاص مُتعددة كذلك مُتعددة هى طرق الضلال، فلَعَلك قرأتَ في البُستان عن قديسين ذَوي قاماتٍ روحية عالية، بعدما نَجَوا من حروب الخطية ونجحوا في اِقتناء الفضائل؛ ضَلُّوا بسبب فُضولهم الزائد في اِستِخبار عالم الروح!

أتُريد أن تستخبِر عالم ما فوق الطبيعة، عالم الأرواح؛ يَكفيك أن تعرف يَقيناً أن المسيح مخلصنا الصالح ساتِرٌ عليك وحافِظك مما لو كنتَ عرفتَه لَأصابك الخوف والاضطراب، وكثيراً ما يُرسِل قواته الملائكية وأرواح قديسيه لِنجدتك خِفيَةً، حتى تَعبُر زمان غُربتك بأمان!.. فلا تتَّجه إلى التفكير العميق فيما هو غير مَنظورٍ لك، عملاً بوصية الإنجيل: "**غَيْرَ مُهْتَمِّينَ بِالأُمُورِ الْعَالِيَةِ** بَلْ مُنْقَادِينَ إِلَى الْمُتَّضِعِينَ. لاَ تَكُونُوا حُكَمَاءَ عِنْدَ أَنْفُسِكُمْ" (رو١٢: ١٦). وقُل مع المُتَّضِع: "**يَا رَبُّ لَمْ يَرْتَفِعْ قَلْبِي وَلَمْ تَسْتَعْلِ عَيْنَايَ وَلَمْ أَسْلُكْ فِي الْعَظَائِمِ وَلاَ فِي عَجَائِبَ فَوْقِي**" مز١٣١: ١

في هذا يُنَبِّهنا القديس باسيليوس الكبير بِقَوله: [**لِنَصمت في كنيسة الله أمام الأمور الفائقة! ولنُمجِّد حقائق إيماننا، ولا نُقَتِّش بِالزيادة عمَّا يجب تَوقِيره في صَمت!**].

والأب يوحنا الدَّرَجي: [لا نُلام يا إخوة عند خروجنا من الدنيا على عدم اِجتِراحنا للعجائب أو عدم تَكَلُّمنا باللاهوت **أو عدم مُعاينتنا للرؤى**، لكننا سنؤدي حساباً لله بالتأكيد عن أننا لم نَبكِ دون انقِطاع... لا تَستَولِيَنَّ عليك تلك الأفكار الغريبة التي تَجنَح بك إلى **الفحص عن أحكام الله الغامِضة، أو عن الرؤى الممنوحة لبعض الناس**، مُوحِيَةً إليك خِفيةً بأن الرب يُحابي الوجوه، فإنه ثمرة الغرور وبه تُعرَف وتتَّسِم... **لا تُسرِع وراء مُعايَنة الأمور الإلهية** في غير وقتها، لكي ما تسعَى هى وراء حُسن تواضعك، وتقترن بك بِعُرس كُلي الطُّهر إلى دهر الداهرين].

الراهب وذِكر الموت:

المَوضِع المنطقي لهذا الموضوع هو آخِر هذا الفصل، لكن رُبما يكون مَوضعه الأهم هو في بدايته، وكما كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [كما أن الحاجة إلى الخُبز تفوق الحاجة إلى سائر الأغذية؛ كذلك فإن **الحاجة إلى الاهتمام بِذِكر الموت تفوق الحاجة إلى سائر الأعمال الروحية**].. ذِكر الموت تَوَجُّه روحي وذِهني، كُلما غَفَل عنه الراهب أُصيب ببُرُودة الحِس، حتى إذا عَرَض انتقال أحد إخوته يتأثر قليلاً ويقول في نفسه: "أنا الذي قد مُتُّ اليوم"، فَيَحضر الصلاة عليه لكن دون أن يُحدِث هذا عنده تجديداً يُذكَر، فَيَمضي إلى حالِه كَسابِق عهده بِاهتماماته الباطِلة وأهدافه المائتة!

ذِكر الموت يَكسِر حِدة شهواتنا. ذِكر الموت في داخلنا (مُنَبِّه) بَيولوجي يُوقِظنا لِفَجر تَوبتنا.. لَيت الراهب ـ وكل إنسان ـ يَضع ذِكر الموت نُصب عَينَيه في كل وقت وعند كل مناسبة، وإن أحكَمَ هذا فَليَحذَر ألَّا يُفلِت منه لأنه يَسهُل فُقدانه من جَرَّاء أسبابٍ كثيرة، وكما قال مار إسحاق السرياني: [**عَينا التاجر نحو البَر والراهب يَرمُق ساعة الموت**].

إن كان للإنسان العلماني اِهتماماته الزمنية الواجبة لكن ينبغي عليه ألَّا تُلهِيه عن خلاصه؛ فما عُذرُنا ـ نحن الذين تَجَرَّدنا مُسبَقاً لِمُلاقاة الموت ـ عن تَوانِينا عن تَرَقُّب الساعة التي يُوافينا فيها كمثل حاكِمٍ صارِم!.. إن تَوانَت أنفسنا وقتاً عن ذِكر الموت؛ فَلنُذَكِّرها بِلُجة النار الأبدية والعطش المُلهِب والظلام المُطبق والأشباح العادِمي الشفقة، حتى أننا بالخوف نُقَوِّم ما لا نقدر أن نُقَوِّمه بالمعرفة وحدها.. مَن يُداوِم ذِكر الموت ويتنهَّد هنا سوف يُداوِم التَّعييد هناك، والعكس صحيح، فلَم يكُن عند أبينا آدم ذِكر للموت وتَنَهُّد قبل المَعصية، وهكذا لن يكون لنا هناك بعد القيامة.

وفي المُقابل إذ أن العلماني المُجاهد، بجانب أهدافه الروحية السمائية؛ له أهداف (مَرحَلية)، كَرِعايته لِعائلته/ خدمة ما/ أعمال مقدسة...، وإذ يتأمل الراهب حياته ويجد أنها تَخلو من أهداف (مَرحَلية)؛ فقد يتردد بِبالِه ذِكر الموت، وهذا حَسَنٌ، على ألَّا يكون بسبب الفراغ الروحي. حَسَنٌ ألَّا يكون الراهب مرتبطاً بالأرض لكن لا ينبغي له أن يُحَدِّد آجال دعواته. ما دُمتَ في الجسد فأنت لم تُكمَّل بعد.. فقط عِش مع المسيح في اللحظة الحاضرة من الدعوة الحاضرة (جا٧: ١٤).

الراهب وحضور الكنيسة:

لماذا يتوجَّب أن يكون الراهب كَنَسِيًّا؟.. إن الراهب هو أولَى إنسان بالمذبح والليتورجيا الكنَسِيَّة، التي تشتمل على التسبيح، والكلمة، والإفخارستيا، والتَوَسُّل أمام الله عن أولاده وعن الكِرازة لِخلاص العالم وعن نجاة الخليقة وعن اِحتياجات القديسين والبشر.. يُشبِه هذا في العهد القديم تَكريس سِبط لاوي لخدمة المقادِس والقُدُسات. فالرهبنة هى قلب الكنيسة، (سِبط) المُتشفِّعين أمام الله في كنيسة أبكار العهد الجديد، مدينة الله الحي أورشليم السماوية، والراهب هو وَحدة تأليف الرهبنة، حسب المكتوب: "بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى **مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ**، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ **مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ** مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى **اللهِ** دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى **أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ**، وَإِلَى **وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: يَسُوعَ**، وَإِلَى **دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ**" عب١٢: ٢٢ـ ٢٥.. الراهب قريب سَحابة الشهود، وصديق الملائكة، "**رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ**" (أف٢: ١٩).

لكن كثيراً من الذين يَعتادون دخول الكنيسة ومُمارسة الطقوس الكنَسِية، أحياناً، يفقدون رَهبَتهم للمقادِس وللقُدُسات.. وماذا يكون الحال بالنسبة للراهب، الذي يعيش وينام ويقوم في دِيار بيت الله! فهو يسكن بِجُواره، وقد يُخطئ بِقُربه، وقد يذهب إليه بملابس القلاية، وفيه قد يتحدث أو يضحك!.. لَيت الراهب يشعُر بِرَهبَة بيت الله التي كان يشعُر بها قديماً. لِنرجِع يا أخي إلى سابِق عَهدِنا بِبَيت الله، وعند دخولنا إليه فَلنَقُل مع القائِل: "حَقّاً **إِنَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ** وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!... **مَا أَرْهَبَ هَذَا الْمَكَانَ!** مَا هَذَا إِلَّا **بَيْتُ اللهِ** وَهَذَا **بَابُ السَّمَاءِ!**" تك٢٨: ١٦، ١٧

قال مار أفرام السرياني:

[إني مُندهشٌ كيف أن البعض قد بلغ بهم قِلة الحَياء، حتى إنهم **بلا سببٍ معقول يتركون الخدمة الإلهية في الكنيسة ويخرجون** قبل إعطاء الحِل بالخروج (التسريح)].

والأسقف بوتين: [**إن نعمة الله لا تُفارِق بيت الله قَط**].

الراهب والهدوء:

المقصود بالهدوء هنا ليس هو البُطء بل الهدوء الروحي الذي يُعَبِّر عن السلام الداخلي، وفاعِلية النعمة والشَّبع الروحي في الإنسان الذي استراح فيه روح الله.. إن الهدوء صِفة ضرورية للحياة الروحية للراهب، وفي الحقيقة هو نتيجة طبيعية وسِمة ظاهرة للراهب الناضِج، تَكشِف عن روحانِيَّته وامتِلائِه. فهو هادئٌ في حواسه، هادئٌ في مِشيَته، في عمله، في كلامه، في أكله، وحتى في تفكيره.. لقد هجرْنا الدُّنيا المُضطَرِبة التي صارت كمثل آلةٍ صاخبة سِمَتُها المُميِّزة هى العَجَلة، والناس فيها كمِثل تروسٍ لا تهدأ، والحَقَّانِيُّون ليس لهم فيها مكان، وجِئنا لِنُمارس آدَمِيَّتنا المفقودة ونَحيا بُنُوَّتنا لله، ونَرهَبه بواسطة الهدوء، سِيَّما وأن الله يتراءَى في الهدوء ويتكلم في الهدوء.

تَحَكَّم في نفسك. إضبِط حركاتك. تَحاشَى الحركات العَفوِية أو الاندِفاعِية. اِجمع عقلك من الطياشة. اِحذَر الأفكار الفُجائية. اِحفظ حواسَّك من الجَوَلان. لا تملأ عينيك من وجه مُحَدِّثك. لِتكُن نظْرَتك لكل أحد بسيطة غير ثاقِبة. إضبِط لِسانك واقتصِد في كلامك: **"وأجعَلْ لِكَلامِكَ ميزانًا ومِعْياراً ولفَمِكَ باباً ومِزْلاجاً"** سي٢٨: ٢٥.. وبالإجمال؛ فكل كلمة أو حركة أو عمل تعمله لِيَكُن بِهدفٍ وبِحساب. لا تكُن كالعُصفور الذي لا يَهدَأ حتى في وُقوفه، بل كالحمام الهادئ، الذي له أوقاته التي فيها يَطير مُسرِعاً، لكن له أوقاته التي فيها يَسكُن في مكانه عالياً مُتأمِّلاً.

ألم تفكِّر من قبل لماذا تتواجَد أديرة الرهبان في الصَّحاري والجبال، حيث الظروف المناخية والطبيعية الشَّظفة، من حرارة وبرودة، وزواحِف وحَشَرات وهَوام متنوعة بلا عدد، وتَضاريس الأرض الصعبة، وبُعد المسافة عن أماكن الحصول على الاحتياجات...؟!

هذه المَعيشة في حَد ذاتها وحدها لَيست تقدمة وعبادة، لأنه إلى جانب الأديرة فهناك وحدات الجيش، وهناك العاملين في مشاريع الاِستِصلاح، واللصوص.. لكن كان هذا ليس غَراماً بِجَوِّها ورمالها وحَشَراتها، إنَّما، وإلى جانب هدف الهروب من الدُّنيا، فَطَلَباً لِهدوء المكان، الذي في سبيل حصول الراهب عليه يتحمَّل كل هذه الظروف، كَضَريبةٍ باهِظة اِضطرارية عن مَكاسِبه

الروحية العالية.. ينطبق على هذا مَثَل السيد المسيح عن الإنسان الذي وجد كَنزاً مُخفَىً في حقل، فاشترى الحقل، لا من أجل الحقل ولكن من أجل الكَنز المُخفَى فيه (مت١٣: ٤٤).

فَيَلزم لِاقتِناء هدوء النفس من الداخل هدوء المكان من الخارج أيضاً. وإن كانت ضريبة هذا هى مُعاناة الحَر والبَرد والحشرات والهَوام وبُعد المسافة عن إمدادات المجمع.. قالت الأم ثاؤدورة: [أن راهباً كان يسكن في موضعٍ حار، فكثُرَت عليه الهَوام وتعِب من ذلك جداً... فأتاه الشيطان في صورة مُفتقِدٍ وقال له: كيف تستطيع الإقامة بهذه القلاية التي تصنع الدُّود من شدة حرارتها؟! فقال له: **أمَّا الدُّود؛ فإني أصبِر عليه لأفلِت من الدُّود الذي لا ينام، وأمَّا الحَر؛ فإني أصبِر عليه كذلك لأنجو من نار جهنم**، فإن هذَين زائِلان وأمَّا ذلكما فَباقِيان. وبِصَبره هذا قَهَر الشيطان].

قد كُتِب أنه: [ينبغي للراهب أن **يشتري السُّكون** لنفسه بما عَزَّ وهان، **ولَو أدَّى ذلك إلى إصابته بخسارة جسدانية**].

ولنَذكُر قَول مار أفرام السرياني: [تَفَكَّر يا أخي بأن **ربوات الأقوال نهايتها السُّكون، فَمُحِب السُّكون لا يتألَّم** بشيءٍ من أمور الدنيا].

الراهب والضَّجَر:

الضَّجَر في "عِلم النفس الرهباني (النُّسكي)" هو أحد الآلام النفسانية لَدَى الراهب، وهو غير المَلَل، لأن الشعور به قد ينتاب الراهب حتى في غير وقت فراغ، ولكنه خليطٌ من مَشاعر المَلَل والكآبة والضِّيق والفُقدان والفراغ والغُربة والظُلمة في وضَح النهار وعدم العزاء، وأحياناً التذمُّر. "الضجر مَذاقَة الجحيم"!.. وأكثر أوقات الشعور به هو فترة مُنتصَف النهار، حتى دُعِيَ "شيطان الظهيرة".. إنه شعورٌ مؤلِم، إذا أجهَزَ على نَفسِية الراهب يجعله يشعر وكأنه يَختنِق!

وقد تكون أوقات فراغ الراهب بمثابة ثغرات في سُور حَقل كرومه، وإن لم يسدها تتسلَّل منها (ثَعالِب) الضجر المُفسِدة إليه، بل وتُعاوِد وتعتاد الدخول منها: "خُذُوا لَنَا **الثَّعَالِبَ الثَّعَالِبَ الصِّغَارَ الْمُفْسِدَةَ الْكُرُومِ** لأَنَّ كُرُومَنَا قَدْ أَقْعَلَتْ" نش٢: ١٥، كما يُحذِّر الأب إشَعْيا الراهب منه قائلاً: [إحفظ نفسك من **الضجر فإنه يُتلِف ثمرة الراهب**]. فأوضَح ثعالب أوقات الفراغ هو الضجر، ثم طياشة الفكر، واستخراج الخبرات المؤلمة من (أرشيف) الذاكرة، وضَوضاء الأوجاع...

الضَّجَر من مُلابَسات السيرة الرهبانية طِيلة حياة الراهب، فقد يتعرَّض له حتى في آخِر أيام حياته، وتسمح سياسة النعمة به لِنَفعه. وما هو النَّفع الحاصل من الضجر؟! لَعَله لكي تدفع النفس لأن تُدرِك عدم حقيقية هذه الحياة بالرُّغم من فوائد وتعزيات الحياة الرهبانية، فتتطلَّع إلى الحياة الأخرى الحقيقية. إن ضَوائق الحياة التي يسمح بها الله للراهب، مَشاعِره وأفكاره وحتى جسده، لا يهدف بها إلى إتعابِه وإحزانِه "**لأَنَّهُ لاَ يُذِلُّ مِنْ قَلْبِهِ وَلاَ يُحْزِنُ بَنِي الإِنْسَانِ**" (مرا ٣: ٣٣)، لكنها تكون هكذا سبب تعب وحُزن للراهب إذا فقط لم يتعلم هو منها ولم ينتفع بها.. عندما يَنتابك الضجر [**إلجأ بنفسك إلى الله فتستريح**]، ويمكن أن تقوم حينذاك **بعملٍ يَدَوي**.

وعن خطورة الضجر على الراهب كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [كل رزيلة غير الضجر تُبطِل فضيلة واحدة؛ **أمَّا الضجر فهو موتٌ كامل لكل فضائل الراهب**.. فَلنُقيِّد **هذا المُغتصِب** بِذِكر هَفواتِنا، ونَصفَعه بالعمل اليَدَوي، ونَجُره إلى المُحاكَمة بتأمل الخيرات المُنتظَرة].

الراهب وحروب الشياطين:

✝ يبدأ الراهب ويبدأ معه الله، والملائكة والقدِّيسون، ويبدأ معه أيضاً الشيطان وجنوده.. هذا ليس أسلوب مُبالَغة ولكنه حقيقة. فقد [قِيل: إن الأب الكبير أنبا موسى الأسود قُوتِل بِالزنا قِتالاً شديداً في بعض الأوقات، فقام ومَضَى إلى أنبا إيسوذورُس وشَكَى له حالَه، فقال له: اِرجِع إلى قلايتك. فقال أنبا موسى: إنِّي لا أستطيع يا مُعلِّم. فَصَعِد به إلى سَطح الكنيسة، وقال له: أُنظُر إلى الغَرب، فَنَظَر ورأى **شياطين كثيرة يتحفَّزون للحرب والقِتال**. ثم قال له: أُنظُر إلى الشرق، فَنَظَر ورأى **ملائكةً كثيرين يُمَجِّدون الله**. فقال له: أولئك الذين رأيتهم في الغَرب هُم **مُحارِبونا**، أمَّا الذين رأيتهم في الشرق فإنهم **مُعاوِنونا**. **ألا نتشجَّع ونتقوَّى إذاً ما دام ملائكةُ الله يُحارِبون عنا!**].

✝ إنتبه لأفكارك ومَشاعِرك دائماً فاحِصاً كلٍ منها، فالشرير لا يكُف عن تجربتهما.. وهذا مَبدأٌ:

الفِكر الذي يؤَرِّقك ليس من الله

✝ في حالة الصلاة خاصةً؛ يكون العقل الباطِن أكثرَ تَهَيُّؤاً لِاستقبال إيعاذات الأرواح الشريرة (أفكار / مَشاعِر / مَناظِر) والتأثُّر بها. فقد يشعُر المُصلِّي بِلَذَّةٍ عارِضة أو بِحَركةٍ مُباغِتة في الأعضاء، وبِانتهاء صلاته تبدأ تتلاشَى!.. لَعَل هذا كان معنى قَول أنبا موسى: [**كُن مُتيقِّظاً في صلاتك** لئلا تأكلك السِّباع الخفيَّة]، وقَول أنبا مقاريوس: [**إذا أقدَمتَ على الصلاة** فاحرِص أن تكون ثابتاً **لئلَّا تُسلِّم إناءك بِيَد أعدائك**، لأنهم يشتهون اختِطاف آنِيَتك التي هى **أشواق نفسك**...].

✝ جبهةٌ استراتيجية في القتالات الروحية؛ هى حروب الأفكار الخارجية الثَّائِرة على سالِكي طريق الرهبنة، بكل درجاتها، اِبتداءً من الراهب المُبتدىء بمجمع الشركة إلى المُخَضرَم في حياة التَوَحُّد، والعقل هو أرض المعركة. إنها معركة روحية حقيقية مستمرة.. فَيَنبغي على الراهب ألاَّ يكتِمها لِئلَّا تَثور عليه بالأكثر فتتمكَّن منه وتَقهَره، بل بالأحرَى يكشِفها كلها لِأبيه الروحي، الرديئة منها والجيدة، حتى لو كانت أفكاراً مُخزِية، حتى لو كانت ضِد أبيه الروحي، بل حتى لو كانت أفكار تجديف! فمجرَّد كَشفِها يُخَفِّف حِدَّتها كثيراً، ويُبَدِّد حِيَل العدو، ويَعصِم الراهب من السقوط في هُوَّة فِخاخه.

✝ إن ما يُزعج الأرواح المُحارِبة للرهبان ليس هو عمل الفضيلة في حَد ذاته؛ بِقَدر ما يكون جهادهم فيها بـ: إفراز ـ تَوَاصُل مع الأب الروحي ـ خِفيَة.

✝ أيَا راهب، يا جبَّار البَأس محارِب حروب الرب؛ سمعتَ هذا الفصل يوم تكريسك: "يا بُنَيَّ، إن أقبلتَ لخدمة الرب الإله فاثبت على البِر والتقوى **وأعدِد نفسك للتجرِبة**. أرشِد قلبك واحتمل. أمِل أذنك واقبَل أقوال العقل، ولا تَعجَل وقت النوائب. إنتظر بصبر ما تنتظر من الله. لازِمه ولا ترتدِد لكي تزداد حياةً في أواخِرك. مهما نابَك فاقبَله وكُن صابراً على صُروف اِتِّضاعك، فإن الذهب يمحَّص في النار والمَرضيين من الناس يمحَّصون في أتون الاِتِّضاع. آمِن به فيَنصُرك. قَوِّم طُرقك وأمله. اِحفظ مخافته وابقَ عليها في شيخوختك... أُنظروا إلى الأجيال القديمة وتأمَّلوا؛ **هل تَوَكَّل أحد على الرب فَخَزي أو ثبَت على مخافته فخُذِل أو دعاه فأُهمِل؟!** فإن الرب رأوفٌ رحيمٌ يغفر الخطايا ويُخلِّص في يوم الضيق..." سي٢: ١ـ ١٤. لهذا: "لاَ تَخَفْ، لأَنَّ **الَّذِينَ مَعَنَا أَكْثَرُ مِنَ الَّذِينَ مَعَهُمْ**" (٢مل٦: ١٦). أنت تُقاوم عدواً سبق أن سَحَق الله قوته، وهو يَقودُك "فِي مَوْكِبِ **نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ**" (٢كو٢: ١٤). الراهب الباسِل هو "**فَرَسٍ** فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ" (نش١: ٩) يعرف أنه في حالة قِتال، لكنه "**يَضْحَكُ عَلَى الْخَوْفِ** وَلاَ يَرْتَاعُ وَلاَ يَرْجِعُ... وَمِنْ بَعِيدٍ **يَسْتَرْوِحُ الْقِتَالَ**" (أي٣٩: ٢٢، ٢٥)، وتِلو كل انتصار يُسبِّح الرب: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ صَخْرَتِي الَّذِي يُعَلِّمُ يَدَيَّ **الْقِتَالَ** وَأَصَابِعِي **الْحَرْبَ**" (مز١٤٤: ١)، "فَدَى بِسَلاَمٍ نَفْسِي مِنْ **قِتَالٍ** عَلَيَّ" (مز٥٥: ١٨).

✝ الجَبهات الشهيرة في حروب الشياطين لِغالبية الرهبان:

١ـ حرب النجاسة:

في تَقويض الراهب لِنشاط إحدى غرائِزه القوية، الغريزة الجسدية، من أجل تَفَرُّغه كليةً للعبادة والحياة في ما للروح؛ فإن الأرواح الشريرة تَستغِل هذه المنطقة من جهاده كمَركز ضعف، حتى إنها إن لم تقدر أن تَدفعه عن طهارته؛ فهي على الأقل تُتعِبه وتُؤَرِّقه. فأحياناً يشعر الراهب أو البتول بتَوَقُّد الشهوة في داخله، في مَشاعره وفِكره وجسده، وتستمر تلك الحالة إمَّا لِساعاتٍ أو ليَومَين أو ثلاثة، وقد أكثر، كما لَو كان في حالة سَبي وظُلمة! ولاعتباراتٍ صالحة يسمح الله

بِسياسة النعمة ـ حِيناً ـ بتجرِبة الروح الشرير له هكذا، فَيَصير قَول الرب: "**سُلْطَانُ الظُّلْمَةِ**" (لو٢٢: ٥٣).. فعندئذٍ ينبغي للراهب ألَّا يعتقد في نفسه اعتقاداتٍ يائِسة، وألَّا يفقد رجاءَه، بل يتعلَّق بالرب، لأنه "**قَدْ جَعَلَ لِلظُّلْمَةِ نِهَايَةً**" (أي٢٣: ٣)، وهو "الَّذِي **أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ** وَنَقَلَنَا الَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ" (كو١: ١٣)، وهو نفسه القائِل: "كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي **لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ**" (يو١٢: ٤٦).. "لأَنَّكَ أَنْتَ سِرَاجِي يَا رَبُّ، **وَالرَّبُّ يُضِيءُ ظُلْمَتِي**" (٢صم٢٢: ٢٩).

٢ـ حرب الكآبة: أحياناً يمُر الراهب بِحالةٍ من الضُغطة أشبَه بِضَجرٍ ثقيلٍ طويل الأمَد، خصوصاً عند المتوحدين. قد تكون هذه الحالة قد تسبَّبت من ظروفٍ ما مُؤلمة مَضَت.. وقد تَعرِض له بلا سببٍ واضح! عندئذٍ، فغالباً ما يكون هذا الإحساس بالكآبة هو (رَشقة) بأحد سِهام الشرير.. صَلِّ، لا تأخذ حينئذٍ قراراً، أُخرج في الهواء لِبعض الوقت، اِصبِر وستَعبُر. تَذَكَّر مَشورة الكتاب:

"إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ فَلاَ تَتْرُكْ مَكَانَكَ، لأَنَّ **الْهُدُوءَ يُسَكِّنُ خَطَايَا عَظِيمَةً**" جا١٠: ٤

٣ـ حرب الرئاسة: يشعر الراهب بالامتِنان إذا ما وَقَّره مجمع إخوته، خصوصاً إذا اختاروه لِرئاسة. فَحتى لو كانت شهوته للرئاسة رَغبةً صادِقةً مِنه في الإضافة والتعديل؛ إلَّا أنها أيضاً (شهوة).

٤ـ حرب شهوة الكهنوت: سَيَلي الحديث عنها في موضوع "الراهب وخدمة الكهنوت".

٥ـ حرب تَرك الدير: ما أن تتكاثَر ضغوط الراهب، كالتعرُّض لمُضايَقات أو بسبب عملٍ شاق أو غَيره؛ إلَّا وتتولَّد لديه فِكرة تَركه لِدَيره. وبتكرُّر الضُّغطة تتكرر الفكرة، وكأنها الملجأ الذي يجد فيها الراهب عزاءه ورجاءه في الخلاص. وقد يُصوِّر له الشيطان بأن هذا هو الحَل الأمثل لاستِرجاع سلامه الداخلي وهدوء نفسه، ومُعَزِّزاً فكرته الخبيثة بِذِكر أمثلة لآباء رهبان ـ صاروا فيما بعد ـ ذَوي قاماتٍ روحية عالية، أو رُعاةً، كانوا قد تركوا دَيرهم هرباً من عثرة أو طلباً لظروفٍ أكثر مناسَبة لتحقيق أهدافهم الروحية.. وتظل الفكرة تُلِح عليه حتى تصِل به إلى مرحلة القرار.

هى حرب فِكرية شهيرة في السِّلك الرهباني، لا تحتاج منك إلَّا أن تنشرها أمام الرب على مذبح صلاتك، وألَّا (تتهوَّر) بِالتجاوُب معها بل تَكشِفها لأبيك، فإنك بعد قليل سَتَرى كَم كُنت

مُجرَّباً بها! لكن اِعلَم أن تلك الضغوط هى من تَضاريس (مُرتفَعات ومُنخفَضات) الطريق، وأنها هى هى التي سوف تجِدها في أي مجمع بَشَر آخَر.. ولكن متى يجوز لِراهبٍ أن يترك دَيره؟

الموضع الذي يجوز لك أن تتركه بإرادتك؛ هو الموضع الذي يدفعك إلى الخطأ فيه بغير إرادتك

نعم قد يكون انتقال الراهب أمراً ضرورياً له، لكن هذا من الاستِثناءات، وينبغي أن يكون مؤيَّداً من روح الله، ومَصحوباً بسلامٍ وعزاءٍ روحي، حسب المكتوب: "بِفَرَحٍ تَخْرُجُونَ وَبِسَلاَمٍ تُحْضَرُونَ" (إش٥٥: ١٢).. في هذا الأمر كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[مَن عَقَد النِيَّة في سَريرة نفسه على **ألَّا ينصرِف من ميدان المُصارَعة حتى النفس الأخير**، ولَو تَحَمَّل أُلوف الميتات في جسده ونفسه؛ لن يَعثُر بسهولة بِأيٍ من هذه الشوائب وأمثالها، لأن **ارتِياب القلب وعدم أمانته للمكان يَؤولان به دائماً إلى التَعَثُّر والسقوط. فالجانِحون إلى الانتقال من مَواضعهم بِأيسَر مَرام يفشلون كلياً**، إذ لا شيء كَعَدَم الصبر يُنشِئ عدم الإثمار].

[ولْيَصِر لك ذاك المكان قبراً قبل القبر، فإنه لا يخرج أحدٌ من القبر قبل القيامة. **وإن كان قد خرج البعض من دَيرهم؛ فانظر: أنهم قد ماتوا**].

ومع هذا كله فإنه، وكما قال أبَّا أنطونيوس: [إن الله لا يَسمح للقِتالات في هذا الجيل أن تشتَد كما أذِن لها في الأجيال الغابِرة، لأنه يعرف أن البشر الآن أكثر ضَعفاً ولن يستطيعوا احتمالها].

الراهب والنساء:

✝ عندما يقول الإنجيل المقدس: "**كُونُوا رِجَالاً**" و: "**جُنْدِيٍّ صَالِحٍ**"؛ فإنه يَعني الرجل ويَعني أيضاً المرأة. وعندما يقول: "**عَذْرَاءَ عَفِيفَةً**" و: "**عَرُوسُ**"؛ فإنه يَعني المرأة ويَعني أيضاً الرجل.

✝ عجِبت لِامرِءٍ وُهِبَ إمكانيات التَّرَهُّب وإمكانيات التَّزَوُّج، والاختيار بينهما، فاحتقر الأول وتبِع الآخَر!.. إن مَن قد تأجَّجَت محبةُ المسيح في قلبه، لكنه بِاختياره وضع عُنُقه تحت نِير الزواج؛ فَلَسوف يعيش وقلبُه مُنقَسِماً بين اشتِياقاته الروحية القديمة وبين التِزاماته الاجتماعية الواقعية!

"إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ، **فَلِذَلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ**" (لو١٤: ٢٠). عن مثل ذلك الإنسان قال الأب يوحنا الدَّرَجي: [أمَّا المُرتبط بِأعمال هذا الدهر دون أن يكون مُتزوجاً؛ فيُشبه مَن أُوثِقَت يَداه فقط، ولِذا لا يوجد ما يمنعه من الانخِراط في السِّيرة الرهبانية متى شاء. **وأمَّا المُتزوج فيُماثِل مَن قُيِّدَت يَداه ورِجلاه معاً**].. "وَلَكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ" (مت١٩: ٢٦).

✝ الطبيعة المُلِحَّة للمرأة هى في أن تكون زوجةً وأُمَّاً، لِذا فالعجب من اِمرأة تختار أن تترهَّب، وبالأكثر من التي هى بِالحقيقة راهبة!.. كُتب أن: "نِسَاءٌ... **تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ** حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ اللَّوَاتِي **صَعِدْنَ مَعَهُ** إِلَى أُورُشَلِيمَ" مر١٥: ٤١.. فَهَلَّا تكون لك شجاعة إحداهن؟! إن أولئك اللَّائي لازَمنَه حتى الصليب؛ هُن اللَّائي فُزنَ بِرؤيته أولاً بعد قِيامته.

اِتبَعه بِالكُلية في (جليل) المجمع، ثم اصعد معه إلى (أورشليم) الانفِراد والسكون.

✝ اِحفظ جسدك مُحتجِباً: فَليكُن رأسُك مُغَطَّى إلى جِلبابك، شَعرك وأُذنَاك ورقَبتك وقَفاك وصدرك، وليكُن ثَوبك واسِعاً قليلاً عن مَقاسك، مُتماسِكاً غير فِضفاض، ومن مَلابِسك الجُوَّانية ما لا يَبرُز رَسمُها، مُرتَدِياً بنطلون من تحت جِلبابك حتى في وقت الحَر، وفي الكنيسة غَطِّ قَدَميك بِجَورَب (شراب). أمَّا داخل قلايتك وأنت بِمُفرَدك فلا تَلبَث بِغَير ما يُغَطي ذِراعَيك وساقَيك.. أعرف أنني أكلم رهباناً وليس فقط راهباتٍ، فالاِستِتار هو سِمَة مَن صار للرب "**جَنَّةٌ مُغْلَقَةٌ. عَيْنٌ مُقْفَلَةٌ. يَنْبُوعٌ مَخْتُومٌ**" (نش٤: ١٢).

✝ توجد خُصومة حقيقية لكنها صالحة بين الراهب، إدراكه ووجدانه ونُزوعه طِيلة سِني رهبنته، وبين كل ما يمتُّ بِصِلَةٍ لِلأُنثى. هذا التَّوَجُّه ليس بِجَديد؛ بل ما قد أجمَعَت عليه نصائح جميع الآباء.. (ذُكِرَ في سِيرَة الأب "تشاربِل"؛ أنه إذا أجابَ على امرأة تُكلِّمه؛ كان يُكلِّمها بِصِيغة المُذكَّر).

لا تتعجَّب من هذا. وإن قُلتَ: إن هذا غير مَنطقي. أُجيبُك: كثيراً ما تبدو الحياة الرهبانية ـ بل والحياة المسيحية ـ غير مَنطِقية، أو بِالأحرَى فوق المَنطِقية. لأن الحياة الرهبانية تتَّصل رأساً بالأمور الروحانية فوق المَرئِية وفوق النفسانية، وبالتالي تتفاضَل على مَنطق ونُظُم الحياة الزمنية، حتى تأخذ سُلوكياتُها أُسلوباً يبدو أنه غريب. وبُرهان هذا؛ فإنه ما السبب (المَنطقي) في مُفاضَلة الراهب عدم أكل اللَّحم، أليَس اللَّحم طعاماً مُحَلَّلاً؟ وكَذا في وُجوب هروب الرهبان من مُلاقاة العلمانيين، أليَسُوا هُم خليقة الله وإخوتنا الأحِبَّاء؟ وكذا في وصية أبًّا مقار لِأولاده أن يهربوا إن رأوا زراعة الشجر تقترب من قَلاليهم، أليَس الشجر نافعاً على وجوهٍ كثيرة؟! بل أن شجرة معرفة الخير والشر عَينها؛ أيَكون الله قد خلقها غير مقدسة حتى يُوصي أبانا آدم بِعَدم الأكل منها؟!

وإجابة أخرى لِسؤالك؛ عند تَعامُل اِمرأة مع رجل (الراهب)، تتعامل بخصائص طبيعتها، التي تظهر في سلوكياتها الخاصة.. قد تكون سلوكياتها هذه عَفوِية وقد تكون مُفتَعَلة مُتكلَّفة، وهذه هى التي تُعثِره، بِالرُّغم من أنها تَعلم أنها تتعامل مع راهب، ولماذا؟ لأنها ما زالت تعيش في الجسد. وحتى لو كانت سُلوكياتها بَريئة فلا يتجاهل هو المَيل الطبيعي للنوع نحو النوع الآخَر، فهذه هى طبيعة القُطبَين: القُطبان المختلفان يتجاذَبان، وعلى هذا القانون تكون طبيعة الغريزة الجسدية.. إن مُجاذَبة الأُنثَى للرجُل؛ من التأثير النفسي بِحَيث يَحجُب عن عَقلِه معرفتَه ويَطغي على إرادته. والمَيل الغريزي لَدَى الراهب هو كَموقِد نار ينفُخ فيه الشيطان بِصورةٍ أكبر عندما يجِد له وقوداً قريباً منه.

لهذا فإن تدبير الراهب المقابل للإفلات من هذا القانون، ليس هو مُصارَعته بل الخروج التام من مجال جاذِبيته الغَريزية. ومن هذا المُنطَلَق جاءت نصائح قِدِّيسي "بُستان الرهبان" أن: [**لا تنظر** إلى امرأة.. **لا تُحادِث** امرأة.. **لا تأكل** مع امرأة.. **لا تَدَع** امرأة تَقرُب إليك...]، حتى لَو كانت فاضلة ومُعَلِّمة، ولَو كانت عجوز ودَميمة، ولَو كانت طِفلة صغيرة. لا تَحتَضِن طِفلة ولا تُداعِبها.

✝ كما قد يَعثُر الراهب من نساء علمانيات هكذا قد يَعثُر من نساء راهبات! فالراهب هو رجُل والراهبة امرأة، وسَتَظل الطبيعة كما هى طالَما كانا ذَوي جسد، وكِلاهُما مُتبتِّل وكِلاهُما مُتوجِّع..

كان راهبٌ مُسافِراً، فجاءَه الشيطان من خَلفِه في هَيئة راهبة حسنة المنظر جداً وقائلةً له: "مَرحباً يا أبَّا"، فأجابها: "سلامٌ لك يا أمَّا"، ثم انجَذَبَ من شَهوته نَحوها فصَفَعَته واستهزأت به!

في هذا الأمر أيضاً يقول الشيخ الروحاني:

[**لِيَفِر من لقاء الراهبات ومؤانَستهن ونظرهن** كالهارِب من فَخ الشيطان، **لئلا يتَّسِخ بِحَمأة الأوجاع النجسة**، حتى وإن كانوا إخوته بِالطبيعة].

لكن ما يُمَيِّز نَذيري الرب هو أنهم حاصِلون من روحه القدوس، روح العِفة، على نعمة خاصة تُمَكِّنهم، طالما أرادوا، ليس فقط من الحياة البتولية؛ وإنما أيضاً من التَّسامي والحياة بحسب الروح.

✝ خطرٌ على الراهب الذي ـ لسببٍ خاصٍ به أو بالدير ـ يتواجَد خارج دَيره أو مقرِّه بمُفرَده! فَسَيكون حينذاك بالنسبة لِأعدائه الخَفِيين كمثل فَريسةٍ سهلة طالَما انتظروا فُرصةً لِاصطِيادها، وها هى الآن وحيدة عن القطيع (الراهب بعد السُّور زَي غزالة عَند نمور!). فإن لَدَيهم الكثيرات من أعوانِهم من **النساء المُحترِفات** في نَصب الشِّباك، حتى داخل الأماكن المقدسة، للإيقاع بالرجال بل صَدِّقني وبالرهبان منهم، كلٌ كَيفَما يناسب طبيعته. فالواحدة مِنهن تتظاهَر أولاً بِالوَرَع وبِالوَقار، ثم بِطلب المشورة، ثم تَتَوَدَّد إليه قليلاً قليلاً كما تقترب الحيَّة من فَريسَتها، إمَّا بالمَدح وإمَّا بِعَرض الخدمة، ثم **بِطلب تسجيل رقم الموبايل**، وبِفنونٍ أخرى.. اِعلَم أنك إذا أعطيتَها رقمك؛ فقد باتَ سقوطك مؤكَّداً! ولكي تُفلِت هارِباً من هذه المِصيَدَة؛ **فَعَلَيك بِتَحطيم شَريحَتك الآن**.

إنها **تجرِبةٌ صعبةٌ للغاية**، مُتوقَّعة ومُتخفِّية ومُباغِتة، **وخسارتها جَسيمة!** أنصحك بِألَّا تُعَرِّض نفسك لها (مت٦: ١٣)! لا تثِق بِذاتك ولا تَعتَد بِانتصاراتِك الماضية: "لاَ تَسْتَكْبِرْ بَلْ **خَفْ!**" (رو١١: ٢٠)، "لأَنَّهَا طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرْحَى **وَكُلُّ قَتْلاَهَا أَقْوِيَاءُ**" (أم٧: ٢٦)، ومن قَبلك مَن كانوا جبابرةً لكنهم سَقَطوا، والتاريخ الكِتابي والرهباني زاخِرٌ بِالأمثلة.

أنت في المَقر؛ فأنت على نحوٍ ما في الدير، وحال خروجك من بابِه فقد دخلتَ مجال العالم. الراهب المُرافق عَضَدٌ لك، روحياً ونفسياً وجسدياً، فإن كنت خارج دَيرك أو مَقرّه؛ فَليَكُن معك أحد إخوَتك، ولا تَفترِقا أحدكُما عن الآخَر حتى رجوعكُما، لِتتحاشَى فِخاخ المُجرّب أصلاً.

✝ منذ القِدَم كثيراً ما كان سبب إمالة قلب رجال الله العِظام، عن قصد؛ هو المرأة. أمثال: آدم، شمشون، داود، سليمان، وغيرهم.. فمثلاً سجَّل الكتاب عن سُليمان أنه بسبب المرأة: "**قَلْبُهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ**" (١مل١١: ٩). هكذا فإن المَدخَل الرئيسي والفعَّال الذي تستغِلُّه الأرواح الشريرة لإمالة قلب الرجل عامةً، والراهب بِصِفةٍ خاصة؛ هو المرأة.

ليس فقط عن طريق الجسد، لأنك بِواقع الحال بَتول الجسد، بل أيضاً عن طريق العاطِفة. أتَعلَم أن أول خطية لِأول إنسان، آدم، لم تكُن خطية جسد بِأكلِه من الشجرة، بل خطية عاطِفة؟ فَلَم تكُن عاطِفته مُوجَّهة لله. بِدليل قَول الوَحي: "وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِيناً **نَظِيرَهُ**" (تك٢: ٢٠).

لهذا؛ فَمع بتولية جسدك اِحفظ بتولية عاطِفتك أيضاً سالِمة. اِجعل عِفَّتك تمتد لتشمل التَرَفُّع عن مشاعِر الطبيعة التي نَحو المرأة: التي نحو واحدة بِعَينها، والتي نحو المرأة إطلاقاً، لا سِيَّما ـ وكما يَذكُر تِعداد السُّكان ـ أن عدد الإناث يَفوق عدد الذكور بمقدار أربعة أضعاف، مِما يؤدي إلى زيادة ضغط مُجاذَبتهن للرجال، والرهبان غير مَعفِيين!

يا أخي، إن الذي يتسبَّب في عَثرة الراهب فيُدَنِّس مشاعِرَه أو فِكرَه، أكثر من اِمتلاء البَطن وأكثر من قوة الغريزة الجِسمانية، بل وأكثر من مُجاذبات أرواح النجاسة عَينها ـ هو مُلاقاة النساء والنظر إلَيهن، حتى ولو بدون تعامل مباشر، التي في الحاضِر أو التي من الذَّاكرة، الأمر الذي تَدعَمه طريقة المَلبَس التي تتَّبِعنَها غالِبيَّتهن.. فالمناظِر وَقود الأوجاع ومادة المُحاربات. ويزداد الأمر حِدَّة لو ترك الراهب لإحداهن أن تتكلم معه بِدالَّة، حتى ولو لم يكُن يعرفها.

إن كان الراهب عَمَّالاً فَسَيَعرف قيمة هذا الكلام، مُبتدِئاً كان أو مُتقدماً أو حتى كاملاً بَرُءَ من الأوجاع. لأنه ليس السبب الوحيد لهذا التحفُّظ هو الأوجاع، فالذين أدركوا الفلسفة الروحية

للرهبنة يَرومون العَودة إلى طقس الرهبنة الأول، كآدم حينما خَلَقَه الله وحده أولاً، وليس كما فعل حينما أعطَته حواء لِيأكل مثلها. حتى أن بعض الرهبان قد تقلَّدوا تدبيراً رهبانياً بأنهم لا يأخذون طعاماً من يَد امرأة، ولِسان حالهم قائِلٌ: "مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ"، إنه بِلُقمَةٍ من مثل هذا طُرِد أبي من لَدُن الله!.. إصبِر قليلاً، فهناك ليس جنس وجنس آخَر ليس وجَع ولا تجرِبة ليس عَثرة ولا دَنَس.

✝ إذا كنت قبل رَهبنتك قد سمحت لإحداهن أن تكون لها عندك دالَّة خاصة، أو حتى إذا كانت لك قبل رَهبنتك علاقة عاطفية مع امرأة، ثم بعد أن ترهَّبت ـ ولسببٍ أو لآخَر ـ ظهرت تلك في دَيرك الذي أنت به، وأرادت أن تتجاذب معك أطراف التعامل، ولو باحتشامٍ مُصطَنَع ـ فاعلَم أن الغضب يمشي خلفها، والتجرِبة تُلَوِّح لك.. فما هو التصرُّف الصحيح إزاء تلك المرأة، التصرف الذي إذا تصرَّفت تصرفاً آخَر غيره بِتَّ في خطرٍ مُحَقَّق؟! لا أقول لك تَجَنَّبها، لأنها قد لا تكُف عن مُلاحَقَتك ولو وراء قِناع البَراءة الأخَوِية. ولا أنصحك بالاعتِذار المُتأدِّب لها بأنك بِكَونك راهباً لا ينبغي لك مُقابلة الضيوف. ولا حتى بالحَزم عند لُزوم الرَّد عليها؛ بل "الزَّجْر"!

نعم، ليس أمامك سِوى الانتِهار الحاد، كُن صارماً، بل فَظّاً، معها بصورةٍ تَصدِمها. لا تُشفِق ولا يتشكَّك ضميرك بأنك قد تُعثِرها فيك أو في الرهبنة. أُقتُل عاطفتها القديمة الأُنثَوِية من نَحوك بِسِكِّين الإفراز: "اِقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ" (مت١٨: ٨).. أُذكر تصرُّف القديس أرسانيوس إزاء المرأة التي سَعَت وراءه من روما عَبر البحر المتوسط، إلى مصر، فَبَرِّية الإسقيط، في ذلك الزمن الذي كان السَّفر فيه صعباً وخَطراً، خصوصاً وهي امرأة. كل هذا لأنه كانت لها معرفة قديمة به (ورُبما كانت تَهواه).. كما أن مار أفرام السرياني عندما أرادت إحداهُن ـ في وقتٍ ما كانت تسكن مُقابِله ـ التَّوَدُّد إليه، سألته إن كان مُحتاجاً لِشيء؛ أجابها: "إني محتاج إلى طوبتَين وبعض الطين لأسُد بها الطاقة التي بيني وبينك".. لا مانِعٌ من أن تتظاهَر ـ تدبيرياً ـ بالخروج عن اللياقة الرهبانية، عَرَضاً، لِخلاصك. هذا إن كنت تريد أن تستمر في دَيرك وفي رَهبنتك بِسلام!

✝ راهب يريد أن يحضر حفل زواج أو خطوبة في هذا الزمان؛ هو وديماس صِنْوان (٢تي٤: ١٠)!

الراهب وخدمة الكهنوت:

أيّا راهب، إذا كنت ترغب في أن تَصير كاهناً؛ إطَّلِع على هذا أولاً..

قد تكون قبل تَرَهُّبك مُعلِّماً أو مسئولاً، ولك باعٌ في الخدمة في كنيسة المسيح الرب، ولَمَّا تَرَهَّبتَ كان من المتوقَّع أن تُكمِّل حياتك بالطريقة عَينها.. لكن اِسمح لي أن أُذَكِّر قُدسك بأنك لَمَّا قَصَدتَ الرهبنة؛ كنتَ مُعتبِراً في نفسك أنك لَستَ آتٍ من أجل أن تُعلِّم أو تُدبِّر، بل من أجل أن تكون تلميذاً، مُنفِّذاً لِما يُوَجَّه إليك، وواضِعاً نصب عَينيك أنك ستكون مؤخَّراً لا مُقدَّماً، وكَقَول القديس غريغوريوس ثيؤلوغوس: [إنزِل يا أخي عن الكراسي واترُكها لمُحِبِّيها، وكُن مِثلي **فقد آثرتُ أن أكون صَبِياً وتِلميذاً في سائِر عُمري**].. فإن كنت تسعَى في طريقٍ آخَر غير طريقك الرهباني تكون تَعرُج بين الفِرقَتَين.. الكهنوت لا يَسعَى إليه مُريدٌ ولا يَستَعفي منه مَدعُوٌ.

الراهب الحَق هو مَن قد عَزَفَ عن كل سُلطة وقِيادة، والكهنوت في الرهبنة هو استِثناء، فهَل صار الاستثناء قاعدة؟! وهل يُجامِلون كل راهب يوم تكريسه قائلين: (عُقبال الكهنوت)، وكأن الكهنوت قد صار حقاً مُكتسَباً للرهبان؟! قديماً لم تكُن قِسمة الكهنوت مَشاعاً في الرهبنة، بل كان للجماعة الرهبانية كلها كاهنُها الشيخ، فقد قَرَأنا عن "قِس القلالي" و "قِس الإسقيط" و "قُمص شيهيت"، أو كان أبُ الجماعة يَستدعي كاهنَ كنيسةِ مدينةٍ مُجاوِرة لإقامة الإفخارستيا.

لأنه في الكنيسة لا ينبغي أن أحداً يدعو نفسه إلى وظيفة طقسية، أو وظيفة تعليمية، أو وظيفة رَعوية. لأن كنيستنا ليست مؤسَّسة بشرية، بل حقل كَرمةٍ إلهي يَرعاه الله بنفسه: "غَنُّوا لِلْكَرْمَةِ الْمُشْتَهَاةِ: **أَنَا الرَّبُّ حَارِسُهَا**. أَسْقِيهَا كُلَّ لَحْظَةٍ. لِئَلاَّ يُوقَعَ بِهَا **أَحْرُسُهَا لَيْلاً وَنَهَاراً**" (إش٢٧: ٢، ٣)، يُعَيِّن الروح القدس فيها مَن يشاء: "وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ... وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ **قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ**" ١كو١٢: ٥، ١١

وإن تَشَابَهَ الراهب والكاهن في لَون الزِّيّ؛ إلَّا أن الرهبنة لها منهجُها الخاص بها والكهنوت له منهجُه الخاص به. فمَنهج رهبنتنا رأساً هو البتولية والزُّهد في الدنيا والغُربة... ومنهج الكهنوت

هو التَّعميد والوَعظ ورِعاية المُحتاجين... فَفي دَيرك؛ مَن هُم الذين سَتُعَمِّدهم وتَعِظهم وتَرعاهُم؟.. كما أن رهبنتنا الأرثوذكسية ليست رهبنة خادمة كالرهبنة الكاثوليكية، بل رهبنة عبادة واعتِكاف.

وهل لا تُكتمَل صلوات الراهب إلَّا بالكهنوت؟! لم يكُن أبَّا أنطونيوس **أبي الرهبان** كاهناً، وأبَّا باخوميوس **أبي الشركة**؛ لمَّا طلب الأسقف سيرابيون من البابا أثناسيوس أن يَرسِمَه؛ اِختفَى.. وماذا عن النساء، الراهبات؛ هل لا تكون صلواتُهن مقبولة عند الله بدون الكهنوت؟!.. فلا تَشتَهِ موهبة ولا تطلب مسئولية، لأن أيَّاً منهما وَكالة إضافية على صاحبها، وسيُقدِّم عنها حِساباً: "**أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ**" (لو١٦: ٢).. لكن اِعتَز أنت بدَعوتك الرهبانية الفاخِرة.

الكهنوت أعظم من أن يُحصَر في حِفظ نُصوص ومُمارَسة طقوس. الكهنوت: شفاعة وأبوة ورعاية وطِب وتدبير وخدمة وبَذل وغسل أرجُل.. وكهنوت المسيح واحد، لا يتغير بتغير الموضع أو المجتمع، فكهنوت المسيح الذي في كنيسة الله التي في العالم؛ هو هو كهنوته الذي في كنيسته في الدير؛ فهل بَرِئتَ من الأوجاع وتَخَلَّصتَ من الإنسان العتيق وقُمتَ من بعد سقوطك؟ هل لك ثَوب الطهارة الواجب إرتِداؤه أمام رئيس الكهنة الأعظم؛ حتى تُمسِك جسدَه ودمَه الأقدَسين؟

وهل لك من الخِبرة الرهبانية ما يؤَهِّلَك لأن تكون أباً للاعتراف، ومرشداً روحياً، لنفس راهبٍ واحدٍ، سَتكون مسئولاً أمام الله عن تدبير خلاصه؟ فهل لك من الأُبُوة الروحية والدالة الشَّفاعيَّة (**πρεσβύτερος**) لَدَى الله أن تكون مثل ذلك الأب الذي عندما تَعَرَّض ابنُه لتجربةٍ صعبة في العالم، صرخ: "يا إله أبي خلِّصني"؛ فللوقت وجد نفسه في طريق الإسقيط؟..

ومكتوبٌ: "لِأَنَّ **شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ**، لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ" (ملا٢: ٧؛ تث٣٣: ١٠)؛ فهل درسْتَ علوم البِيعَة حتى إذا تَفَشَّت في دَيرك بِدعة أو هرطقة؛ يُمكنك دَحْضَها بِالحُجَّة والبُرهان من آيات الكتاب المقدس (تي١: ٩)؟

نعم؛ إن الخدمة الكهنوتية عظيمة بمقدارها هكذا، حتى إنها مُشتَهاةٌ، ولكن مَن يَستحِقُّها؟! نعم؛ إنها نعمة لكنها أيضاً مسئولية، إنها بركة لكنها أيضاً وَزنة. فهل أكمَلتَ مُتاجَرتك بِوَزنة دعوتك

الرهبانية وأتيت بِرِبحها حتى يُمكنك البدء في المُتاجَرة بِوَزنة الدعوة الكهنوتية؟ هذا بِافتِراض أنك مَدعُوٌ لها من الله وليس من الناس (عب٥: ٤). **فينبغي لك ألَّا تَقبل شرطونية الكهنوت إلَّا لَو كنتَ قد تَلَقَّيتَ من الرب يسوع المسيح، وبطريقةٍ واضحة، هذه الدعوة: "كُن كاهِناً لي".**

المَمنوح درجة الكهنوت يُشبِه مَن يُحَمِلُّونه بِكُتلَةٍ من الذهب تَزِنُ ١٠٠ كجم! فهَل يَقدِر؟ فإن دَعاك الدير إلى درجة الكهنوت الرهيبة؛ فإنك أنت الذي تَستعفي قائلاً: "لا أقدِر.. لا أصلُح"، هكذا فعل مار أفرام السرياني لَمَّا دعاه القديس باسيليوس أسقف قَيصارية.. كما أن أنبا تادرس الإسقيطي كان شمَّاساً، فلمَّا دَعاه الشيوخ أن يمسِك الكأس ولَو للمُناوَلة فقط، [فطَلَب إلى الله قائلاً: يا إلهي، إن كان من إرادتك أن أقِف في موضعي فاقنِعني. فأراه عَمودَ نارٍ يمتد من السماء إلى الأرض، وسمِع صوتاً هاتفاً قائلاً له: **إن إستطَعت أن تَصير مثل هذا العَمود فانطلِق إلى خدمتك!** فلمَّا سمِع ذلك أوجَبَ على نفسه من ذلك الوقت أن لا يُطيعَهم].

هذا كله كان قد أشار إليه القديس يوحنا ذهبي الفم، فمِن كتابه "الكهنوت المسيحي":

[ينبغي على الكاهن الذي يقدِّس أن **يكون طاهراً، كما لَو كان واقفاً في السموات عَينِها**[١] ...

والذي نَراه يَستدعي الروح القدس، ويقدم القرابين المقدسة، ويتقرَّب على الدوام إلى الله...

فبِأي نوعٍ من الفضائل يَلتحِف؟ **وكَم من الطهارة والنقاوة تُطلَب منه؟** ثم تأمَّل **مقدار الطهارة التي يجب أن تتصِف بها اليَدان اللَّتان تَخدمان هذه الأمور، ومقدار البِر الذي ينبغي أن يتصِف به اللسان الذي يَنطِق بكلام الشريعة... كَم يتطلَّب هذا من الكاهن طهارة وقداسة**، حتى يكون أهلاً لأن تَطوف حَوله الملائكة والأجناد السمائية، التي تملأ كل أرجاء الكنيسة **تَكريماً للذبيحة المَوضوعة على المذبح**[٢] ... إن كُنا نرتعد عند حِسابنا عن أفعالنا الشريرة، واثِقين أننا لن نستطيع

---

[١] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، ترجمة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أغسطس ١٩٧٤م، رقم الإيداع: ٤٦٣٥/ ١٩٧٤، المطبعة: دار الجيل للطباعة (الفجالة)، صفحة ٥٢، عن:

St. CHRYCOSTOM: Treatise Concerning the Christian Priesthood, Nicene and p. Nicene Fathers. 1st ser. Vol. 9.

[٢] المرجع السابق: صفحة ١٣٨.

الهروب من تلك النار التي تنتظرنا في العالم الآتي؛ فكَم وكَم يُصيب الإنسان الذي هو عَتيد أن **يقدم حِساباً عن أخطاء الآخَرين**!![1]... **يلزَم لمَن تقلَّد تعليم الآخَرين** أن يتدرب على مثل هذه الجهادات، لأن **الرعية عندما ترى قائدها مَغلوباً لا يقدر أن يُجاوِب مُناقِضيه**؛ لا يَنسِبون انهزامه إلى ضَعفه بل إلى عدم سلامة عَقيدته][2].

الكهنوت ـ والخدمة عُموماً ـ ليس درجة رهبانية. فدرجات الرهبنة المعروفة هى: شركة المجمع، والوَحدة، والسياحة، وحتى هَذَين الأخيرَين لَيسَا بِالضرورة لجميع الرهبان.. ولمَّا كان عُموم الرهبان كهنةً فهُم إذاً آباء، فإن كانوا آباء؛ فماذا يكون أبوهُم ورئيسُهم بِالنسبة لهُم ؟!

الكهنوت ليس (مِرسَاً) يُوَزَّع على الجميع بِالتساوي، ولكنه مرتبطٌ بِالأُبُوة الروحية والرعاية. الذين يُسامون كهنةً يجب أن يكونوا من شيوخ الرهبان، البالِغين عدم الأوجاع: "أَيْضًا **يُثْمِرُونَ فِي الشَّيْبَةِ**. يَكُونُونَ دِسَامًا وَخُضْرًا" مز ٩٢: ١٤.. الكهنوت ليس لِصِغار الرهبان، وليس لجميع الرهبان.

الربُّ غَيُورٌ على كهنوته، وقد أهلَكَ الذين أساءُوا إلى كهنوته، بِالرُّغم من أن بعض إساءاتهم كانت عن غير تَعَمُّدٍ، وبعضهم كانوا خُدَّامَه: ناداب وأبيهو ابنَي هارون (لا١٠: ١، ٢) ـ قورح وداثان وأبيرام وأُون، والمِئَتَين والخَمسين الذين تَحَزَّبوا لهُم (عد١٦: ١ـ ٣٦) ـ عالي الكاهن، وابنَيه حُفني وفينحاس (١صم٢: ٢٧ـ إلخ) ـ شاول (١صم١٣: ٨ـ ١٥) ـ عُزَّة (٢صم٦: ٦، ٧)...

والآن؛ هل ما زِلتَ شَغوفاً بأن تصير كاهناً؟!

> "عَلَى حَسْبَمَا كَثُرُوا (الكهنة) هَكَذَا أَخْطَأُوا إِلَيَّ فَأُبْدِلُ كَرَامَتَهُمْ بِهَوَانٍ... فَيَكُونُ كَمَا الشَّعْبُ هَكَذَا الْكَاهِنُ. وَأُعَاقِبُهُمْ عَلَى طُرُقِهِمْ وَأَرُدُّ أَعْمَالَهُمْ عَلَيْهِمْ" هو٤: ٧ـ ١٠

[1] المرجع السابق: صفحة ٨٩.

[2] المرجع السابق: صفحة ١١٨.

الراهب والدعوة إلى التوَحُّد:

هناك رهبانٌ يشتاقون إلى تكريس حياتهم للرب بأكثر خصوصية، أو بالكُليَّة، أي بِطريق التوَحُّد، لكن البعض منهم يَفشلون، وهُم نَوعان: البعض يتأخرون في البدء بسبب تَقَيُّدهم بالمجمع لمدة عَشر أو خمسة عَشر أو عِشرون سنة وأكثر، وحتى عند بدء توحُّدهم فإنهم يكونون قد اِستَنفَذوا باكورة حَماسهم وقوة شبابهم الروحي والجسدي، والبعض قد يبدأون مبكراً لكنهم لا يستطيعون التَكَيُّف مع المَعيشة التوحدية مباشرةً.. فما العلاج لكلٍ من النَوعَين؟

في الواقع أنه توجد حَلقة وَصل وسيطة مفقودة بين منهجَي الرهبنة: المَجمَعية، والتوحُّدية. وبسبب هذه الحلقة المفقودة يفشل بعض الرهبان المُحِبُّون للسكون والهدوء في اللِّحاق بِطريق التوحد، فما هى هذه الحلقة المفقودة؟ إنها تدبير العُزلة والانفِراد.. فإن تَوقيت هذا التدبير يَقع فيما بين المَنهَجَين، أي في أواخِر فترة الرهبنة المَجمَعية وفي أوائِل فترة الرهبنة التوحدية، لِفترةٍ زمنيةٍ ما تستغرِق شهوراً أو سنوات، تتفاوَت مُدَّتها من راهبٍ لآخَر. فكما أن فصل الصيف لا يتلو فصل الشتاء مباشرةً بل يُوَفِّق بينهما فصلٌ وسيط (الربيع)؛ هكذا يلزم أن هذا التدبير يَسبِق البدء في الحياة التوحدية. فهو الذي يُمَكِّن الراهب من: الاِنسِلاخ من الارتِباط بالبشر، والتَكَيُّف مع التوحد، على الأقل لكي يختبر نفسه إن كان التوحد يُناسبه فِعلاً، أم أن رغبته في التوحد مُجرَّد حَماسة تَفتقِر إلى الاستعداد والتأهُّل.. إن تدبير العُزلة والانفِراد هو حَلقة الوَصل بين حياة الراهب في المجمع وبين الحياة التي يَتوق إليها بالتوحد، لأن تدبير العزلة والانفراد هو المُفَعِّل والمُكَمِّل للراهب لِحياته الرهبانية في المجمع، وهو أيضاً الوسيط المؤَهِّل لِحياته الرهبانية في التوحد. بل كما أنه لا توجد رهبنة حقيقية بدون مَبدأ البتولية مثلاً؛ هكذا يلزم للرهبنة الأصيلة تدبير العُزلة والانفِراد، بمقدار، سواء أكان استعداداً للتوحد أم لا.

فيَحسُن أنه بعد أن يتحمَّل الراهب المُحِب للهدوء (نِير) المجمع لِزَمنٍ ما (يتفاوَت)؛ أن يبدأ في اتِّخاذ موضعٍ منفردٍ له عند أحد أطراف الدير، حيث مَدَىً أكثر اتِّساعاً للانطلاق الروحي، وهذا يكون بِمُباركة أبيه الروحي، وبالاتفاق معه على التعديل اللازم في التدبير الروحي اليومي.

الراهب والدعوة إلى الخدمة في البِيعَة المقدسة:

✝ يتردد على الراهب من وقتٍ لآخَر هَوَى الخدمة في العالم، وقد يمتد هذا الهَوَى إلى الرئاسة. ويَندُر أن راهباً لم يتحرك فيه هذا الهَوَى، وقد يكون ذلك من مُخادَعة المُحتال أيضاً. ومن المعروف أن الراهب يُجرَّب بشهوة الافتقاد والخدمة بينما الكاهن (المَدَني) يُجرَّب بشهوة الاختِلاء والعُزلة.. ينقل لنا مار أوغريس خِبرته في هذا فيُحذِّر الراهب من أن يُصَدِّق ذلك الهاجِس الذي يُوعِز إليه بأنه صار حكيماً، ويجب أن يُفيد الناس بِعِلمه، والذي يُصَوِّر له بأنه، من أجل قداسته؛ سوف يأتون ويأخذونه قَسْراً للأسقفية.. فَيَنبغي له ألَّا يتحاوَر مع ذلك الهاجِس ولا يحتفظ به.

✝ حقاً أنه امتيازٌ لراهبٍ أن يأتمنه الرب على خدمة قطيعِه، أمَّا أن يُبقي الرب راهباً معه، ليَكون فيما له ويخدمه هو فهذا امتيازٌ خاصٌ جداً!.. فالراهب الذي يَحيا الرهبنة حقيقةً إذا دُعِي إلى خدمة كنيسة الله؛ لا يكون شَغوفاً بالأمر ولا يُسرِع إليه أولاً، لكنه يسكُب نفسه أمام الله على مذبح عبادته، مُصلِّياً: إلهي، أنت تعلم أني أحبك، لَيتَني أجد نعمةً في عينيك أن تُبقيني معك هنا فلا أُخرَج إلى الدُّنيا التي قد رحلْتُ عنها.. ولتكُن مَشيئتك يا رب في هذا الأمر.

✝ المنصب الرعوي، مواهب الخدمة، والاِشتهار بين الناس لِتَعَدُّد المسئوليات؛ ليست بالضرورة من علامات السُّمُو والامتلاء وبلوغ الغاية، بدليل وجود آباء رهبان بُسطاء لكنهم ذوو قامات ومواهب روحية أعلى من قامات ومواهب آباء رُعاة. بل على العكس؛ فهذه ـ أي المناصب والمسئوليات الرعوية ـ إن لم تكن معوقات فإنها تكون أحمالاً مُضافة إلى الجهاد الروحي الفردي للراهب، الذي يجب عليه أن يمارس رهبانيته حتى آخر حياته.. إنَّما من علامات هذا السُّمُو والامتلاء وقُرب بلوغ الغاية هو نقاوة قلبه، وفرحُه بالرب، وحَملُه سِمات الرب يسوع المسيح بِانفتاحٍ وفَيض، سواء أكان متجرداً لأعمال الروح أو مباشراً لأعمال خدمة بِيعَة الله.

✝ هناك خصومة صالحة، لَدَى الإنسان الروحي، بين الحياة في العمل (الخدمة أو الرعاية) وبين الحياة في ما للروح (الهدوء والتأمل). تُحدِث هذه الخصومة لدى الراهب العَمَّال قدراً من الإرهاق

إذا ما أُسنِدت اليه قيادة دَيرية أو كَنَسِية ذات مسئولية، أو إذا كانت تتطلب منه اهتماماً، وقتاً وفكراً، حيث يستهلك العمل (الإداري) من طاقته الروحية ويتغذى عليها، بدليل تَركُّز المواهب الروحية ـ بِصِفةٍ عامة ـ في الرهبنة الديرية ونُدرتها في الرهبنة العاملة في حقل الخدمة. بل أن هذا يشمل حتى المواهب الخدمية، بالرُّغم من احتياج الرَعِيَّة المباشر لها في الرُّعاة، كالكلمة والتدبير وشِفاء المرضَى وتمييز الأرواح وإخراج الأرواح النجسة..

✝ الخدمة أو الرعاية لَيسَت درجة رهبانية، لذا فَليَبحث الراهب العَمَّال عمَّا إذا كانت الدعوة إلى أيٍّ منهما هى من الله أم من الناس، فإذا كانت الدعوة الهية، مؤَكَّدة من الله؛ فإنها حتماً تكون ضرورة لتَنقيته أو لِبنائِه الروحي أو حتى لخلاصه، إن سلك فيها بأمانة كسابِق عهده في الرهبنة. ومع هذا، فعندئذٍ عليه أن يراقب جُذوَة نار الروح بداخله ليحفظها مُضطرِمة دائماً. وهذا يتسنَّى له بِالإسراع من وقتٍ لآخر إلى الانسحاب ـ وجدانياً ومكانياً ـ من موقع العمل (الخدمة) إلى ما وراء الحجاب. فالدعوة بِكَونِها إلهية؛ لا تتضمَّن بالضرورة ضماناً للراعي (الراهب) بعدم النُكُوص، إن لم يتنبَّه إلى خطر الانحِدار التدريجي البطيء، الذي يَدعَمه عامل الزمن.. أمَّا إذا كانت الدعوة من الناس وحدهم فَليَستَعفِ منها مثل سيِّدِه، لأنها ليست لِخلاصه: "**وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً، انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ**" يو٦: ١٥

✝ إن بَريق عَرض وظيفة الرئاسة على الراهب ـ قَرع النَّواقيس وتَصفيق الأيادي ـ من الإغراء بحيث يُغَيِّب عن ذهنه ما قد تَعَلَّمه عن الاتضاع والمَجهولية والهروب من الرئاسة، بل وحتى عن اِشتِياقاته الروحية في الرب ذاته!.. وهناك أمرٌ روحي آخر هام، يجب أن يضعَه الراهب المَدعُوُّ للعمل الذي يتَّسم بالرئاسة على رأس قائمة المخاطر المَشُوبة بالحَذَر؛ وهو أن القديسين الذين تتورَّط أرجلُهم في (مُستَنقَع) السياسة، إن كان في الإدارة الداخلية وإن كان في تَعامُلاتهم مع الذين هُم من خارج؛ فإنهم ـ غالباً ما ـ يُلَوِّثون أنفسهم بِاستخدامهم أساليب الرؤساء الدُنيَوِيَّة.

الرئاسة اِمتحانٌ صَعب للقديسين، وسبب تعب للكثيرين. الراهب العاقل هو الذي يهرب من الرئاسة، بكل أنواعها (إلَّا لَو دعاه الله لها).

مُقتطفات من رسالة القديس يوحنا ذهبي الفم، المُطَوَّلة والشهيرة عن الكهنوت المسيحي، لَمَن يشتهون أن يُدعَوا للخدمة في بِيعَة الله المقدسة:

[لأنه كيف يتفق أنه لمَّا لم يكُن هناك مَن يَستدعيك إلى الخدمة كنتَ تعتقد أنك ضعيفٌ، ثم لمَّا وُجِد مَن هُم على استعداد لتقديمك إلى هذه الكرامة **صِرتَ فجأةً كُفءً، ووجدتَ نفسك صالحاً لها**؟؟ إنه لَأمر مُثير للسخرية[١]... لأنه حتى لَو اِنخدع الناخبون بتقرير مُضلِّل **فالمُرشَّح لا يُمكنه أن يتعلَّل قائلاً: أنا أجهَل نفسي**... وبما أنه عتيدٌ أن **يُعاقَب عِقاباً أشَد مما سَيَلقاه مُختاروه**؛ أفَلا يَجدُر به أن يُدقِّق في فحص نفسه أكثر من تدقيقهم هُم معه!! **وحتى لَو أرغموه جاهلين أمره فَحَرِيٌّ به أن يَستوقفهم ليَكشِف لهم أسبابه وضَعفاته** بحيث لا يتركهم ينخدِعون... وهكذا **إذ يَكشف عدم اِستحقاقه ينجو من تَبِعاتٍ عظيمة** بهذا المقدار[٢]... فمَن يتجاسَر على بناء منزل إلَّا إذا كان مهندساً...؟! أو يتحمَّل مسئولية مُعالجة مريض إلَّا إذا كان طبيباً مُحَنَّكاً...؟! ولَو اِضطرَّه إلى ذلك الناس فإنه **يعتذر ولا يخجل من أن يعترف بجهله**[٣]... لَو اِفترضنا في رجل أنه بَنَّاء ماهر ـ بينما هو في الحقيقة غير ذلك ـ ثم كلَّفناه ببناء بيتٍ فأطاع، وحين استعمل خامات البناء أتلَف الخشب والحجر، وبعد أن بنى البيت تَساقَط أنقاضاً... **أترى أنه يكفي لهذا الرجل أن يعتذر بأنه اضطُر إلى ذلك إرضاءً لَمَن أرغَمه، وأنه لم يتقدم لهذا العمل طَواعِيةً؟!** لقد كان الأحرَى به أن يرفض الأمر حتى لَو دعاه الناس. فإن كان مَن يُتلِف الحجارة والخشب فقط لا ينجو من العقاب... **أفيَفلِت منه مَن يُهلِك النفوس التي هى هياكل الله**... على أني تَغافَلت عن حقيقة أنه **لا يمكن لإنسانٍ أن يُرغِم آخَر على ما لا يُريده**[٤]].

---

[١] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، ترجمة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أغسطس ١٩٧٤م، رقم الإيداع: ٤٦٣٥/ ١٩٧٤، المطبعة: دار الجيل للطباعة (الفجالة)، صفحة ١٠٣، عن:

St. CHRYCOSTOM: Treatise Concerning the Christian Priesthood, Nicene and p. Nicene Fathers. 1st ser. Vol. 9.

[٢] المرجع السابق: صفحة ١٠١.

[٣] المرجع السابق: صفحة ١٠٠.

[٤] المرجع السابق: صفحة ١٠٢.

قاماتٌ، واختبارات

✝ أخي، إن كان إنسانٌ يَفِدُ إلى البرّية بِغَير الغرض الأسمَى، أو بِغَير السُّلوك بِمُقتَضَياته، أو بِعَدم الالتِزام بِإرشادات الطريق، حتى لَو كان في الرهبنة ـ فإن (الصحراء) كَفِيلة بأن تجعل منه إنساناً غير سَوِيّ نَفسيَّاً أو غير مُتَّزِنٍ عقليَّاً، بل وقد تُصَيِّره إنساناً شريراً بِالفِعل! لماذا؟ لأنها قد تكون هى البيئة الأكثر مُلائمَة لِنُمُو أوجاعِه.. لِذا فالتَّرَهُّب ليس هو الطريق الأنسَب لجميع المُتعبِّدين.

✝ أحياناً؛ يبدو للراهب المُتعَبِّد أن أعمال عبادته في القلاية، تكون أصعب منها حينما كانت قبل رهبنته وهو بعد في الدُّنيا، فلماذا؟!.. لَعَلَّ سبب هذا هو أنها تكون خِلواً من الشعور بِبِرٍ ذاتي، الذي يُغذِّيه العُجب ويَسقيه الغرور حينما تكون وَسط آخرين.. وربما يكون هذا لأنها تكون خِلواً من التعزية ـ تدبيرياً من روح النعمة ـ لأجل تمحيص وإصقال النفس.

✝ إذا ما حملَت النعمة الراهب في صلاته؛ جعلته يُسَبِّح الله بِهِمَّة الروح وفرح القلب، حتى لو كان مُتعَب الجسد أو مجروح النفس، كما كُتِب عن الرسولَين بولس وسيلا، أنه بعدما وُضِع عليهما ضرباتٍ كثيرة بالعِصِى، ثم أُلقِيا في السجن الداخلي، وضُبِطَت أرجُلهما في المِقطَرة ـ كانا "**يُصَلِّيَانِ وَيُسَبِّحَانِ اللهَ وَالْمَسْجُونُونَ يَسْمَعُونَهُمَا.** فَحَدَثَ بَغْتَةً زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَتَّى تَزَعْزَعَتْ أَسَاسَاتُ السِّجْنِ فَانْفَتَحَتْ فِي الْحَالِ الأَبْوَابُ كُلُّهَا وَانْفَكَّتْ قُيُودُ الْجَمِيعِ" (أع١٦: ٢٥، ٢٦).

وإذا ما احتجبت النعمة عنه، إما تدبيراً أو بسبب خطيته؛ فإنه يشعر في صلاته بإجهادٍ واستِطالة الوقت، حتى لو كان في مِلء نشاط الجسد وحَيوية النفس، لعل هذا هو ما كانت عليه حالة المرنِّم في المزمور: "**أَعْيَتْ فِيَّ رُوحِي. تَحَيَّرَ فِي دَاخِلِي قَلْبِي.** تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقِدَمِ. لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ. بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ. **نَفْسِي نَحْوَكَ كَأَرْضٍ يَابِسَةٍ.** سِلاَهْ. أَسْرِعْ أَجِبْنِي يَارَبُّ. فَنِيَتْ رُوحِي. لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي فَأُشْبِهَ الْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ" مز١٤٣: ٤ـ ٨

لهذا، وكما أوصانا أبا أنطونيوس، أن نُثابِر في صلاتنا على طلب الروح الناري في محبة الله وعبادته.

✝ عند مرحلةٍ ما من جهاد الراهب العمَّال؛ يختبر حالةً من التجمُّد الروحي، فلا شعورٌ بِتقدم، ولا بِعَزاء، ولا بمُساندة النعمة، لا حرارة ولا دموع، ولا كلمات للصلاة.. بَل شعورٌ بالإعياء والفقر الروحيَّين، وعدم الاتِّزان وفُقدان التَحكم في النفس، اِزدِياد مُحاربة الشياطين له: بالمعاكسات، وبالأفكار إزاء دعوته، بل وإزاء محبة الله له! لا قوة له على الجهاد ولا حتى إرادة فيه، كمِثل مَن كان يجري مُدة ثم أعيَا وقد خارَت قُواه، أو كمِثل قصبة تحركها الريح، وكأن سماءَه التي فوق رأسه قد صارت نحاساً والأرض التي تحته قد صارت حديداً، وكأنه سائرٌ في وادي ظل الموت! بالرُّغم مما كان له من حماسة وغَيرة روحية ورصيدٍ قديم من الجهاد.

تنطبق على مثل ذلك الراهب كلمات المزامير:

"**إِلَهِي! إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي** بَعِيداً عَنْ خَلاَصِي عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟ **إِلَهِي فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ. فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوءَ لِي**" مز٢٢: ١، ٢

"حُسِبْتُ مِثْلَ الْمُنْحَدِرِينَ إِلَى الْجُبِّ. صِرْتُ كَرَجُلٍ لاَ قُوَّةَ لَهُ. بَيْنَ الأَمْوَاتِ فِرَاشِي مِثْلُ الْقَتْلَى الْمُضْطَجِعِينَ فِي الْقَبْرِ الَّذِينَ لاَ تَذْكُرُهُمْ بَعْدُ **وَهُمْ مِنْ يَدِكَ انْقَطَعُوا**. وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ فِي ظُلُمَاتٍ فِي أَعْمَاقٍ. **عَلَيَّ اسْتَقَرَّ غَضَبُكَ وَبِكُلِّ تَيَّارَاتِكَ ذَلَّلْتَنِي... لِمَاذَا يَارَبُّ تَرْفُضُ نَفْسِي؟ لِمَاذَا تَحْجُبُ وَجْهَكَ عَنِّي؟!**" مز٨٨: ٤ـ ١٥..

حالةٌ أشبَه بِضَجَر طويل الأمَد، وقد تستمر أياماً بل وفَتَرات، فما عَساه عندئذٍ أن يفعل؟

لعَل هذا الاختبار لِمثل ذلك **الراهب المجاهد** هو مَحَكٌ عند نقطة معينة على الطريق، مَحَكٌ يمُر منه المتقدمون من المجاهدين. ولَعَلَّ الغرض من ذلك هو أن تنكسِر الكِبرياء الدفينة في أعماقه. أو لكي يشعُر بِضَعفه الشخصي، فلا يفتكر أنه يستطيع أن يقترب إلى الله بِجهاده وحده: "لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاخْتِيَارِ، **لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو**... فَإِذًا **لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ لله الَّذِي يَرْحَمُ**" (رو٩: ١١، ١٦). أو من أجل أن لا يحتقر الساقطين بل يُشفِق عليهم. ورُبَّما لكي يعرف قوة الشيطان وضَراوَته..

فإذا كنت أنت هو فَليس أمامك سِوَى الثبات، والثقة في محبة الله إيَّاك، وفي أمانته وصَلاحه من نحوك، وفي تدبيره لك، مُقاوِماً الأفكار المُحارِبة، ويمكنك عندئذٍ أن تُعَمِّق صلواتك التِّلقائية وتُرَكِّز عليها، أكثر من الصلوات المقروءة والمحفوظة. إنك إن تَراجعت إزاء هذا المَحَك خسِرتَ ما اقتَنَيته: "**إِنِ ارْتَخَيْتَ فِي يَوْمِ الضِّيقِ ضَاقَتْ قُوَّتُكَ**" أم٢٤: ١٠، لكن إن ثَبَتَّ بِكل ما تَبَقَّى لَديك من قوة إلى النهاية؛ فإن الروح سوف يَحمِلك ويَطير بك مسافة كبيرة على الطريق: "**لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ، أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ**" (مز٩١).

لا تَخَف، لا يَجزع قلبك ولا تَصغُر نفسك، بل بروح الرجاء دَع الروح يشفع فيك، مُصَلِّياً: "يَرُدُّ نَفْسِي. يَهْدِينِي إِلَى سُبُلِ الْبِرِّ مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ. أَيْضاً إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ **لاَ أَخَافُ شَرّاً لأَنَّكَ أَنْتَ مَعِي**. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي" مز٢٣: ٣، ٤، "لَوْلاَ أَنِّي آمَنْتُ بِأَنْ أَرَى جُودَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ. **اِنْتَظِرِ الرَّبَّ. لِيَتَشَدَّدْ وَلْيَتَشَجَّعْ قَلْبُكَ وَانْتَظِرِ الرَّبَّ**" مز٢٧: ١٣، ١٤.. (طالِع أيضاً صفحة ١٥٥ بِهذا الكتاب).

وهناك اختباراتٌ أخرى كثيرة يُلاقيها ذَوُو القامات العالية كلما تَوَغَّلوا في الطريق الرهباني، حتى إنها تَكاد لم تُذكَر في الكتابات الرهبانية لأنه يَندُر مَن يَبلُغها.. أدعو الراهب العَمَّال إلى قراءة كتاب "بَذلُ الذَّات" للأب جوزيف شريفرز، إنه كتابٌ قَيِّم، شَيِّق، ومَليء بالاختبارات الروحية.

ما يسر الله حقاً ويُفَرِّحه من الراهب، ليس أولاً هو النُّسك أو تتميم القانون أو التَّقدِمات، لكن بِقَدر ما يكون بـ:

١ـ حُبه بصدقٍ وإخلاص.

٢ـ طَلَبُه، والجِد في أثره.

٣ـ العلاقة الشخصية معه وفَهم محبته، والتَلَذُّذ به.

٤ـ مُناجاته من القلب.

٥ـ الطُّهر.

٦ـ الاعتراف له بحقيقة الصِّغَر والضعف المُتناهي.

٧ـ الاعتراف له بالذنوب.

٨ـ الحياة لأجله، وتكريس النفس له.

٩ـ الانقياد بِروحه لحظة بلحظة.

١٠ـ الاحتِماء فيه والاتكال عليه هو.

١١ـ شكرُه، وتسبيحه.

١٢ـ الافتِخار به.

١٣ـ الثقة في صلاحه وفي محبته وفي تدبيره، مَهما حدث.

١٤ـ الشَّوق لِخلاص القريب.

١٥ـ مُشارَكته حياته التي كانت "فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ" على الأرض (عب٥: ٧).

١٦ـ دعوته لمُشارَكته حتى في أدَق أمور حياته هو.

١٧ـ حساسية قلبه.

من العلامات الظاهرة للراهب العَمَّال (الجاد/ المُجاهد):

١ـ فقيرٌ في: ملابسه (وإن كانت مُهَندَمة) ـ قلَّايته (وإن كانت مُنَظَّمة).

٢ـ في غَير مَواعيد الكنيسة والعمل؛ تَجِده غالباً موجوداً في قَلايته، بمُفرَده.

٣ـ قَطعُه لِهَواه: لا يختار لنفسه (وليس كما فعل لوط: تك١٣: ١٠ـ ١٤؛ تك١٩: ١٨ـ ٢١) ـ لا يقول لمَسئول: لا (No) ـ لا يَستَعفي من خدمة.

٤ـ قليل الكلام ـ صوته لَيِّن ـ غير مُتَسَمِّعٍ لأحاديث ـ لا يملأ عينيه من وجه أحد.

٥ـ تبدو على شخصيته سِماتٌ طفولية حتى وإن كان كبير السِّن.

٦ـ يَعَفُّ عن سماع ما يخُص الغريزة الجسدية، أو ما يخص النساء.

٧ـ مُحِبٌ للصلاة ـ مُنتظِمٌ في حضور التسبحة الصباحية والمسائية ومُبَكِّرٌ فيهما ـ كثير السجود.

٨ـ عدم ظهور بروز البَطن (حُلوٌ للراهب العَمَّال هو خَبَر إقبال الصوم).

٩ـ مُتوارٍ ـ مُنقبِضٌ إلى نفسه ـ يمشي وحده ـ مِشيَته هَيِّنَة.

١٠ـ غير مستعد للضحك، ولا يَسهُل دَفعُه إلى ذلك.

١١ـ لا ينظر إلى غيره، ولا يَشتهي أن يَحوز ممَّا لَدَى غَيرِه ما ليس لَدَيه ـ لا يُقَلِّد ـ لا يتحزَّب.

١٢ـ متوافرٌ على مُزاوَرَة: الكنيسة (حتى في غير وقت الخدمة) ـ المكتبة ـ الطافوس.

١٣ـ غير مُتوافِرٍ على مُزاوَرَة: مواضع الأطعمة ـ مكاتب الرؤساء ـ مواقع الدير.

١٤ـ حياتُه منظَّمة ـ لا يتواجَد في موضعٍ بغير هدف أو طلب.

١٥ـ لا يستخدم موبايل (صحيحٌ قد صار الموبايل من الوسائل الضرورية الآن؛ لكن من التدابير الضرورية أيضاً أن يتدرَّب الراهب على ألَّا يستخدم موبايل، أو بِالحَري لا يستخدمه الموبايل).

١٦ـ مُستَثقِل: الاِنتظار ـ ذِكر أو كتابة اِسمِه ـ الأضواء والضوضاء ومُلاقاة الوافِدِين ـ مُبارَحَة الدير.

١٧ـ لا يكون له كلمة مَسموعة (لا يُعتَد به في المجمع).

١٨ـ لا يَطلُبه زائِرٌ.

١٩ـ عازِفٌ عن فحص الرئاسات، كقَول مار أفرام: [إن أعظم الناس قَدراً **مَن لا يُبالي بِالدنيا في يَد مَن كانت**].

٢٠ـ له سلام مع الكل، مع المُسالِمين الوُدَعاء، ومع الحَرِنين العُنَفاء.

٢١ـ البَلايا: "كَثِيرَةٌ هِيَ **بَلاَيَا الصِّدِّيقِ**، وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ" مز٣٤: ١٩، (وقال أبًّا بيمن).

٢٢ـ دموعه قريبة.

٢٣ـ نُفاياته قليلة.

✝ الراهب العَمَّال لا يَفوته أن يحفظ قَدر ما يُمكنه من: الأجبية ـ المزامير ـ الابصلمودية.

✝ الراهب العَمَّال لا يَفوته قراءة هذه الكتب الرهبانية (ترتيباً): سُمُو الرهبنة ـ فردوس الآباء (٣ مجلَّدات) ـ السُّلَّم إلى الله (للأب يوحنا الدَّرَجي) ـ مَيامِر مار إسحاق ـ حياة الصلاة الأرثوذكسية.

من دُرَر الأدب الرهباني

✝ [يا أنطونيوس، اِهتم بنفسك، لأن هذه الأمور هى من أحكام الله] ـ كلام الروح للقديس.

✝ [يا أرسانيوس، إلزَم الهدوء، والبُعد عن الناس، واصمُت، وأنت تَخلُص. لأن هذه هى عروق عدم الخطية] ـ كلام الروح للقديس.

✝ [إن طلبْنا الله فإنه يظهر لنا، وإذا أمسَكنا به فإنه يَبقَى معنا]. [إن الراهب غريبٌ في أرضٍ غريبة. فإذا أراد أن يجِد راحة؛ فَعَلَيه أن لا يُشغِل نفسه بِأي شيءٍ فيها] ـ القديس أرسانيوس.

✝ [اِمضِ واجلس في قلايتك، وسوف تعَلِّمك هى كل شيء] ـ أنبا موسى القوي.

✝ [المريض الذي يعترف بِمَرضه شِفاؤه هَيِّنٌ؛ كذلك الذي يُقِر بِأوجاعِه فهو قريبٌ من البُرء]. [اِصطَلِح أنت مع نفسك؛ فتصطَلِح معك السماء والأرض]. [كُن مَيِّتاً بالحياة لا حَيَّاً بالموت]. [إن كنت تَثِق بِسياسة الله وتدبيره وتؤمن أنه يَضبِط جميع أمورك؛ فلا تستعمل التَّحايُل البشري]. [إذا أردتَ أن تعرف رجُل الله؛ فاستَدِل عليه من سكوته، ومن بُكائه، ومن اِنقِباض نفسه على ذاته] ـ مار إسحاق السرياني.

✝ [يا أولادي، أُهربوا من النميمة ولازِموا السكوت لأن السَّاكت مَقامه عند الله في زُمرة الملائكة]. [الطاعة والمَسكَنة يُخضِعان الوحوش لنا]. [إن ذكرنا خطايانا ينساها لنا الله، وإن نَسينا خطايانا يَذكُرها لنا الله]. [أوقِد سِراجك بدموع عَينَيك] ـ الأنبا أنطونيوس.

✝ [إن الراهب هو ذلك الإنسان الذي لا يَدَع ضَميرَه يَلومه في أمرٍ من الأمور]. [ما رقدْتُ قَط وأنا حاقِد على إنسان، ولا تركتُ إنساناً يَرقُد وهو حاقِد عليَّ حسب طاقتي] ـ الأنبا أغاثون.

✝ [إن دِنَّا أنفسنا رَضِيَ الدَّيَّان عنا] ـ القديس نيلُس.

✝ [إن النفس وقت خروجها من العالم لا تجِد ما يُعزّيها ويُشجّعها إلَّا ما قدَّمَته من التوبة والدموع] ـ الأب يوحنا الدَّرَجي.

✝ [مجاري المياه لوَقت الحريق، ومجاري الدموع في زمن التجربة]. [ليَكُن عقلُنا إلى فوق، لأننا بعد مُدة يَسيرة ننصَرِف من ههُنا، فالأشياء التي جَمَعناها لِمَن تكون!]. [أيامنا تَجري خَلفنا، وخطايانا تَجري أمامنا] ـ مار أفرام السرياني.

✝ [لمَّا أكل الإنسان من شجرة العِصيان؛ تحولت الطِّباع فيه إلى الأوجاع المُخزِيَة] ـ الأب إشَعْيا.

✝ [إن أردتَ أن تكون معروفاً عند الله؛ فاحرِص ألَّا تكون معروفاً عند الناس] ـ ق. باسيليوس.

✝ [إن لم يقُل الراهب في نفسه أنه ليس في هذا العالم كله غير الله وأنا؛ فلَن يُصادِف نِياحاً] ـ أنبا ألونيوس.

✝ [لا يستطيع أحَدٌ أن يُؤذي إنساناً ما لم يُؤذِ هذا الإنسان نفسَه]. [حينما تُصلِّي ألا تتحدث مع الله؟ أيُّ امتِياز مثل هذا!] ـ القديس يوحنا ذهبي الفم.

✝ [عِز الملك في غِناه وكثرة رَعاياه، وعِز الراهب الهادئ في غِنَى صلاته] ـ الأب يوحنا الدَّرَجي.

✝ [الصلاة هى السُّلم الذي نصعد به إلى السماء] ـ القديس أغسطينوس.

✝ [الرب يُريدنا أن نتوسَّل إليه، ويَشاء أن نُغصِبه، ويرغب في أن يُغلَب من حِدَّتِنا] ـ القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس.

✝ [يستحيل أن يترك الله قلباً مُنسحِقاً بِدون عزاء]. [لا يستطيع أحَدٌ اِحتمال الضيقات والصبر عليها بِدون تذمُّر؛ إلَّا إذا كانت له أمانة في مَواعيد الله التي يعتبرها أثمَن من جسده وأشرَف من صِحته وراحته]. [إنه أليَق بنا أن نموت في الجهاد من أن نَحيا في السقوط] ـ مار إسحاق السرياني.

✝ [لا يوجد شيء أفضل من أن أرجع بالمَلامَة على نفسي في كل أمر] ـ شيخٌ للبابا ثاؤفيلس.

✝ [إن الله يُطيل روحَه على خطية العالم ولا يُطيل روحَه على خطية البرية] ـ قال شيخٌ.

✝ سأل أخ الأب صيصوي: يا ترى، هل كان الشيطان يَضطهِد القُدَماء هكذا؟ أجاب الشيخ: [بل اليوم يَضطهِد أكثر لأن زمانَه قد قَرُب، فهو لذلك قَلِق]..

تَذَكَّر أن..

✝ **تَذَكَّر أن** الرهبنة الأصيلة المِثالية هى افتِراز العابد للصلاة والحديث المُتواصل مع الله، لا شيءَ آخَر: "**أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ**" (مز١٠٩: ٤)، لا تتميماً لِنظامٍ مُقَنَّن فقط وإنَّما حَنيناً وحُبَّاً واشتياقاً..

فأي عملٍ تقوم به، أو أي اهتمام لَدَيك، أو أي إرادة تَستَهويك لِاقتناء شيءٍ مادي أو مَعنَوي؛ اِسأل نفسك: هل هذا هو ما هَجَرتُ الكل لأجله؟ ألم يكُن مُتاحاً لي وأنا بعد في الدُّنيا دون الحاجة إلى الخروج منه؟ لِمَن خرجتُ؟ ولماذا اخترتُ هذه الطريقة في الحياة لأجله؟! فكل وقت تَقضيه في أي أمرٍ يُشغِلك عن العمل الإلَهي، وإن كان ذلك أمراً نافِعاً، فاحسِبه بالنسبة لك وَقتاً مفقوداً..

لهذا كان القديس أرسانيوس يُذَكِّر نفسه بِقَوله: [يا أرساني، **تأمَّل في ما خرجتَ لأجله**].

كما قِيل عن أنبا أور وأنبا تادرس أنهما كانا يَطلِيان قلاية بِالطِّين [فقال أحدهما للآخَر: "**لَو إفتقدَنا الربُّ في هذه الساعة فماذا نصنع؟!** فَبَكَيا وتركا الطِّين وانصَرَفا كل واحدٍ منهما إلى قلايته].

✝ يا راهب، عِش بروح الأخ، **تَذَكَّر أن** يوم تكريسك ليس هو النهاية بل البداية..

وأنت يا أخ، عِش بروح الراهب، **تَذَكَّر أن** يوم رَحيلك عن الدُّنيا ووُصولك إلى الدير هو يوم تكريسك.

✝ **تَذَكَّر أن** الذي تَرَهَّب قد تَغَرَّب. فكما كانت وَصِية الرب لإسحاق أن يتغرَّب؛ هكذا وَصِيته لِراهِبه: "**تَغَرَّبْ** فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ" (تك٢٦: ٣).

وما هى الغُربة؟

١ـ الموت عن كل إنسان. فلا دالة بينه وبين أهل موضعه، ولا محبة خاصة (مميَّزة) لأحد به.

٢ـ أن لا يكون بينه وبين موضعه (قلايته/ دَيره) اِرتباطٌ وجداني، عالِماً أنه سَيَنحل منه يوماً ما.

٣ـ أن لا يَحسِب شيئاً أنه مِلكٌ له، حتى لو كان خاصاً به.

✝ **تَذَكَّر أن** الراهب يحتاج، طِيلة حياته الرهبانية، إلى هؤلاء الرِّفاق الثلاثة:

الغُربة ـ الاستِقلالية (الجهاد الفَردي + العَيش الانفِرادي) ـ المَسكَنة (العَيش بأبسط إمكانيات).

✝ **تَذَكَّر أن** الفاصل المشترك بين الرهبنة وبين الدُّنيا ليس هو باب الدير، بل باب قلايتك أنت. فما وراء الباب هو الأمان، ما قد يُوَصِّلك حتى إلى السماء عَينها، وما خارج الباب هو الخطر، ما قد يُوَصِّلك حتى إلى الجحيم عَينه.

✝ **تَذَكَّر أنه** حكيمٌ هو الراهب الذي اِستطاع أن يتوارَى، وسعيدٌ هو الراهب الذي عرف أن كيف لا يُذكَر له اسم ولا يَرِد عنه خَبَر. ماذا لو عرف النَّمل أن ما بِداخل البَرطمان المُغلَق هو عسل، ووجد إليه مَدخَلاً! مَن يَمدحه البَشَريون ليس في أمان أمَّا مَن يُعجَب منه السمائيون فهو المُزَكَّى.

✝ **تَذَكَّر أنه** إذا أردتَ مَركَبة تحملك وتَعفيك من مشاقٍ شَتَّى في الطريق؛ اِستعمل الصمت. وإذا أردتَ أن تكون في أمانٍ من مخاطر الطريق؛ تَصامَم. وإذا أردتَ أن تَعبُر طريقك سريعاً؛ تَعامَى.

ولَعَل هذا هو ما عَناه مار إسحاق السرياني بِقَوله: [إذا حفظت **عَينيك وأُذُنَيك ولِسانك** لكي لا يدخل إلى قلبك شيءٌ باطِل؛ **يتنقَّى قلبك سريعاً**].

✝ **تَذَكَّر أن** وسائل بلوغ مِيناء عدم الأوجاع (اللاهَوَى)؛ هى: الاتضاع، والصوم، وألَّا يكون لك رَغبة في شيءٍ البتة.

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [متى رأيتَ راهباً أو سمعتَ عنه أنه قد اِقتنى اللاهَوَى الأسمَى في سِنين قليلة؛ فتَحَقَّق أنه **لم يسلك طريقاً آخَر غير هذا الطريق (التواضع الجليل) المَغبوط والأقصَر من كل الطرق الأخرى**]. وقال الأب أوغراتيوس: [اِقرِن **محبة اللاهوتية بالجوع**، لأنه يأتي بالراهب إلى مِيناء عدم الأوجاع].

✝ **تَذَكَّر أنه** كما يُعَد خطراً أن يترك المرء أحد أبواب بيته مفتوحاً؛ هكذا يُعَد خطراً على الراهب أن يترك أحد أبواب بيته بلا حِفظ، أعني حواسه أو فِكره أو مَشاعِره، حتى باب قلايته.. فَرُبَّ حَر قليل يمنع ناراً كثيرة، ورُبَّ عَتَمَة ضئيلة تمنع ظُلمةً كثيفة!

✝ **تَذَكَّر أن** راهباً يَشُق الطريق بإرادته البَحتة، بينما إذا فُرِضَت عليه ظروف الجهاد لا يَخطو إلى الأمام خطوة واحدة، وآخر يَشُق الطريق عندما تُفرَض عليه ظروف الجهاد، بينما إذا تُرِكَ لإرادته البَحتة لا يَخطو إلى الأمام خطوة واحدة، ولِكِلاهُما يُحسَب هذا جهادٌ وبنعمة الرب يَصِل.

✝ **تَذَكَّر أن** الرهبنة تَأَبِّي (تَأَبِّي: أي إتِّخاذ الراهب لنفسه أبٍ، وتَوقيره للآباء)، وطاعة وتَلمَذة ومَرجِعية: قداسة الأب البطريرك، أبوك الروحي، الأب رئيس دَيرك، وكل أبٍ رئيسٍ أنت في مجال مَسئوليته. لا بِتَكلُّف أو بِامتِعاض بل بحُب وبفرح وبثقة، لأنهم يسهرون على ما لِصالِحِك.

تَذَكَّر أن هذا هو تعليم الإنجيل: "**أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا**، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ" عب١٣: ١٧. **وتذكَّر أيضاً أنه** بهذا تحل عليك بركتهم على مثال ميراث بركة الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. أمَّا إن خرجَت رهبنتك عن هذا الإستعداد فالسقوط قريب. وكما قال الآباء:

[**مَن لم تكُن الكنيسة أُمه لا يكون المسيح أباه**].

[لا أعرف سَقطة لِراهب إلَّا **للذي يصنع هَوَاه**].

فالذين يتوجَّب على الراهب طاعتهم هُم:

ـ الرؤساء المَسئولون بدرجاتهم: في إختصاصهم بالتدبير الإداري التنظيمي.

ـ الأب الروحي: في إختصاصه بالتدبير الروحي.

ـ أيٌّ من آبائِه وإخوته في التعامُلات اليومية. وهذه لا تُسَمَّى "طاعة" بل "كَسْر مَشيئة" (إنَّما بإفراز، أي أن لا يكون ذلك في أمرٍ خاطئٍ أو مُخالِف).

✝ **تَذَكَّر أنه** يجب أن يتناسَب الزمن الذي يقضيه الراهب في الرهبنة طردياً مع اتِّضاعه ووداعته وطِيبَته، فكُلَّما يكبِر سِناً كُلَّما يَصغُر في عيني نفسه وكُلَّما يَقدُم زمناً كُلَّما يَشعُر باحتياجه إلى البَدء. ليس كذلك الذي عندما وَفَد كان مُتصاغِراً إضطِراراً، لكنه بعدما أمضَى في الرهبنة بِضعة سنواتٍ كبُر في عَينَي نفسه، فرفع صوته، وتكلم كمَن له سُلطان!

✝ عَوِّد لسانك على نُطق كلمة: "أخطأت" (كِلمة أخطيت تِهد الحِيط).. **تَذَكَّر أن** الراهب الذي يريد أن يبلُغ مُراده سريعاً، هو ذاك الذي عندما يُلطَم، بغير ذنبٍ، يُبادِر بِالقَول: "أخطأت"!

✝ **تَذَكَّر أن:** تكون صغير إخوتك ـ تجعل كل أحد يحبك ويبارك عليك ـ تَظلِم نفسك لكل أحد.

✝ **تَذَكَّر أن** تجعل لك مع كل أحد: محبة + سلام + فرح،

فإن لم يكُن لك بأحدٍ ما فرح، فليكن لك معه محبة وسلام،

أمَّا إن لم يكن لك معه فرح ولا سلام، فلا تتخلَّ عن محبتك له.

وفي هذا قال مار أوغريس: [الوديع ولَو صنعوا به الشر **لا يتخلَّى عن المحبة**]..

لا أعرف كيف يمكن اِجتِياز مَشَقَّة الحياة الرهبانية بدون حتى محبة صادقة بين الرهبان!

✝ يا مَن خرجت لِتطلب الحياة الفُضلَى؛ **تَذَكَّر أنه** إذا كان المجمع الذى تعيش به كثير الطعام؛ فتَبَصَّر أنت يا اِبني في ما عساك أن تفعله.

✝ **تَذَكَّر أنك** نَزيلٌ وعابِرٌ. فلا يتأصَّل في وجدانك أنك في دَيرك صاحب بيت بِحقٍ مُكتسَب.. فأنت غَريبٌ، ليس لك فيه إلَّا الخُبز الذي تأكله، وحتى قلايتك ما هى إلَّا خيمة مَبيت حتى تَرحَل.

✝ **تَذَكَّر أن** تتجنَّب بجِدِّيَّة: التعامل مع النساء ـ المال ـ الرِّئاسة ـ السياسات ـ مُصادَقة الرؤساء.

✝ **تَذَكَّر أن** الصوم الأفضل هو: الاِنقِطاع عمَّا تَهواه النفس أولاً، ثم الاِنقِطاع عمَّا يَشتهيه الجسد.

✝ **تَذَكَّر أنه** إن كانت الصلاة يُنبوع كل الفضائل، والاتضاع واهِب كل الفضائل، والإفراز مِقياس كل الفضائل؛ فإن مفتاح كل الفضائل هو: "التَّغَصُّب": "وَكُلُّ وَاحِدٍ **يَغْتَصِبُ** نَفْسَهُ إِلَيْهِ" (لو١٦).

لَستُ مُفتَرِضاً في قُدسك تقصيراً ما، ولا في أحد غيري، لكنني عِلمْتُ بأننا جميعاً وارِثون لِجُرثومة الخطية، ولهذا نَجِد تَثَاقُلاً في جِهاداتنا، لِذا أدعو الراهب إلى الاستفادة بهذه الإمكانية، التي بها نَبلُغ إلى ما لم نَبلُغه حتى الآن.. التَّغَصُّب كان هو وَسيلة القديسين.

كُتِب أن أحد رهبان الإسقيط قال:

[إن لم يُكرِه (**يَغصِب**) الإنسان نفسه في كل أمرٍ؛ **فما يقدر أن يُقَوِّم شيئاً من الصلاح البَتَّة**].

ويُشجِّعنا مار إسحاق بِقَوله:

[بِقَدر ما يَشقَى الإنسان ويُجاهِد **ويَغصِب نفسه من أجل الله**؛ بِقَدر ما تُرسَل إليه **مَعونةٌ إلهية وتُحيط به وتُسَهِّل عليه جهاده وتُصلِح الطريق قُدَّامه**].

✝ **تَذَكَّر أن** أصلَح وأقصَر طريق لِاختِزال خسائر الخَطَأ إلى أقل ما يمكن؛ هو الاعتِراف بِالخَطَأ.

✝ **تَذَكَّر أنه** من براهين نجاح الراهب في مَسيرِه:

١ـ لا أقول أنه صار (رَجُل الصلاة)؛ بل على الأقَل أنه قد أصبح مُحِبَّاً للصلاة.

٢ـ أنه أدرَكَ إدراكاً يَقينِيَّاً ضَعفَه وصِغَرَه وعدم صَلاحه.

٣ـ ليس فقط تَكميلُه لِتَدبيره الروحي ومُسايَرته لِمُقتضيات الشركة اِستِكانةً للوضع القائم؛ بل أن يكون مُمتَنَّاً ومُعتَزَّاً بِرهبانِيَّته (سألت راهباً في دَيري: لو كنتَ قبل رهبنتك قد عرفتَ هذه المصاعِب التي واجهتَها؛ هل كُنت سَتترهَّب؟.. فمع أنه جادٌ وَذو خُلُقٍ وخَدومٌ، إلَّا أنه للأسَف أجاب: لا)!

٤ـ ليس لَدَيه ـ بِصفةٍ عامة ـ وقت فراغ، فَقَلَّما يشعر بِالمَلل (وهو غير الضَّجَر)، لأنه يجتهد في أن يستثمر وقته، لأن الفراغ والِدٌ للرزيلة، مُعلِّم للخُبث، عاثورٌ للجسد، مُضاد للنُّسك، طارِد للعزاء.. وغالباً ما يكون من الذين يسلكون بطريقة المواعيد (البرنامج اليومي). فلا يسير كَيفما اتُّفِق لكن بِنظامٍ هادفٍ، وبِترتيبٍ مَحسوب..

الوقت = حياة وخلاص.

(Don't) ...لا

✝ **لا** تتباهَى أمام الله كثيراً بِقَولك له: ها أنا قد تركت كل شيء وتبِعتك، بل تَوَاضَع أمامه قائلاً: "هَئَنَذَا لأَنَّكَ دَعَوْتَنِي". لأن خروجك من الدُّنيا ثم قُدومك إلى الدير هو مِنحة، هِبة مُضاعَفة قد وهَبك الله إيَّاها: "**أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ** مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ" (خر٢٠: ٢)، "الْيَوْمَ قَدْ **دَحْرَجْتُ عَنْكُمْ** عَارَ مِصْرَ" (يش٥: ٩). ومكتوبٌ: "أَرْسَلَ مِنَ الْعُلَى **فَأَخَذَنِي، نَشَلَنِي** مِنْ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ... **أَخْرَجَنِي** إِلَى الرُّحْبِ، **خَلَّصَنِي** لأَنَّهُ سُرَّ بِي" مز١٨: ١٦، ١٩، "مُبَارَكٌ الرَّبُّ لأَنَّهُ قَدْ جَعَلَ عَجَباً رَحْمَتَهُ لِي **فِي مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ**" مز٣١: ٢١. وهذا ليس للجميع "**بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ**" (مت١٩: ١١) و "**لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ**" (مر١٠: ٤٠).. فاشكُر الرب على هذا الاختيار العظيم.

✝ **لا** تعُد تذكر شيئاً من حياتك السابقة بعدما خرجت من الدُّنيا وجِئت إلى الرهبنة، هذا إن كنت تريد أن تَخلُص، لأن ماضِيك القديم سوف يشتكي عليك ويُؤَرِّقك ويُضعِف هِمَّتك، لكن اِستعمل النسيان المقدس.. ثِق أن الله قد غفر لك، وقبِلك، لِتَحيا معه من جديد كما يجب أن تحيا، كما هو مكتوب: "**لاَ تَذْكُرُوا الأَوَّلِيَّاتِ وَالْقَدِيمَاتُ لاَ تَتَأَمَّلُوا بِهَا**" إش٤٣: ١٨

✝ **لا** تتراءَى أمام أحد إخوتك بِغَير ملابسك الرهبانية تحت أي ظرف. **ولا** تجعل القلنسوة تَتَدَلَّى على كتِفَيك من الخارج من فوق جلبابك بل من الداخل.. ورد بِكتاب البُستان: [جاء أحد الأخوة إلى كنيسة القلالي وهو مُرتَدٍ غِطاءً للرأس يتدلَّى على كَتِفَيه؛ فلمَّا رآه أنبا إسحاق تَبِعَه، وقال له: هنا يعيش رهبان، ولكنك رجُل العالم فَلَيس لك مكانٌ للعَيش هنا].

✝ **لا** تنخدع بِمَسح اسمك من سِجِل العالم حتى تطمئن أنه سُجِّلَت لك جهاداتٌ في سِجِل السماء.

✝ **لا** تتباهَى بِالتِحافك بِلِبس السَّواد بينما تمضي أيامك مِنك وأنت لاهٍ بهذا وذاك وبهذه وتلك، **لا** تُعَزِّيَنَّ نفسك كثيراً بِلِبس السَّواد، ففي السماء يتمايَز المخَلَّصون لا بالأزياء إنَّما بميزان القلوب.

✝ **لا** تمتَن بإكمالك قانونك اليومي إذا كان جافّاً أو أجوَف فقيراً من محبة حَميمة من نحو الله.

✝ **لا** تفرح بِتَوقير الناس لك بل اِفرح بِالحَري أن اسمك كُتِبَ في كتيبة السمائيين.

✝ **لا** تطلب مَن تُحِبه نفسك عند المُعلمين أولاً، **ولا** في صحائِف الكتب كثيراً، فهو داخل قلايتك، بل قلبك. وكقَول الشيخ الروحاني: [لا تطلب خارجاً عنك ذاك الذي **داخلك مَسكنُه ومَحَلُّه**].

✝ **لا** تُغَيِّب عقلك في تدبيرك وأثناء جهادك، فتَنصاع لأي ظروفٍ أو توجيهاتٍ بشرية، بِمَدعاة أن الحياة الرهبانية تقتضي السلوك بالروح وقَطع الهَوَى. لأن الروح لا يقود خليقة غير عاقلة، كما أن مشيئة الروح هى أن تَمُر توجيهاته على عقل وفِكر الراهب، لا لكي (يُمَنطِقها) فقط، إنما أيضاً لكي يَقبلها. فالأمر هو: لا أن يسلك الراهب بِعَقله وحده، ولا أن يُغَيِّب عقله مُتجاهِلاً دوره؛ لكن أن يَعقِل بِقيادة روح الله: "وَلَكِنَّ فِي النَّاسِ رُوحاً **وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ تُعَقِّلُهُمْ**" أي ٣٢: ٨

✝ **لا** ينبغي أن تمارس ما قرأته في كتاب بُستان الرهبان، أو ما بَلغ إلى مَسمَعك عموماً عن جهادات الآباء، بطريقةٍ عشوائية أو تَقَمُّصِيَّة، بل بما تَوَصَّلت أنت إليه بِقامتك وإحساسك وفكرك وإرادتك، مُقَاداً بالروح القدس ومُؤيَّداً من أبيك الروحي.

✝ **لا** تُقَيِّد سَعيَك بالمستوى الروحي السَّائد الظاهري للمجمع، ولا تُقَلِّد بلا تَدَبُّر، بل لتكن لك شخصيتك الرهبانية. لأن مَن كانوا من الرِّفاق مُتوانِين فَسَيَجتذِبونَك إليهم، ومَن كانوا مَنهم عمَّالين فَسَيُخفُون جِهادَهم (والشَّاطِر اِللي يخلِّص نفسه).. **لا** تأخذ مكاناً في الحياة غير مكانك، **لا** تأخذ دَوراً غير دورك، كُن نفسك.. لأن تدبيراً يُناسب غيرك قد لا يُناسبك، بل تدبيراً يناسبك في وقتٍ ما قد لا يناسبك في وقتٍ آخَر، "فإن كلَّ أمرٍ يُستحسَن في وَقته" (سي٣٩: ٤٠)..

في هذا كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[**قد يكون دواءٌ ما لأحد الناس سُمًّا لغيره**، وقد يكون هذا الدواء نفسه سُمًّا لهذا الإنسان عَينه **إذا تناوله في غير وقته**].

✝ **لا** تنتظر أن أحداً يهتم بك ما لم تَصحُ أنت لنفسك. لأنه لن يقدر أحد أن يُقَدِّمك، ولا حتى أبوك الروحي، بل ولا حتى الوسائط الروحية وحدها، بِغَير سَعيَك بِغَيرتك وهِمَّتك أنت، لأن "**كُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ**" (لو١٦: ١٦). وهذا مَبدأ:

الرهبنة طريق جهاد فردي

✝ **لا** تنتظر من نفسك أن تقودك هى نحو التَقَدُّم والتَقَدُّس. إن نفوس بَني الإنسان مريضة، إمَّا بآثار الخطية الأولى وإمَّا بخطاياها هى، ومرضُها قد تَأَصَّل وصار مُزمِناً، هذه الأمراض تُعرَف اشتهاراً لَدينا في الرهبنة بـ "الأوجاع/ الآلام/ الأهواء"، وكان المُنَفِّذ لهذه هو الجسد.

فالخطأ الذي تُبغِض فِعله تجد نفسك تفعله، وما تريد أن تفعله لكي تتقدم إلى الله تجد نفسك مُتثاقِلة في فِعله: "لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ إِذْ **لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ**... لأَنِّي **لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ** فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ" رو٧: ١٥، ١٩.. لكن إن أردت أن تكون كاملاً، وإن أردت أن تكون قديساً، بل وإن أردت أن تَخلُص؛ فقُد أنت نفسك، إضبِطها، أُحكُم عليها، ذاكِراً تعليم الكتاب: "**مَالِكُ رُوحِهِ** خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً" (أم١٦: ٣٢).. اِعتبِر أن ذلك القَول الرهباني المأثور الذي للقديس مقاريوس؛ هو لك أنت: [**أحكُم يا أخي على نفسك** قبل أن يحكُموا عليك].. وعلى قَدر قيادتك لنفسك وسيطرتك عليها؛ سَيَكون خلاصك بل تَقَدُّسك بل وتَكَمُّلك.

✝ **لا** تُغالِ في مقدار وقت للتأمل، ظانّاً أنك بِاستِطالتِك إيَّاه تَحصُل على فُرصة أكبر لِبلوغ معرفة روحية. لأننا جميعاً مازِلنا تحت الآلام، هذه التي تنشط في الأوقات الطويلة من الفراغ، والتي قد تتوارَد عليك من نشاط الفِكر، أو التي قد تُثيرُها عليك الأرواح الشريرة.. فإن كنت جالساً في قلايتك مُتأمِّلاً، ثم وجدت أن تأمُّلك في هذا الوقت عَينه غير فعَّال أو غير مُثمِر فحينئذٍ كُف..

في هذا كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [**لا تتسرَّع إلى التأمُّل طالما هو ليس وقت التأمُّل**، حتى يأتيك هو ويَضبِطك وأنت في جمال التواضع، لِيَتَّحِد معك إلى الأبد بالروح للطهارة].

✝ وفيما أنت تتأمل أو تقرأ؛ **لا** تُسنِد ظَهرك على شيء، لأن هذا الوضع يبعث كثيراً على النُّعاس.

✝ **لا** تُسِيء إلى نفسك وإلى وَقار رهبنتك بِطَلَب شيءٍ ماديّ، أو مالٍ، من أحد العلمانيين. وإذا حَمَّلَك أحَدُهُم بِتقدمةٍ لِلدير فتَعَفَّف وتَمَنَّع، وإذا ألَحَّ عليك مرتَين وثلاث فخُذ منه نِصفَها.

✝ قُدسُك "رَجُلُ اللهِ"، وهكذا يَراك الناس. **فلا** يكُن تعامُلك مع أحَد بِأقَل من هذا المستوى، حتى لَو تحمَّلتَ في سبيل هذا ظُلماً أو خسارةً مادية.. هذه ضَريبة على الراهب مُستحِقة الدَّفع.

✝ **لا** تدعُ نفسك بِدعوة لم يَدعُك الله بها حتى مع كَونها غير خاطئة. فلا تقُل مثلاً: أنا (أريد) أن أقود الألحان، أو: أنا (أحب) أن أكون معلِّماً، أو: أنا (أصلُح) أن أكون كاهناً، أو: أنا (أوَد) أن أخدم كنيسة الله.. كما **لا** ترفض دعوة يدعوك الله بها حتى لو لم تكُن تريدَها.

إن كان ضِمن مَبادئ عِلم تنمية الموارد البشرية، أنه لكي يتقلَّد أحدٌ مُهِمَّةً ما، يجب أن يتوفَّر لَديه عُنصُري "الرغبة" و "القُدرة"؛ فإنه في حَقل العمل الكَنَسِي يَضاف ـ إلى ذَينِك العُنصُرَين ـ عُنصُر "الدعوة". لأن أُناساً كانت دعواتهم في مواهبهم، لكنهم هُم دَعَوا أنفسهم إلى مسالك أخرى، ففشلوا في مسالكهم الجديدة وخسِروا مواهبهم الفِطرية.. نموذج لهم: كان خادمٌ مَوهوباً في حِفظ وفي تسليم الألحان، لكنه سَعى ـ بأسلوبٍ غير مباشِر ـ إلى تَقَلُّد الكهنوت، ولِما له من مَوهِبة غير عادية في هذا؛ فقد حصل على مَرغوبِه وسِيم كاهناً. ولكنه بعد زمنٍ ظهر عليه واضحاً قُصورَه في خدمته، وحتى مَوهِبته خسِرَها وخسِرَتها الكنيسة معه! وآخَر وآخَر غيره.. **"الْمُلْتَوِي فِي طَرِيقَيْنِ يَسقُطُ فِي إِحْدَاهُمَا"** (أم٢٨: ١٨)، وكَذلك في الرهبنة؛ فهناك رهبانٌ سِيموا كهنةً، لكنهم كانوا غير مؤهَّلين لخدمة الكهنوت أو لم يَسلكوا بِمُقتَضَياته، فأساءوا في الكهنوت، وبَعدئِذ، كان خيراً لهم لو لم يَكهَنوا.. وألا يوجد راهبٌ كان ذا قامةٍ روحيةٍ عالية، ولكنه لمَّا صار أسقفاً إنحَدَرَت روحيَّاته؟ وبَعدئِذ، كان خيراً له لو بَقيَ راهباً بسيطاً روحانياً.

فمِن العلامات الصحيحة للدعوة التي من الله هي: أنك لا تقتطِفها بنفسك بل تأتيك بواسطة مَسئولين: "أَرْسَلَنِي" (لو٤: ١٨). تأمَّل؛ ماذا لو إنخرط أنطونيوس في الخدمة في العالم؟ وماذا لو بَقيَ الشاب أثناسيوس عند أبَّا أنطونيوس في البرية؟ وماذا لو تَشَبَّث بولس بأن يكرز لليهود لا للأمم؟ وماذا لو لم يُلَبِّ موسى دعوة الله له فَلَم يذهب إلى فرعون؟.. أنت راهبٌ قد سلَّمتَ حياتك في يَد مَن تَرهَبه، وهو يُدَبِّر لك ما هو أنفَع لِخلاصك.. وفي هذا قال مار إسحاق:

[لا تسأل أن تجري الأمور حسب هَواك، لأن **الله أسبَق معرفةً مِنك بِالأصلَح لك**].

✝ **لا** تقُل لِأخيك كلمة صَعبة، حتى **لا** تُحزِن روح الله الذي فِيك، **ولا** تَجرَح المسيح الذي فيه.

✝ **لا** تكُن مَديوناً لأحدٍ بِشيءٍ بل بالمحبة دائِناً له، كَوصية الإنجيل: "**لاَ** تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ" (رو١٣: ٨).

✝ **لا** تتوقَّع أن حياتك الرهبانية لا تحتوي إلَّا على الأفراح والتعزيات الروحية. لماذا؟ لأن منهجنا روحي: روح الله يقود والراهب بروحه يسلك، بينما السلوك بالروح يتعارض وشهوات الجسد ويُضاد أهواء النفس (غل٥: ١٧).. فمثلاً بنو إسرائيل؛ مع أنهم رأوا مجد الرب، واختبروا عجائبه، وحصَلوا على ما لم تَحصُل عليه أيُّ شعوبٍ أخرى؛ فإن كثيرين منهم عثَروا وذَلُّوا أثناء الطريق بسبب شهوات الجسد وأهواء النفس هذه.. فمقابل كل أمجاد حياة الراهب الروحية مع الله؛ فإنها تكتنِفها صُعوبات الصحراء: شَظَف العَيش وأحياناً العَوَز، جوع وعطش الصوم، حرارة الجو أو برودته الزائدة، إثارة الأرواح الشريرة لِمَتاعِبه، وجهاده في نُسكِه في مُتطلِّباته النفسية.

ولكن ما يُشجِّع هو أن الوَضع لا يستمر هكذا، بل أن المجاهد (يَتَرَوْحَن) شيئاً فشيئاً، أي يتحول من حالة "الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ" إلى حالة الإنسان "الرُّوحِيُّ" (١كو٢: ١٤، ١٥)، فالمسيح بِاستِطاعته أن يملأ كل عواطف الراهب ومَشاعِره، فلا يَعود يشعر بِحِرمان (في٤: ١٩).

✝ **لا** تفتح فمك بالضحك فهذا ليس من شِيمة الرهبان. إن الضحك يطرد خوف الله من القلب. وحينما تكون مُتهَلِّلاً بالروح أو في زمن زيارة النعمة لك؛ **لا** تُظهِر فَرحَتك أو نَشوَتك على المَلأ، فلَعَل أحد إخوتك يكون في ذلك الوقت مُتَوجِّعَ القلب أو مَكسوراً أو مَغموماً بأي نوع.

✝ إذا كنت في مكانٍ عالٍ **فلا** تَتَلصَّص بِناظِرَيك على الناس، فمثل ذلك السلوك قد تَسَبَّب من قبل في بَلايا ثقيلة على رجُل المزامير وآخَرين معه (٢صم١١). عارٌ على راهبٍ أن يقِف في بلكونة.

✝ **لا** تَتَفحَّص تدبير أخيك: فِيمَا يأكل وفِيمَا يلبس، فِيمَا يقول وفِيمَا يفعل. إن قلب كل راهب هو كجَنَّة مُغلَقة أنت لا ترى منها سِوى الظاهر فقط.. فما تراه في أخيك صالحاً تعلَّم منه، وما بَدا لك غير هكذا اِعتبِر منه، وفي كل حال "**لاَ** يُفَكِّرَنَّ أَحَدٌ فِي السُّوءِ عَلَى قَرِيبِهِ فِي قُلُوبِكُمْ" (زك٨: ١٧).

قال القديس مقاريوس: [كما أن بُستاناً واحداً يَستَقي من ينبوعٍ واحدٍ، تنمو فيه أثمارٌ مختلفٌ مَذاقُها وألوانُها؛ كذلك الرهبان فإنهم يشربون من عَينٍ واحدة، وروحٌ واحدٌ ساكن فيهم **لكن ثمَرهم مختلف، فكل واحدٍ منهم يأتي بِثَمَرِهِ على قَدر الفَيض المُعطَى له من الله**].

✝ [**لا** تُبطِل عملاً من الأعمال الصالحة لأجل كلام الناس، **ولا** تعمل عملاً لأجل مَديح الناس] ـ القديس البابا كيرلس السادس.

✝ **لا** يتضمَّن كلامك أمراً شهوانياً، أو أمراً نسائياً. أمَّا إن كانت ضرورة ما لِذِكر شيءٍ من هذا؛ فليكُن بتَلميحٍ خفيف ولَفظٍ عفيف، لا بتَصريحٍ فاضِح ولفظٍ جارِح، يتأذَّى منه حَياء أُذُن أخيك. **لا** تتكلم كما يَلغُو أولئك المُتَوقِّحون بألفاظ غير عفيفة تَنُم عن السوق الذي بداخلهم (أف٥: ١٢).

✝ **لا** تَطَّلِع على أعمال الجسد الشهوانية، أو أن تختبر أيَّاً من أهوائه التي لم تسمع عنها من قبل، لا بقراءة ولا بمشاهدة ولا بأي مصدر آخَر.

ولا تتعذَّر بأنك تتعرَّف من باب التثقُّف أو حُب الاستِطلاع أو العِلم بالشيء وأنك لست بخاسرٍ شيئاً، لأنك في الحقيقة خاسرٌ كثيراً، "لِأَنَّ فِي كَثْرَةِ الْحِكْمَةِ كَثْرَةُ الْغَمِّ وَالَّذِي يَزِيدُ عِلْماً يَزِيدُ حُزْناً" جا١: ١٨، إنما ما هو أفضل من المعرفة هو أن **لا** تأكل من شجرة المعرفة!

لا تسمح لأحدٍ بأن يُلقي إليك بِثمرة من تلك الشجرة، مثلما أعطت حَوَّاء قديماً لآدم.. **لا** تسمح لِمُتحدثٍ بأن يُلقي في عقلك كلاماً، يُضيف به إليك معرفة تخُص الأمور الجسدية، فيُلَوِّث عقلك بخِبرة تضُرُّك ويُفقِدك بِساطة قلبك.. احتَرِز من أن تُجَر رِجلك إلى تلك الدَّوَّامة، فيَصعُب عليك بعد ذلك أن تُفلِت منها.. في هذا قال أنبا إشَعْيا: [إذا تَحَدث أُناسٌ بأفكارٍ لم تبلُغها بعد ولم تُحارَب بها؛ **فامتنِع من سَماع كلامهم هذا لئلا تَجلِب على نفسك ذلك القِتال**].

لأن المعارف العقلية لا تبقَى ساكِنة بل تنبُت وتنمو، وهى كَشَجرة اللِّبلاب تظل تتسلَّق دون هَوَادة، محاولةً أن تجد لها مَسلكاً حتى تُحقِّق ذاتها فِعلياً بالجسد، وما يختبره الجسد مرة واحدة ـ إن كان ما يُغذِّي الحواس أو البطن أو الغريزة الجسدية ـ فإنه يعود يطلبه، ثم يُكرِّر

إستخدامه مرةً أخرى، فمراتٍ، حتى يَعتاد عليه ويصير، بإرادته، أسيراً لِما اعتاده. هذه هى طبيعة جسد الخطية: يتقدم نحو مَوتِه.. فإن الراهب بهذا يُقَلِّل من رصيد الروح لَدَيه لحساب الجسد، بالرُّغم من النعمة التي قد قدَّسه الله بها: روحاً ونفساً وجسداً.

إعتبِر مما تَوَصَّل إليه (الحكيم) أيضاً أخيراً فأقَرَّ بأنه: "**لاَ يُنَجِّي الشَّرُّ أَصْحَابَهُ**" (جا٨: ٨). لِهذا كُن بريئاً براءة الأطفال من اختبار تلك المعرفة: "إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ **الأَوْلاَدِ** فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت١٨: ٣). وكما كُتِب: "كُونُوا **أَوْلاَداً** فِي الشَّرِّ" (١كو١٤: ٢٠)، و: "**بُسَطَاءَ** لِلشَّرِّ" (رو١٦: ١٩)، أي كونوا سُذَّجاً في معرفة الشر، وأنقياءَ من إختباره.

✝ **لا** تُعَوِّد رِجلَيك على مُبارَحة الدير، بل قَدِّر النعمة التي أنت فيها مُقيم. واذكر هذا: أنك وأنت خارج دَيرك الحَصين سَتُواجِه أحد أو أكثر من هذه الفئات أو من غيرها، وهُم كثيرون: المُتسوِّلين، ومن المسيحيين، وما أكثرهم الآن ـ المَرضَى النفسيّين ـ المُنحرفين الذين يتعلَّقون بأي راهبٍ طَلَباً للشفاء الروحي ـ المُتجسِّسين، رجالاً أو نساء ـ النساء غير التَقِيَّات، ومن المسيحيات...

✝ **لا** تدخل بَيتاً عائلياً غريباً، لا في غياب صاحِبِه ولا حتى في حضور صاحِبِه. فهناك العديد من الأخطار الروحية الكامِنة لك لَستَ تَراها في حِينِها، وسَوف لا تكتشف ذلك إلَّا مُؤخَّراً.. **لا** تمشِ في طريقٍ مُغايِرٍ وأرضٍ غريبة مُخاطِراً بِأقداسك الثمينة (**خَلِّيك في ديرَك**).

✝ **لا** تُطالِع جَرائد ومجلات الدُّنيا من بعد دخولك الدير، أُذكر أنك قد خرجت منه لأنك سَئِمتَ أكاذيبَه وأدناسَه. لماذا تعود تتردَّد على (الجِيَف) التي تَطَهَّرتَ منها؟ لماذا تُخرِب نفسك؟!

> طوبى للإنسان الذي يترك عنه هذا العُمر، واهتماماته المملوءة تَعَباً القاتلة للنفس، ويحمل صليبه يوماً فيوماً، ويُلصِق عقله وقلبه بِاسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح
>
> (من إبصالية يوم الجمعة)

في (مُعضِلة) الطريق الرهباني؛ العِفَّة

البتولية حياة حُب وعهد حُب وسِر حُب، ولكنه حُبٌ إلهيٌ روحانيٌ مُحتجَب، يُحسَب عند البتوليين (ثامِن) أسرار الكنيسة. ليس أقرَب إلى الله مثل القلب النَّقي البَتولي. فالبتوليون قدَّموا أجسادهم ذبيحة حُب حيَّة لله، ففضَّلوه عن ذَواتهم واحتياجاتهم الضرورية، لِذا فإن:

"...هَؤُلاَءِ اشْتُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً لِلَّهِ وَلِلْحَمَلِ" رؤ١٤: ٤

لكنها حقاً مُعضِلة، لأن الحياة البتولية ليست تَوَجُّهاً نفسانياً ولكنها منهجٌ إنجيليٍ روحاني، لا يمكن لإنسانٍ أن يقوم به بنفسه إلَّا بِمُساندَة نعمة المسيح، ولِذا لا يمكن لإنسانٍ أن يصير بتولاً عفيفاً غير الإنسان المسيحي. لأن الطبيعة الجسدية لها ناموس، خصائص دَورة حياة، وهى تقوم بِوَظيفتها بِطَريقة ذاتية تِلقائية. فإن كان الراهب قد ارتاد طريق ما فوق الطبيعة، أي البتولية، نابِذاً أهواء النفس وشهوات الجسد، ناشِداً السلوك بالروح كُلِّيةً؛ فإنه يكون كمَثل مَن يَسبَح ضد تيار المياه، أو كمَثل مَن يصعد جبلاً ضد قانون الجاذبية الطبيعي.

وبِمُطالَعة التُّراث الرهباني التاريخي؛ وُجِد أن غالبية المتاعب التي تُؤَرِّق الراهب في جهاده الرهباني هى من جهة الغريزة الجسدية، إمَّا التي بسبب هَواه ومَيله هو، وإمَّا التي يُكابِدها من مُحارَبة أرواح النَّجاسة له. ولكنها ليست مثل غريزة الجوع وغيرها اللازمة للبقاء في الحياة، بل بنعمة الرب يمكن اِختِزالُها.. فتَكمُن مُعضِلة الحياة البتولية في أنها لا تنحصِر في الغريزة الجسدية وحدها؛ بل تتصل وبقوةٍ بِتَكوين النفس، عواطِفها ودَوافِعها وإدراكها ووجدانها ونُزوعها. حتى قد يُفكِّر راهب: إن كان الأمر هكذا فلماذا لا يَعفي الله البتوليين من هذه الغريزة بنعمةٍ خاصة، يوم التكريس مثلاً؟! لكن هذا ليس بحَسَنٍ، لأنه لكي يُكَلَّل البتول يجب أن يكون له اختيارٌ دائمٌ وجهادٌ وغَلَبةٌ يُكافَأ عليهم.. وإذا كَثُرَت حروبه، بل وإذا جُرِح في جهاده ضِد الشياطين، ولم يَخُر عَزمه بسبب السقطات العارِضة له ـ كمَثل جنديٍ تَلَقَّى في حَربه جِراحاتٍ؛ لا يأمُر مَلِكُه بِعَزله بل بالحَري يُرَقِّيه ـ فإن الملك السمائي سَيُكَلِّله وسَيُمجِّده كمُحارِبٍ صِنديد (شجاع)!

قَرِّر طريقك أولاً:

الكلام هنا للذي ما زال في البداءة، في فترة الاختيار. فقبل البدء في دراسة التدبيرات الروحية للحياة البتولية، ثم التدبيرات الجسدية المُقترِنة بها؛ يجب على المَرء أولاً أن يُحَدِّد طريقه: أيَختار أن يكون بتولاً أم يختار أن يكون زَوجاً؟ فَليمتحِن الإنسان نفسه: هل يمكنه أن يَنضَم إلى فرقة البتوليين الذين عقَدوا العَزم على قَمع أجسادهم وبَيَّتُوا النِّيَّة على مقاومة طبيعتهم، دون تَحَرُّق أو شعور بِالحِرمان؛ أم أن يَنضَم إلى فرقة المتزوجين التي ينتمي إليها غالبية الناس؟

لأنه إن كان الاختيار صَعب فالأصعَب هو أن تعيش اِختيارك. فالكَبت الجنسي يضر كثيراً بِالصحة النفسية، وفضلاً عن هذا فإن الأرواح النجسة تستغل هذه الناحية في مضايقة الراهب أو البتول.

لأن هناك أناسٌ يرغبون في الحياة البتولية لكنهم لا يجلسون أولاً ويحسبون النَّفقة، هل عندهم ما يَلزَم للاستمرار حتى النهاية (لو١٤: ٢٨)؟ وبعدما يَنخَرِطون فيها يرجعون بقلوبهم ولا يسلكون بِمُقتضاها فَيَتَخَبَّطون ويَتَعَثَّرون، حتى يؤنِّبهم الروح: "حَتَّى مَتَى **تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ**؟" (١مل١٨: ٢١).. إن المَرء ليس مُضطَراً للحياة البتولية إضطِراره لِتَأدِية الخدمة العسكرية!

إن كُنتَ راغباً في الرهبنة أو أخاً بِدَيرٍ، ووجَدتَ أنك مُتَعثِّر في هذه الناحية لِدرجة التَّحَرُّق وغير قادِر على ضَبط نفسك، أو إن كنتَ قد طَرَقْتَ باب عِدة أديرة طَلَباً للرهبنة ولم تُقبَل منها، أو إن كنتَ قد أمضَيتَ بِأحد الأديرة زَمَناً ليس بِقَليل لكنك لم تشعُر فيه بِتَأييد الروح لك، أو أُجْبِرتَ على تَركِه، ليس فقط من جهة المُفاضَلة بين البتولية والزواج إنَّما أيضاً من جهة أمورٍ أخرى ـ فتأكَّد من صِحة دَعوَتك، وأعِد حِساب نَفَقَتك من جديد، وخُذ القرار، هذا أفضل لك جداً.

صحيحٌ أنه "مَنْ زَوَّجَ فَحَسَناً يَفْعَلُ **وَمَنْ لاَ يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ**" (١كو٧: ٣٨)؛ ولكن "إِنْ لَمْ يَضْبُطُوا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَتَزَوَّجُوا لأَنَّ **التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ**" (١كو٧: ٩). فالتَزَوُّج بالشَّرع والطهارة والبركة أصلَح من التَّبَتُّل بِالخطأ والدنس والغضب:

"فَتَحْفَظُونَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَجَمِيعَ أَحْكَامِي، وَتَعْمَلُونَهَا **لِكَيْ لاَ تَقْذِفَكُمُ الأَرْضُ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لِتَسْكُنُوا فِيهَا**" لا٢٠: ٢٢

وَلا تُنَجِّسُوا الأَرْضَ الَّتِي أَنْتُمْ مُقِيمُونَ فِيهَا **الَّتِي أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهَا**. إِنِّي **أَنَا الرَّبُّ سَاكِنٌ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**" عد٣٥: ٣٤

وبالمقابل؛ فالحياة البتولية لَيسَت بِبَعيدة، لأن المُحامي الأول فيها لِصالح البتول المجاهد هو روح الله روح العِفة، وكثيرون جداً هُم الذين اقتَنوها بِفَرَح، وإن كانوا يتألَّمون وأحياناً يُقَصِّرون..

حقائق:

١ـ إن وُجِد إنسانٌ ما يحب إنساناً حُبَّاً حقيقياً قوياً ومِثالياً، إن كان على مستوى الحب الأدبي برابطة الدم كالحب الأَبَوي أو الحب البَنَوي، وإن كان على مستوى الحب الجِسداني ـ فليس السبب الطبيعي لافتراقه عن مَحبوبه هو الموت وحده، إنما أيضاً هو التَرَهُّب!

لأن سبب التَرَهُّب هو تَفاضُل عاطِفة الراهب نَحو المخلوقات إلى عاطِفته نَحو الخالق، وتَفاضُل عزائِه من قِبَل المرأة إلى عزائِه من قِبَل الله (مت١٠: ٣٤ـ ٤٠). فأيَّة محبة في قلب الراهب التي دفعته إلى هَجر العالم والرَّحيل عن البشر؟! "**لأَنَّ الْمَحَبَّةَ (الإلهية) قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ**" نش٨: ٦

٢ـ لا ينبغي أن تعطي لأمر نشاط الغريزة الطبيعية اِهتماماً زائِداً، لأنك بتفكيرك الزائد فيه ورَيبَتك منه تجتذب إلى عقلك الباطن، دون إرادتك، إيحاءاتٍ سلبية، يعمل هو بِدَوره، تلقائياً، على تفعيلها. لكن تكفي إرادتك الصالحة في الحياة المقدسة النقية، ثم اركِن النتيجة كليةً إلى عمل النعمة.. تَوَقَّع حياة العِفَّة والطهارة، ولا تُعِر الأمر اِنتباهاً زائداً.

٣ـ الغريزة الجسدية لا تَنقطِع، لكنها تَنقاد بالتَّوَجُّه الشخصي الفَردي، وحالة الجسد، وعامل السِّن، ما بين نشاطٍ وسكون، فهي: إمَّا أن تُسَكَّن (بِمُداوَمة الأصوام، وحِفظ القلب، وحِراسة الأفكار، والتحفُّظ، والسلوك بالروح..)؛ وإمَّا أن تُطلَق (بالتهاون في هذه). وهذا ما يُفسِّر لنا ما قرأناه في بُستان الرهبان عَمَّن يتقدَّمون وعَمَّن يتأخَّرون، شُبَّاناً كانوا أم شيوخاً.. إنها غريزة استِمرار الحياة.

٤ـ ليس من الصواب التغلُّب على مُثيرات الغريزة الجسدية بمُحاورتها على أساس الفكر والمنطق، لأنها هى التي تتَّخِذ من قوة الطبيعة الجسدية مُناصِراً لها.. ولا بقوة الإرادة الذاتية وحدها، لأن الفَرد حينئذٍ سَيكون مُضاداً لنفسه، إنما بهَذَين التدبيرَين معاً:

أولاً: رأس التَغَلُّب على مُجاذَبة شهوةٍ ما هو "رفضها". والقَصد برفضها هنا ينسحب تحديداً على الإرادة العَميقة. الشهوة المَرزولة لا تقوَى عليك إذا أنت أبغَضتها ورفضتها من عُمق قلبك، فبِرَفضك لها تُعطي لِعَقلك الباطِن أمراً (order) بِالانضِباط وعدم التفكير فيها. وفي المقابل؛ فَفَضيلة الطهارة تُوافيك إن أنت ابتغَيتَها بِصِدق، وقد قِيل بِأن [**الفضيلة تُريد مِنا أن نُريدَها، لا غير**].

والتصرُّف الأمثَل لِرَفض الشهوة هو الابتِعاد عن مُسَبِّباتها والهروب من مُلاقَاتها. وهذا التصرُّف إنجيليٌ بالدرجة الأولى، فإن كلمة الله هى: "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ **فَاهْرُبْ** مِنْهَا" (٢تي٢: ٢٢)، "...كَغُرَبَاءَ وَنُزَلاَءَ أَنْ **تَمْتَنِعُوا** عَنِ الشَّهَوَاتِ الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي تُحَارِبُ النَّفْسَ" (١بط٢: ١١)، "**هَارِبِينَ** مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ" (٢بط١: ٤)، "**أُهْرُبُوا** مِنَ الزِّنَا" (١كو٦: ١٨)، "فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا **وَهَرَبَ** وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ" (تك٣٩: ١٢)...

الراهب، على وَجه الخُصوص، إنَّما يَختبِر أبرَز صِفَتَين في حياة شمشون؛ أوَّلها: القوة الروحية العُلوِية الكامِنة في نَذرِه، وثانيها: الحَساسِيَّة تجاه الأنثى. لِذا يتوجَّب عليه أن يَتَّعِظ من سَلَفِه بِأن: **أ ـ يُحافِظ على مجده**، **ب ـ يهرب من مُضادَّات نقطة ضعفه**، أن يفعل كما فعل يوسف؛ فماذا لو لم **يهرب يوسف فَوراً**؟! إنه قد مُدِح لا لِانعِتاقِه من الهَوَى لكن **لِفَراره من الخطية**.

ثانياً: اِستِدعاء قوة النعمة والاستِناد عليها، النعمة التي تمنح المجاهد قدرة روحية يرتفع بها فوق حالة طبيعته اللَّحمِية، وهذا يكون بالسجود المُتواتِر أمام الله، والإطالة في كل سَجدة، مع صلاة قصيرة ذات إحساسٍ عالٍ.. اذكر كَم تحتوي صلاة تحليل الستار على تضرُّعات لِاستِدعاء النعمة!

٥ـ هناك أناسٌ أعِفَّاء بطبيعتهم، ولكن ضَعفتهم هى حساسيَّتهم الانفعالية الأوفَر (عاطِفيون أكثر)، فبمجرد أن تَعرِض تلك أمامهم، إن كان بالفكر أو بإحدى الحواس، من القراءات أو من التعاملات

اليومية مع الناس؛ يُستَثارون أيسَر من غيرهم.. فيتَعَيَّن على أولئك، حال ذلك المؤثر الخارجي تغيير الحالة الشعورية أو الفكرية (الموضوع ـ المكان..)، عن طريق إشغالها بِشاغِلٍ آخر، شاغِل روحي أو شاغل عملي، بحيث لا يأخذ ذلك المؤثر لَدَيهم عُمقاً وجدانياً قد يُعثِرهم لاحِقاً.

٦ـ قد يكون سبب تَدَنِّي الفرد إلى حالة عدم التَعَفُّف؛ ليس هو عَثرة من أحد ولا تجرِبة شيطانية؛ بل حالة عَرَضية إثْر حدوث صِغَر نفس لَدَيه (نتيجة فشلٍ ما، أو أحباط أمام مَصاعِب الحياة، أو عدم توفُّر إحدَى حاجاته النفسية كالحاجة إلى الحب، أو التقدير، أو الشعور بالاهتمام، أو الشعور بأنه مَرغوب...)، فتقوم النفس بِاتِّخاذ موقفٍ إنسِحابي، بِاستجلاب عزاءٍ ذاتي، بِاستِدعاء مناظر أو أفكار أو مشاعر سَمِجة لِإحداث تَوَازُنٍ داخلي وقت الألم. وتعتاد النفس ذلك السلوك حتى إنها في مرحلةٍ ما منه تُدمِنه. لكن هذا سلوك غير صِحّي إزاء مواجهة الأزمات.

وتكمُن الخطورة في ما إذا تَواجَدَت مادة للخطية أو للعَثرة (إحدى وسائل الميديا ـ جسد مُتاح..)، وتبلُغ الخطورة ذُروَتها في ما إذا ضغط روح النجاسة على الراهب في ذلك الوقت عَينه بِالشهوة، أو هَيَّأ له إحدى (خادِماته)، وعندئذٍ يكون الراهب (سَكِراً) بِالشهوة، ومُغَيّباً لِضَميره، إرادياً، وقلبه غير مُنتصِبٍ للمقاومة، فإذا أتَمَّها بِالفِعل فَطِن أنه قد أجرَمَ وسقط!

٧ـ هناك أمرٌ عجيب، عرَّفنا به الآباء من خِبراتهم؛ أنه إذا شعر الإنسان البتول بِلذَّة حادَّة عارِضة؛ فإن سبب هذا قد يرجع إلى أنه جعل في نفسه إدانةً لِأحد! وللآباء أقوال عديدة في هذا الأمر.

٨ـ أمرٌ آخَر عجيب؛ أفادت دراسة بِأن كثرة اِستخدام (لاب توب) يُزيد من إفراز هُرمون الغَريزة!

٩ـ لا تَثِق بِطين جسدك مَدى حياتك، ظانّاً أن كثرة جهادك تُعدِم شهواته. لأنه كما أن رماد الحريق يَحوي في باطِنه حرارة النار ويستغرِق زمناً كبيراً حتى يَبرُد؛ هكذا بعد أن تَقمَع الجسد بِكَثرة الصوم وأعمال الاتِّضاع؛ فإنه لا يزال يَحوي في طبيعته ميوله الهَيولية (المادِّية)، ويستغرِق زمناً كبيراً حتى يهدأ وتُبطَل شهواته. هذه طبيعة "جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ" (رو٧: ٢٤).. وقد قِيل في الأدب الرهباني بِأن الملائكة يتعجبون من مُشابهَة البتوليين، ذَوي الأجساد، لهُم في الروحانية.

١٠ـ تَوافُر البتول على تناول جسد ودم المسيح، بِاستعداد؛ يُعَزِّز تَعَفُّفه عن شهواته، ويمنحه قوة روحية مُقابل طُغيان أفكار الظلمة.

١١ـ روح شهوة الحواس وروح شهوة البطن خادمان مباشران عَمَّالان لروح النجاسة.

فكما أن الكبرياء يَسبِق الكسر ويؤدي إليه، وأن تشامخ الروح يَسبِق السقوط ويؤدي إليه؛ هكذا فإن شرود الحواس يَسبِق الأوجاع ويُفَعِّلها، وأن امتلاء البطن يَسبِق حرارة الجسد ويُحرِّكه.. شبع البطن وكثرة شُرب الماء مؤثِّرات سَلبية قوية على العقل أشبَه في تأثيرها عليه بمفعول الخمر، ما يمكن تَسمِيته "السُّكْر الواعي"، فَيَكون الشخص مُتوجِّهاً بِشهوته وهو بِكامل وَعيه واختياره، مُتناسِياً تَحَفُّظه والتِزامه: "لَمَّا رَعُوا شَبِعُوا. **شَبِعُوا وَارْتَفَعَتْ قُلُوبُهُمْ لِذَلِكَ نَسُونِي**" هو١٣: ٦.. ولقد أجمَعَت خِبرات وتعاليم قَدِّيسي الطريق الرهباني، على مَدَى تاريخه، على أنه لكي تَحيا كراهبٍ بِالعِفَّة والطهارة، ولكي تَطرَح عنك ألَم الشهوة المَرذولة ـ فَلَيس لك بُدٌ من صَومٍ دائم، فَضلاً عن أنه عند انتهاء مِيعاد صَومك لا يَصِل حَد تَناولك من الطعام، ومن الماء، إلى الشبع.

فأيُّهما تختار يا رَجُل الله: ألَم الدنس المَرذول؛ أم ألَم إمساك (ضَبط) المَعِدة الممدوح؟

من كتابات الآباء في هذا:

مار إسحاق السرياني:

[كما أنه من بِذار عَرَق الصوم ينمو سُنبُل العِفة؛ هكذا **من الشَّبع يتولد الفسق، ومن الامتلاء النجاسة**]. [**الصوم** يحافظ على كل فضيلة، وهو بداية الجهاد وإكليل الذين في الإمساك، وجمال البتولية والتقديس، **وبَريق العِفة**]. [مَن يرغب في مُعاشَرة **الصوم** والسهر طول حياته يصبح **حبيباً للعِفة**. فكما أن **راحة البطن** هى بداية كل الشرور والاسترخاء الناجِم عن النوم هو مُثير شهوة الفسق؛ فإن **الصوم** والسهر هما طريق الله المقدسة وأساس كل فضيلة]. [لا يمكن بعد **شبع البطن** إلَّا أن تدنو إلينا تجارب الأفكار وحركة الأعضاء. يا للعجب من **الذين يشتهون الشبع من المآكِل، كيف يمكنهم أن يحفظوا العِفة ولا تتنجس نقاوتها؟!**].

الأب يوحنا (من كرونستادت):

[تأكَّد تماماً أن العدو يُهاجِم **القلب** عن طريق اِمتِلاء **البطن**].

الأب يوحنا الدَّرَجي:

[**الشبع** يُوَلِّد الزنى، والتَّضييق على **المَعِدة** طريق إلى **العِفة**]. [مَن أعَزَّ **مَعِدَته** وشاء في الوقت نفسه أن **يَقهَر روح الزنى**؛ يُشبه مَن يُطفئ حَريقاً بزَيت].

القديس موسى القوي:

[اِبغِض **شهوة البطن** لئلا يُحيط بك عماليق. ضبط **شهوة البطن** يُقَلِّل من تأثير الشهوات. **شهوة الأطعمة** تُوقِظ الغرائز والانفعالات، والامتناع عنها يقمَعُها. **شهوة البطن** أساس كل الأوجاع].

مار أوغريس:

[الشهوة إذا تَوَقَّدت يُطفِئها **الجوع** والتعب والهدوء، والعقل إذا تاهَ تُرجِعه قراءة الكتب وسهر الليل والصلاة، والغضب إذا هاج يُخمِده الترتيل وطول الأناة والرحمة. كما أن اللَّهيب يَخمُد إذا لم يجد فيه أخشاب كذلك **قِلَّة الأطعمة تُخمِد الشهوة**]. [إن أردت الطهارة **فأنقِص من الطعام وضَيِّق من شُرب الماء**، وحينئذٍ تقتني طهارة القلب ليُضيء عقلك مثل كوكب تَراه في صلاتك، كما قال ربنا يسوع المسيح في الإنجيل: "إِذَا خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا **مَاءٍ**، يَطْلُبُ رَاحَةً وَلاَ يَجِدُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ" (مت١٢: ٤٣، ٤٤). والآباء قالوا: إن لم يُنقِص من **طعامه** وبالأكثر من **شُرب الماء** لا يَغلِب روح الزنى ولا يُكَمِّل العِفة. فَلَيس شيء يُنَشِّف الأعضاء ويُنَشِّف من جنابة الليل ويُهدئ الأفكار الدنسة في النهار مثل **العطش**، حتى أن مَن صام وقَلَّل طعامه لم يستفِد من كثرة **شُرب الماء**، لأن **كثرة الماء** يملأ البطن ويُزيد الأعضاء رطوبة، فَيَجد الشيطان سبباً في خداعه في أفكار النهار وأحلام الليل].

القديس برصنوفيوس:

[إن إمساك البطن هو أن **تُقَلِّل من شبعك قليلاً**، وإن كان عليك قِتال **فاترك قليلاً أكثر**].

تدبيرٌ لِتناول الطعام في أشهُر العام الحارَّة لا يؤثر سلبياً على الغريزة الجسدية:

نظراً لِارتباط الغريزة الجسدية بِامتلاء المَعِدة؛ فمن جهتي، أرى تَوقيتاً لِميعاد بَدء الانقطاع يَتبايَن قليلاً عن المُعتاد، تَوقيتاً يناسب بصفةٍ عامة أشهُر العام الحارَّة، أي **من بداية صوم الرسل إلى ما قبل صوم الميلاد**، في أيام الصوم وفي باقي الأيام، حيث يحتاج الجسم إلى قَدرٍ أكبر من الغذاء ومقادير أكثر من الماء، وهو أن يبدأ الراهب إنقطاعه لا من منتصف الليل وحتى تَوقيتٍ متأخر من اليوم التالي؛ بل من غروب يَومه وحتى ظُهر يَومه التالي. ولأن غالِبية الرهبان يتناوَلون طعامهم مَرتَين في اليوم، عدا المُتقشِّفين؛ فبِهذا يتناول طعامه هكذا: المرة الأولى الساعة ١٢ أو ١١ صباحاً والثانية ٥ مساءً، **كَي يَبدأ صَومَه الانقِطاعي مع بدء صلاة الغروب الساعة ٦ مساءً**.

(قديماً كان مَشاعاً بين الآباء أنهم بعد الغروب ينامون لِيَستيقظوا في نصف الليل للتسبيح).

عموماً؛ إن كنتَ مُستقراً في تَوقيت بدء الانقطاع المُعتاد فابقَ عليه

مميزات هذا التَوقيت:

أولاً: يمكن تطبيقه على كلٍ من: أيام الصوم (عدا يوم تَناوُله في قُدَّاسٍ متأخر)، وأيام الفِطر.

ثانياً: في أيام الصوم يُعطي الراهب تدبيراً معتدلاً من النُّسك، وفي الأيام العادية يُعطيه تدبيراً مُعتدلاً أيضاً من الغذاء.

ثالثاً: عدم تَأثُّر فترة صومه الانقطاعي، لأنها تبدأ عقِب طعام مسائِه وتمتد حتي ميعاد فِطره باليوم التالي، فتَبلُغ ١٧ ساعة أو أكثر دون إرهاق.

رابعاً: لا يتعارَض مع نُسكِيَّات الصوم الكبير، حيث أن الصوم الكبير لا يقع في نِطاق هذا التدبير.

خامساً: ثَبات النظام لفترة طويلة نسبياً يعطي إنتظاماً للتدبير واستقراراً للجسم.

سادساً: تَناول الراهب طعامه صباحاً في وقتٍ غير متأخر:

أ ـ لا يعني أنه يأكل في وقتٍ مبكر، لأنه يبقى غير مُفطِرٍ حتى الساعة ١٢ أو ١١ صباحاً.

ب ـ يُمَكِّنه نِسبياً من الاستفادة بِفوائد تنشيط المُخ الخاصة بتناول الطعام في وقتٍ غير متأخر.

ج ـ يُمَكِّنه من القيام بِمَهامه اليومية الصباحية، الروحية والمادية، دون ضُغطَة.

د ـ يساعده ـ عند تناوله طعامه ـ على ألَّا يكون نَهِماً، فلا يأكل بشهوة ولا يأكل أكثر من حاجته، بسبب طُول فترة صومه الانقطاعي، أو بسبب مجهود العمل.

سابعاً: تَناول الراهب طعامه مساءً في وقتٍ غير متأخر:

أ ـ لا يسبب اضطراب المعدة عند الهضم، فَبِما أن المدة الزمنية اللازمة لهَضم الوجبة الأولى تتراوَح ما بين أربعٍ إلى سِت ساعات، وأن الفارِق الزمني فيما بين الوَجبَتَين هو سِت ساعات؛ لِذا فإن هذا يجعل المعدة فارغة من طعام الوجبة الأولى عند تناول طعام الوجبة الثانية.

ب ـ يجعله مُستعِداً للتقدم للتناول في صباح اليوم التالي لَو كان قُدَّاسُه مبكراً جداً، لأنه يكون قد أتَمَّ فترة الانقطاع التي تسبق التناول وأكثر منها، وهى ٩ ساعات.

ج ـ مناسبٌ للذين بعد الغروب يَنامُون لِيَستيقِظوا في نصف الليل، حيث تكون المَعِدة خفيفة.

ثامناً: عدم امتلاء المَعِدة أثناء النوم، بسبب الطول النسبي للفترة التي بين عشائه وبين نومه:

أ ـ يُخَفِّف عنه مُكابَدة الأهواء التي قد تُتعِبه من حرارة الجسد، وكذا تجارِب الدنس التي قد يتعرض لها من روح النجاسة، وهذه أهم مِيزة من مميزات هذا النظام. لهذا، اِحرص على أن يكون آخر طعامك قبل تَوارِي الشمس، وإن دَعَت الضرورة إلى شرُب مشروبٍ مساءً، فلا يكون نوعاً من مُنبِّهات الأعصاب أمثِلَة الشاي أو القهوة.

ب ـ يُجَنِّبه اضطراب المَعِدة والأحلام المُزعِجة، التي قد تُصيبه أثناء النوم من جَرَّاءِ اِمتِلاء المَعِدة.

ج ـ يُجَنِّبه ارتفاع نسبة الدهون في الدم (cholesterol).

أُكَرِّر: هذا التوقيت يُناسِب بصفةٍ عامة أشهُر العام الحارَّة، أي من بداية صوم الرسل إلى ما قبل صوم الميلاد.

	المصادر المؤثرة على الغريزة الجسدية، والتدبيرات الإيجابية المقابلة لكلٍ منها			
	١ـ الطاقة الحيوية	٢ـ العاطفة النفسانية	٣ـ أشخاص مُعثِرون	٤ـ مُحاربة الشياطين
المؤثرات:	أ ـ الإفراز الهُرموني غير الإرادي. ب ـ مُثيرات الجهاز العصبي. ج ـ مُثيرات الأعضاء. د ـ ما تجمعه الحواس. هـ ـ كمية ونوع الطعام (اللحم الحيواني مُحفِّز أكثر للغريزة الجسدية). و ـ مُدة ووَضع النوم.	أ ـ النزعة الجنسية (ذكورة ـ أُنوثة). ب ـ حالة الذهن. ج ـ المعتقدات الفكرية. د ـ مَدى الشبع الوجداني. هـ ـ كيفية تدبير الوقت. و ـ أحباط ـ كبت.. ز ـ مَيل عاطفي نحو آخَر.	أ ـ وسائل الإعلام والميديا بأنواعها. ب ـ ظروف محيطة مُعثِرة (أشخاص غير روحانيين ـ طبيعة عمل غير صالحة..). ج ـ عثرات النساء (ملابس ـ سلوك ـ كلام..). د ـ تَوَدُّد خاص أو مُجاذَبة من إمرأة لك.	أ ـ عرض أفكار. ب ـ تصوير مناظر أثناء النوم. ج ـ إثارة العاطفة بإيعاذات خَيالات الجنس الآخَر. د ـ بَث حركة بالأعضاء (للبالغين روحياً). هـ ـ دفع امرأة بالشهوة إلى تجربتك.
نتائجها:	حَث وظيفة الغريزة	مادِّية وتَدَنِّي العاطفة	مُحارَبة العثرات	تخبُّط لَدَى المُتوانين
التدبيرات الإيجابية المقابِلة لكلٍ منها:	أ ـ التعامل مع انفعالات الجسد بلياقة. ب ـ التعفُّف. ج ـ السلوك ـ الملابس غير الضيِّقة ـ الاحتِشام. د ـ الضبط الذاتي للحواس. هـ ـ الصوم (ضبط الكمية ـ لا للدهن واللحم الحيواني ـ لا للمواد الحِرِّيفة ـ الحَد من تناول الأطعمة التي ينتج عنها سُعرات حرارية عالية (البلح..) ـ الحَد من تناول المُنبهات (الشاي ـ القهوة). و ـ تتراوَح فترة النوم اليومية، للغالبية، فيما بين ٦ إلى ٨ ساعات ـ النوم والمعدة غير ممتلئة ـ يكون النوم على أحد الجنبَين.	أ ـ الاقتناع الفكري والإرادة الراسخة على الحياة البتولية ـ التسامي بالعاطفة للروحانية. ب ـ الضبط الذاتي للفكر ـ لا تُعِر الأمر إنتباهاً زائداً. ج ـ الجسد مقدس ـ الطهارة متوقَّعة. د ـ الشبع بالحب الإلهي ـ الإضطلاع برسالة أدبية أو خدمة روحية ـ تفعيل المَلَكات (بحث ـ فن..). هـ ـ الامتلاء بعمل الرب كل حين ـ عمل اليَدَين اليومي. و ـ الاستفادة من خبرات الصحة النفسية. ز ـ تقدير أفضلية النصيب الصالح ـ المَيل العاطفي حالة عرَضية مؤقتة ويمكن ضبطه ـ اهرب لحياتك.	أ ـ العَف عن إستِطلاع معلومات وسائل الإعلام أو الميديا، لأن ضررها أكثر بكثير جداً من نفعها. ب ـ التواجد في بيئة طاهرة قدر الإمكان (الأشخاص ـ العمل..) ـ تجنُّب المُعثرات والمُثيرات. ج ـ تجنُّب: مُلاقاة النساء ـ التعامُل معهن ـ النظر إلى وجوههن. د ـ مَنعها من التكلم معك بدالة ـ عدم تواجُدها معك إلَّا وسط أُناس.	أ ـ هَدم لَمح الفكر ـ كشف الفكر للأب الروحي. ب ـ عدم محاولة تذَكُّر ما قد عَرَض أثناء النوم. ج ـ الانتباه والتَحَفُّظ. د ـ اللُّجوء إلى معونة نعمة المسيح وطلب الطهارة ـ ممارسة وسائط النعمة. هـ ـ الزَّجر (الانتِهار الحاد).
فَوائدها:	طبيعية وظيفة الغريزة الجسدية	تَرَقِّي وروحانية العاطفة	الصُّمود مقابل العثرات	الغَلَبة الروحية للمُجاهدين

ملاحظات على الجدول السابق:

١ـ الإفراز الهُرموني غير الإنفعالي (غير الإرادي) هو أحد الهرمونات الحيوية الطبيعية التي يُفرِزها الجسم، كباقي هُرمونات الغُدَد الصَّمَّاء كالغُدَّة الدَّرَقية والغدة البِنكِرياسية، والتي تعمل جميعها تحت قيادة الغدة النُخامية. ويرتبط نشاط هذه الطاقة بِنُظَرائه في أعضاء وأجهزة الجسم الأخرى، وبِصفةٍ خاصة الجهاز العصبي، الذي يتصل اِتصالاً قوياً بالحواس، وأولها الحاسَّتَين الأكثر تأثيراً على الغريزة الجسدية وهُما النظر واللمس. كما يتأثر نشاطها بِعدد السُّعرات الحرارية الناتجة عن اِستهلاك كمية ونوع الطعام (يُعرَف أن اللحم الحيواني مُحَفِّز أكثر للغريزة الجسدية: [**كما أن المواد الدُّهنية تُزيد النار اِضطراماً؛ هكذا طَراوَة المأكل تُنمي ألم الشهوة**] ـ مار إسحاق)، ويتناسَب مع عدد السُّعرات التي يقوم الجسم بِحَرقها لإنتاج طاقته، الأمر الذي يرتبط بالجهد البَدَني المبذول.

٢ـ لا تتجاهل حالتك الخاصة. فقد يكون بداخلك مناطق ضعيفة يسهل تأثُّرها، قد تكون ميولاً أو سلوكاً قديماً لم تُشفَ منه بَعد، وقد تكون عطباً نفسياً ما يظهر تأثيره من وقتٍ لآخَر، كالشعور بالنقص أو تجرِبة فشل.. وقد تكون خبرةً ما قد تركَت بِك جُرحاً غائِراً لم يَلتَئِم بَعد، هذا الذي يعود تأثيره السلبي ويصُب في هذه الناحية.

٣ـ نعم يجب أن يكون الراهب شَبِعاً بالروح مُجاهِداً في حياة العِفة والطهارة: "**اَلنَّفْسُ الشَّبْعَانَةُ تَدُوسُ الْعَسَلَ وَلِلنَّفْسِ الْجَائِعَةِ كُلُّ مُرٍّ حُلْوٌ**" أمثال٢٧: ٧؛ لكن علينا ألَّا نتجاهل البُعد الواقعي: "نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، **وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ**" ١يو٥: ١٩، فالعَثرات منتشرة في عالَمنا إنتشار الجراثيم في الهواء. وقد حذَّرنا السيد المسيح منها مُسبَقاً: "وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! **فَلاَبُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ**، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ **الإِنْسَانِ** الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!" مت١٨: ٧ (سبب العَثرة هنا ليس شيطاناً بل إنساناً). لهذا تتضرع الكنيسة لأجل أبنائها البتوليين: [طهارةً للذين في البتولية..].

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [إن ربنا الصالح قد أظهَر عنايته الكثيرة بِنا بأن **ألجَم وَقاحة الأنثى بالحَياء كما بِلِجام، لأنه لَو كانت الأنثى تُحاضِر إلى الذكر لَما نَجا أي جسد!**]. لهذا، فكما هربت من الدُّنيا الخارجية الكبيرة أولاً أهرُب أيضاً من الدُّنيا الصغيرة الذي تتزاوَر دَيرك.

٤ـ في الواقع أن بَند مُحاربة الشياطين ليس هو بَنداً رابعاً جديداً على البنود الثلاث السابقة، ما في الأمر هو أن أرواح النجاسة تستخدم أحد، أو أكثر، من عناصر البنود الثلاث لكي تُقَلقِل الراهب عن حياة العفة والطهارة، أو على الأقل لِتُضايقه، مثلما [سأل أحد الآباء الأنبا بيمن قائلاً: لماذا تُقاتِلنا الشياطين يا أبي؟ أجاب الشيخ قائلاً: الحقيقة إن شياطين لا تُحارِبنا إلَّا عندما نُتَمِّم ميولَنا الرَّدِيَّة، **التي هي في الحقيقة شياطينا التي تُحارِبنا، فنُهزَم أمامها بِرِضانا**].

ويمكن تمييز مُحاربات الأرواح الشريرة من عدة علامات: ففضلاً عن سِهامها غير الطاهرة والعثرات التي تُحدِثها؛ فإن أفكارها تكون مُشَوَّشة، مُلِحَّة، عادِمة من العزاء، ومُؤَرِّقة. لِذا فعَلَيك بالإسراع باللُّجوء إلى مَعونة الرب.

ولأنها تُعاوِد وَثَبَات الشهوة حيناً بعد حينٍ (لو٤: ١٣)؛ لِذا فيَنبَغي لنا ألَّا نَكِل ولا نَخُور من إلحاحِها وضُغطَتِها. هى تُكَرِّر محاولاتها ونحن نُكَرِّر طريقتنا: "الإسراع باللُّجوء إلى معونة الرب". فإن أظهرنا رخاوةً نحوها تشجَّعت علينا، ولكن إن نحن أظهرنا بأساً مقابِلها رَحَلَت عنا، هارِبةً:

"لَمْ **تُقَاوِمُوا** بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" عب١٢: ٤

"فَاخْضَعُوا لِلَّهِ. **قَاوِمُوا** إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ" يع٤: ٧

"أُصْحُوا وَاسْهَرُوا لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِساً مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. **فَقَاوِمُوهُ** رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هَذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ" ١بط٥: ٨، ٩

"مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ **تُقَاوِمُوا** فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا" أف٦: ١٣

٥ـ إن لم يكُن الراهب مُنتَبِهاً فإن أحد، أو أكثر، من المصادر المؤثرة سلبياً على الغريزة الجسدية؛ يؤدي به إلى ما نُصلي بخصوصه في صلاة الستار: حركات الآلام ـ حرارة الجسد ـ شغب الجسم. وهذا بالتالي قد يؤدي به إلى تفعيلٍ خاطئٍ لها.. أمَّا المنفعة العظيمة الحاصِلة من القِيام بالتدبيرات الإيجابية المُضادة لهذه المؤثرات فهى: حياة العِفة والطهارة.

عندما يُزعِجك ضجيج اللحم والدم؛ حينئذٍ ذَكِّر نفسك بهذه الحقائق:

١ـ لا تُعِر للمنظر أو الفكرة أو الحالة الشُّعورية التي تَعرِض لك أقل اِهتمام أو إنتباه. لئلا تكون كَمَن يُطفِئ ناراً بوقود، أو كَمَن يحارب نفسه بنفسه.

٢ـ إنها حالة شعورية عارِضة تأخذ وقتها وتمضي، وسيأتي أيضاً الوقت الذي فيه تُبطَل كليةً.

٣ـ لو لم تكُن هذه لِضررك لَكَان الله قد سبق وأسعَدَك بها قبل أن تطلبها، ولو لم تكُن هذه تُدَنِّسك ما كان قد اِستقبَحَها.

٤ـ كان يجب عليك أن تكون متحفِّظاً مع الذين تقابلهم في يقظتك نهاراً، لكي لا تُعاني الهواجِس التي تَعرِض لك وأنت بمفردك ليلاً. ولا تسمح لأحد من الجنس الآخر أن تكون له عندك دالَّة.

٥ـ حياة العِفة والطهارة ليست ببعيدةٍ عنك، فقط تحتاج منك أن تُريدَها وتجتهد لِاقتنائِها.

٦ـ إن المخلِّص قد سفَك دمه بسبب الخطية التي دخلت إلى العالم بالشهوة (٢بط١: ٤).

٧ـ المسيح الذي أحبَّك واختارك؛ هو الأجدَر بِعَواطِفك نَحوه والأَحَق بِاختيارك إيَّاه.

٨ـ الآن وقت اختبار محبتك الحقيقية لله، وخبرتك الجُزئية للاستشهاد.

٩ـ أنت اخترت طريق الحق، فهل تقبل منه ما يَروق لك وترفض ما لا يَروق لك؟ هل تقبل الذهب واللُّبان وترفض المُر؟!

١٠ـ يتحرك جسدُك إذا حَلَلْتَ أولاً **إرادتَك**،

وتَنحَلُّ إرادتُك إذا تَرَاخَيتَ أولاً مع أيٍّ من: عاطِفتك ـ فِكرك ـ حَواسك.

١١ـ ذُق لذَّة إذلالك لشهوتك وقَهرك لِهَواك، فَمَذاق الطهارة أطيَب جداً.

١٢ـ السماء تنظر إلى جهادك، وتنتظر منك أن تكون سفيراً وطنياً يشهد لها بِعِفَّته وانتصاراته، في ساحة المعارك الطاهرة.

١٣ـ الإكليل مُعَدٌ والجائزة فاخِرة والنعيم أبَدي، ما لا تُقارِنه ولا تُقاس به لَذَّة مؤقتة مَمقوتة.

١٤ـ الجسد الذي تشتهيه يَحوي بِداخِله عُفُونة، وعن قليل سوف يَشيخ ومن ثَمَّ يموت فَيَنتَن.

١٥ـ إن حياتك علي الأرض تمضي سريعاً، فاصبِر قليلاً علي (وَجَع) جسدك المُتعارِض مع مَن تُحِبُّه روحك، لأنه "**لاَ يَكُونُ... وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ**، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رؤ٢١: ٤).

١٦ـ الذي يحكم الأمر كله هو هذا المبدأ:

لا وسيلة تَغلِب شهوة جسدك مثل قوة محبتك للمسيح

حالَما تزداد محبتك لله حتى تملأ قلبك؛ ستنحل الشهوة من ذاتها وستضمحِل الخطية من أعضائك بلا عَناء، مثلما يكون لدَيك إناءٌ كان موضوعاً به لحم وشحم وتريد تنظيفه، فعبثاً تُكافِح في تنظيفه بِقوة أصابعك، لكن حالَما تملأه بالماء الساخن تَنحَل هذه الدهون من ذاتها، فلا يتبقى عليك لتُكمِل تنظيفه سِوى جُهداً يسيراً. هكذا لا شيء يطرد شهوة اللحم والدم من القلب مثل احتِراره بِحُب الله، وعلى قَدر حُبه سَيكون شِفاؤه. لهذا قال السيد المسيح: "قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا **أَحَبَّتْ كَثِيراً**. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً" (لو٧: ٤٧).

لا يَغلِب حُبَّاً إلَّا حُبَّاً أعظم منه. لا يُطفئ النار المادية الجِسدانية إلَّا النار الروحية الإلهية. ومن هنا نَبَعَ التعليم الآبائي: [القداسة هى **استبدال شهوة بِشهوة**]، وكما يقول الشيخ الروحاني، الأب يوحنا سابا: [**ليس مَن إنطلقت في نفسه محبة المسيح؛ ويقدر أيضاً أن يحتمل وَساخة الشهوة المَرذولة**].

١٧ـ حتماً ودائماً اَللَّذَّة يَعقُبها الألم، هذا مبدأٌ روحي وأدَبي.

١٨ـ الشهوة الجسدية مُميتة. أولاً: لأنها إذا حبلت تلِد خطية، وهذه إذا كَمَلَت تُنتِج موتاً، وثانياً: لأنها لا تكُف عن طلب المزيد.

١٩ـ لا تَسقُط من ثباتك لئلَّا تجعل أعداء الرب: أولاً: يَشمَتون، وثانياً: يعودون فيَتجَرَّأون بل ويعتادون على تجرِبتك.

٢٠ـ كثيرون هُم الذين فاجَأهم الموت وهم مُتدَنِّسون، فلا تُغامِر بخلاصك وأبديتك، حتي لا تذهب حيث هُم! أنت عاقلٌ، حر، مُريد، فأنت وحدك تتحمَّل.

٢١ـ الدينونة الأبدية للذين أخفَوا وزنة بتولية الجسد، فلم يُتاجِروا بها ويربحوا معها بتولية القلب.

كتب القديس كبريانوس: [**أي سُمُو يكون فيه الإنسان عندما يكون الإنسان قائماً أثناء الضيق دون أن يسقط** مُنطرِحاً كمَن ليس له رجاء في الله! إنما بالحري يفرح **مُنتهِزاً الفرصة لإظهار شجاعة إيمانه، وبِاحتماله الآلام** يتبع المسيح سالكاً الطريق الضَّيِّق الذي سار فيه الرب، فَيَنال المكافأة].

تدابير فعَّالة تُمكِّن الإنسان البتول (الراهب) من أن يحيا بالعِفَّة والطهارة:

وهى تشمل: دَور النعمة، ودَور الفرد من حيث استعداده الداخلي وتدبيره الخارجي..

١ـ الاعتراف أمام الله وأمام نفسك بضعف طبيعتك، وممارسة سلوكيات الاتضاع (إحتمال المَهانة).

٢ـ عدم إدانة أحد، ولا بالفِكر.

٣ـ الاقتناع العقلي والإرادة الراسخة لمنهج البتولية.

٤ـ طلب مَعونة نعمة المسيح ومُساندتها. فتَعضيض النعمة هو دَعمٌ الهيٌ يُصرَف لِطالِبه.

٥ـ التَّسامي بِالعاطفة الجنسية (أو تَحويل اتِّجاه مَسارها) إلى العاطفة الروحية. ويُساعد على هذا؛ الاهتمام بِنَوع عملٍ (أو أكثر) يَغلب عليه البُعد الإنساني أو الوجداني أو الفِكري، فَيَملأ احتياجَها.

٦ـ الإمساك. البتول إنسانٌ صوَّام، لأن الصوم بمقدار يُطَوِّع الجسد والجوع يُخمِد شهوته.

٧ـ الشِّبَع الروحي (أم٢٧: ٧). عن طريق مُمارسة وسائط النعمة، ومُمارسة أعمال روحية.

٨ـ التواجُد في بيئة طاهرة قَدر الإمكان (ظروف ـ أشخاص ـ أعمال).

٩ـ الهروب من (تجنُّب) المُعثِرات والمُثيرات، والحَذَر من الاستِدراج.

١٠ـ التعامل مع انفعالات الجسد بِلياقة، مع الاحتشام الشخصي في المَلبَس.

١١ـ إذا استبَدَّت بك ظلمة الهواجس؛ فكُن أميناً في المقاومة، ولا تترك ساحة المعارك الطاهرة. (مز٤٤: ٢٢؛ أف٦: ١٣؛ عب١٢: ٤؛ يع٤: ٧؛ رؤ٢: ١٠). إلتَجئ إلى الله بالصلاة، مُرتَدِياً العُدَّة الخُماسِية المُطَوِّعة للطبيعة، الصَّاعقة لروح النجاسة، إذا حارَبك: **أسماء الثالوث الأقدس، بِعَلامة الصليب ـ إسم الرب يسوع المسيح ـ الميطانيات ـ التسبيح ـ المزامير.**

١٢ـ تكرار التوبة الحارة، واكشف أفكارك بالاعتراف الأمين.

كتب الأب يوحنا الدَّرَجي: [لِيَرقُد ويَنهض معك **ذِكر الموت مع صلاة إسم يسوع**، فإنك لن تجد في نَومك عَضَداً مثل هذا].

كيف يُسقِط روحُ النجاسة والدنس الجبابرةَ البتوليين؟

١ـ يُلقي الروح الشرير في عقل الراهب فكرةً نجسة، وهو يَعلَم جيداً أنه سيرفضها بكل قلبه.

٢ـ يتوافر على تذكيره بهذه الفكرة من حينٍ لآخَر، وهو يعلم أيضاً أنه حتى لن يلتفت إليها.

٣ـ يظل الروح النجس يرعاها كمثل مَن زرع بذرة ويعتني بها، بِصبر، حتى تتأصَّل.. يُشبِه حال ذلك الراهب ما قِيل بالمزمور؛ أنه يقوم عليه شرير ويقف شيطان عن يمينه (مز١٠٩: ٦).

٤ـ يترقَّب الوقت الذي فيه الراهب يَلتَفِت فقط إليها كَي يُلصِقها بِذاكرته، حتى ولو كان يُبغِضها.

٥ـ كل ما يتمنَّاه هو قُبول الراهب للفكرة، ومن هنا تبدأ الحرب، فَيُطلِق عليه (كِلاب) الأفكار.

٦ـ عندئذٍ، وبعد زمانٍ هذا مقداره، يبدأ الراهب أن يساوِم قليلاً قليلاً في مبدئِه بالفكر، ثم يلاحقه الروح الشرير بتغذية فِكرِه عن طريق الحواس، فبالأحلام، حتى ينحَط فيبدأ هو نفسه يستحضِر الذكريات التي بلغت إلى عقله أو حواسه.. أمَّا إن كان الراهب مازال مُتحفِّظاً، فإنه يَحبِك له العثرة تِلو الأخرى. وإن كان قد بَقِي فيه قوة يسيرة، فإنه يهاجمه بأثقَل وأعنَف أنواع تجارِبه، بأن يُوعِز إلى إحدى أعوانه من غير التَقِيَّات ويُحرِّكها بالشهوة نحوه، فتقوم هي بِدَورها!

لماذا كان مُحارِبو اليهود، عَبر التاريخ، يُخَرِّبون هيكلهم ولم يكتفوا بالانتصار عليهم؟ لأنهم يَعلمون أنه طالما ظلَّ الهيكل قائماً فسَيَظل اليهودي مُستَقتِلاً في الدفاع عن شرف قَوميته، أمَّا إن خَرِب فسَينهار معه. هكذا الأرواح الشريرة، تجتهد في إسقاط الراهب من عِفته، لكي بعد ذلك يتهاوَن في شرف هويته كراهب وفي باقي مسيرته وجهاداته الرهبانية! **ولماذا يَسقط الجبابرة؟**

١ـ لأن الأمر كله مُتوقفٌ على الإرادة، وإرادة ذلك الراهب قد تحولت من الأمانة في السلوك الروحي إلى إرضاء ذاته وطاعة جسده، بِالرُّغم من تبكيت الروح القدس له.

٢ـ لأن الشهوة تُطغي العقل، فينقاد الراهب لا بقيادة الروح القدس بل بأهوائه، فيفقد سِر قوَّته.

٣ـ لأنه أهمل اللُّجوء إلى مُساندة النعمة، وأبطَلَ صلاته وقت التجرِبة التي قد تستغرق زمَناً..

قُم من سُقوطك:

إن كنت قد أكلت من شجرة معرفة الخير والشر، فسقطتَ من طهارتك وبَساطة عَينَيك ونقاوة قلبك، واختبرت سَطوة الجسد؛ فهاكَ هذا الخبر الطَّيِّب! كثيرون هُم مَن سقطوا ومرَّرتهم خِبرة الأفكار والتصوُّرات النجسة، ومُجاذبات الدُّنيا الأخَّاذة، وإيعاذات الأرواح الشريرة، فتَهاوَنوا بِعِفة الجسد؛ لكنهم عادوا وتَعَلَّقوا بالنعمة وانتفضوا من سقوطهم، وقاوَموا وقامُوا.

لتحصُل على الشفاء إلزَم هذا:

١ـ أَحبِب الطهارة، إطمَح فيها واحلُم بها، حتى لو لم تكُن قد برِئت بعد.. [يا جميع العذارَى **أحبِبن الطهارة** لكي تصِرن بنات للقديسة مريم] ـ من تسبحة يوم الإثنين.

٢ـ تَعَلَّق بالنعمة، فإن كل أنواع الخلاص تَحصُل أولاً وأخيراً، جُملةً وتفصيلاً؛ بالنعمة. وقد قال الرب: "لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ بَلْ **بِرُوحِي**، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ" (زك٤: ٦)، "**بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ** أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يو١٥: ٥)، "لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى بَلْ **لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ**" (رو٩: ١٦).

٣ـ [إتعِب نفسك في قراءة الكتب **فهي تُخلِّصك من النجاسة**] ـ قال أبَّا أنطونيوس.

٤ـ [كُن مُداوِماً لذِكر سِيَر القديسين **كَيما تأكُلك غَيرة أعمالهم**] ـ قال أبَّا موسى.

٥ـ ثابِر على طلب الشفاء من الرب بالنعمة: "يَا رَبُّ ارْحَمْنِي. **اِشْفِ نَفْسِي** لأَنِّي قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ" (مز٤١: ٤)، "آثَامٌ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيَّ. مَعَاصِينَا أَنْتَ تُكَفِّرُ عَنْهَا" (مز٦٥: ٣)، "**اِشْفِنِي يَا رَبُّ فَأُشْفَى**" (إر١٧: ١٤)، "**أَقِمْنِي**" (مز١١٩: ٢٨)، "يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ **تُطَهِّرَنِي**" مت٨: ٢

٦ـ أظهِر جِدِّيَّتك، بالاجتهاد قَدر ما يُمكِنك في ضبطك لنفسك.

٧ـ إنتظر الشفاء بروح الرجاء. آمِن بالقادر على شفائك:

"وَلَكِنَّنِي أُرَاقِبُ الرَّبَّ **أَصْبِرُ لإِلَهِ خَلاَصِي**، يَسْمَعُنِي إِلَهِي. لاَ تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ، إِذَا جَلَسْتُ فِي الظُّلْمَةِ **فَالرَّبُّ نُورٌ لِي**. أَحْتَمِلُ غَضَبَ الرَّبِّ لأَنِّي أَخْطَأْتُ إِلَيْهِ، حَتَّى يُقِيمَ

دَعْوَايَ وَيُجْرِيَ حَقِّي. **سَيُخْرِجُنِي إِلَى النُّورِ**. سَأَنْظُرُ بِرَّهُ" مي٧: ٧ـ ١٠، **"اَلرَّبُّ عَاضِدٌ كُلَّ السَّاقِطِينَ وَمُقَوِّمٌ كُلَّ الْمُنْحَنِينَ"** مز١٤٥: ١٤..

إن كنتَ مريضاً وطبيعتك مُتمرّدة عليك لكنك مُخلِصٌ حقاً؛ لا تيأس، فالشفاء آتٍ آتٍ: **"هُوَذَا مُخَلِّصُكِ آتٍ"** (إش٦٢: ١١)، مَهما بَدا أنه تأخَّر لِسنوات. فَحتماً سَيأتي "زَمَانَ الشِّفَاءِ" الذي الرب سَيأتيك فيه، وقائلاً: **"أَنَا أَشْفِي ارْتِدَادَهُمْ**. أُحِبُّهُمْ فَضْلاً لأَنَّ غَضَبِي قَدِ ارْتَدَّ عَنْهُ" (هو١٤: ٤)، "فَإِنِّي **أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ**" (خر١٥: ٢٦)، "ثِقْ يَا بُنَيَّ، **مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ**" (مت٩: ٢، ٢٢)، **"أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!"** (مت٨: ٣)، **"لَكَ أَقُولُ: قُمْ"** مر٢: ١١

في هذا الأمر كتب أيضاً الأب يوحنا الدَّرَجي:

[يوجد أُناسٌ (ولَست أعرف السبب لأني لم أعتَد أن أتطاوَل وأفحص مواهب الله) يَجنَحون بِطَبعهم، إذا جازَ القَول، إلى الاعتدال أو الطهارة أو الهدوء، أو الاحتِشام أو الوداعة أو التخشُّع. ويوجد أخَرون تُعانِدهم طبيعتهم عَينها في اِقتناء هذه المَناقِب، **فَيَغصِبون ذواتهم على ممارستها قَدر طاقتهم، ورُغم أنهم يفشلون أحياناً فإني أُجِلُّهم أكثر من الأوَّلين لأنهم يقتسِرون طبيعتهم**].

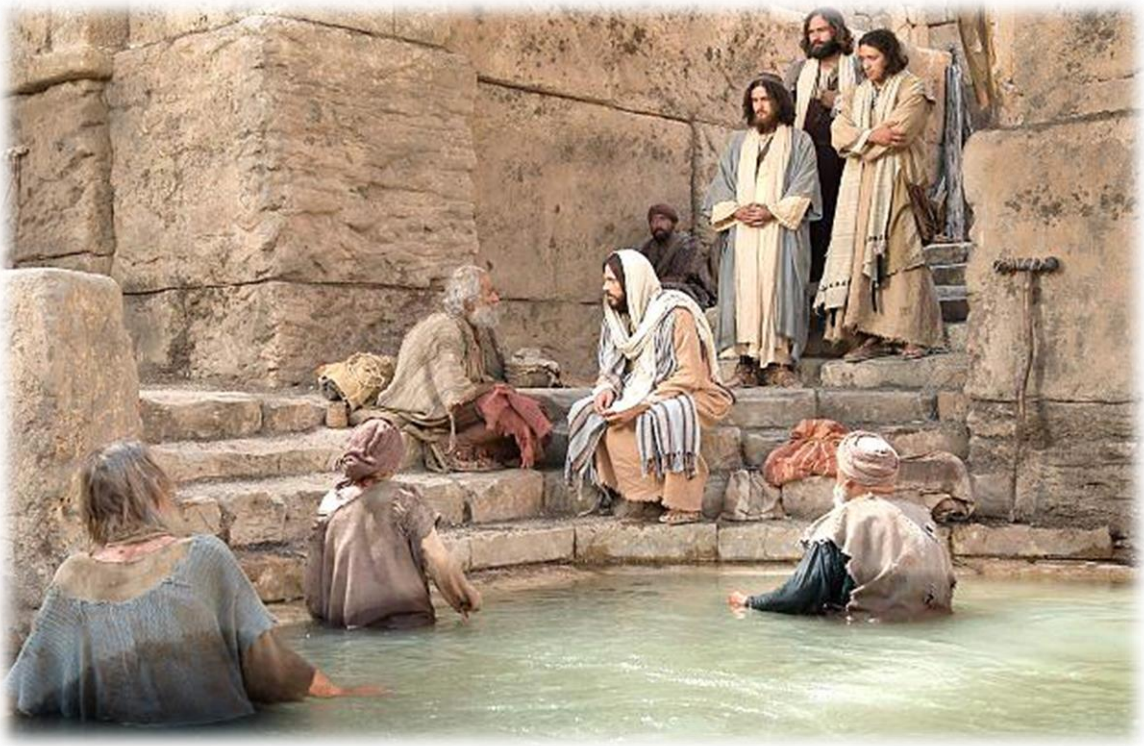

كلمة الله تُفاضِل البتولية، وتَحُث البتوليين على حياة العِفة والطهارة:

✝"لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ" مت١٩: ١٢

✝"وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ" مت١٩: ٢٩

✝"وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" لو١٠: ٤٢

✝"إن البتولية مع الفضيلة أجمل، فإن معها ذِكراً خالداً، لأنها تبقى معلومة عند الله والناس. إذا حضرَت يُقتدَى بها، وإذا غابت يُشتاق إليها، ومدى الدهور تفتخر بإكليل الظَفر، بعد انتصارها في ساحة المعارك الطاهرة" حك٤: ١، ٢

✝"لأَنِّي أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّاسِ كَمَا أَنَا. لَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ مَوْهِبَتُهُ الْخَاصَّةُ مِنَ اللهِ. الْوَاحِدُ هَكَذَا وَالآخَرُ هَكَذَا. وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا... أَنْتَ مُرْتَبِطٌ بِامْرَأَةٍ فَلاَ تَطْلُبْ الانْفِصَالَ. أَنْتَ مُنْفَصِلٌ عَنِ امْرَأَةٍ فَلاَ تَطْلُبِ امْرَأَةً. لَكِنَّكَ وَإِنْ تَزَوَّجْتَ لَمْ تُخْطِئْ. وَإِنْ تَزَوَّجَتِ الْعَذْرَاءُ لَمْ تُخْطِئْ. وَلَكِنَّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ يَكُونُ لَهُمْ ضِيقٌ فِي الْجَسَدِ. وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُشْفِقُ عَلَيْكُمْ. فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الأَخَوَةُ: الْوَقْتُ مُنْذُ الآنَ مُقَصَّرٌ لِكَيْ يَكُونَ الَّذِينَ لَهُمْ نِسَاءٌ كَأَنْ لَيْسَ لَهُمْ... وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ. فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلاَ هَمٍّ. غَيْرُ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ، وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ. إِنَّ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْعَذْرَاءِ فَرْقاً: غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَداً وَرُوحاً. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجَةُ فَتَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ تُرْضِي رَجُلَهَا. هَذَا أَقُولُهُ لِخَيْرِكُمْ لَيْسَ لِكَيْ أُلْقِيَ عَلَيْكُمْ وَهَقاً بَلْ لأَجْلِ اللِّيَاقَةِ وَالْمُثَابَرَةِ لِلرَّبِّ مِنْ دُونِ ارْتِبَاكٍ... وَأَمَّا مَنْ أَقَامَ رَاسِخاً فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ بَلْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى إِرَادَتِهِ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى هَذَا فِي قَلْبِهِ أَنْ يَحْفَظَ عَذْرَاءَهُ فَحَسَناً يَفْعَلُ. إِذاً مَنْ زَوَّجَ فَحَسَناً يَفْعَلُ وَمَنْ لاَ يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ" ١كو٧: ٧، ٨، ٢٦ـ ٣٩

✝"بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضاً" ١كو٩: ٢٧

✝"وَلَكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ" غل٥: ٢٤

✝"ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا خَرُوفٌ وَاقِفٌ عَلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَمَعَهُ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفاً، لَهُمُ اسْمُ أَبِيهِ مَكْتُوباً عَلَى جِبَاهِهِمْ. وَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ كَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ وَكَصَوْتِ رَعْدٍ عَظِيمٍ. وَسَمِعْتُ صَوْتاً كَصَوْتِ ضَارِبِينَ بِالْقِيثَارَةِ يَضْرِبُونَ بِقِيثَارَاتِهِمْ، وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ كَتَرْنِيمَةٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ الْعَرْشِ وَأَمَامَ الأَرْبَعَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَالشُّيُوخِ. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَتَعَلَّمَ التَّرْنِيمَةَ إِلَّا الْمِئَةُ وَالأَرْبَعَةُ وَالأَرْبَعُونَ أَلْفاً الَّذِينَ اشْتُرُوا مِنَ الأَرْضِ. هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ، هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ يَتْبَعُونَ الْخَرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ، هَؤُلاَءِ اشْتُرُوا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةً لِلَّهِ وَلِلْخَرُوفِ، وَفِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يُوجَدْ غِشٌّ، لأَنَّهُمْ بِلاَ عَيْبٍ قُدَّامَ عَرْشِ اللهِ" رؤ١٤: ١ـ ٦..

وللمؤمنين بِصفةٍ عامة:

✝"قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا؛ فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ" مت٥: ٢٧ـ ٣٠

✝"وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ (إغراء)، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ، وَالْقُوَّةَ، وَالْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ... اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَنَشِيطٌ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ" مت٦: ١٣؛ مت٢٦: ٤١

✝"فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ لِيَنْظُرَ الْمُتَّكِئِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَاناً لَمْ يَكُنْ لاَبِساً لِبَاسَ الْعُرْسِ. فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْعُرْسِ؟! فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: اِرْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ. لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ" مت٢٢: ١١ـ ١٥

✝"حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتاً، وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتاً فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ... جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ" مت٢٥: ١ـ ١٤

✝"ولما علمت بأني لا أكون عفيفاً ما لم يهَبني الله العِفة، وقد كان من الفِطنة أن أعلم مِمَن هذه الموهبة؛ توجَّهت إلى الرب وسألته من كل قلبي" حك٨: ٢١

✝"لا تُسَلِّم نفسك إلى المرأة لئلا تتسلَّط على قدرتك. لا تَلقَ المرأة البَغي لئلا تقع في أشراكها. لا تألف المغنية لئلا تُصطاد بفنونها. لا تتفرَّس في العذراء لئلا تُعثِرك محاسنها. لا تسلم نفسك إلى الزواني لئلا تُتلِف ميراثك. لا تُسَرِّح بَصَرَك في أزِقَّة المدينة ولا تتجوَّل في أخلِيَتِها. اصرف طرفك عن المرأة الجميلة ولا تتفرَّس في حُسن الغريبة. فإن حُسن المرأة أغوَى كثيرين وبه يتلهب العِشق كالنار. كل امرأة زانية تُداس كالزِّبل في الطريق. كثيرون افتتنوا بجمال المرأة الغريبة فكان حَظُّهم الرَّذل لأن مُحادثتها تتلهب كالنار. لا تُجالِس ذات البَعل البتَّة ولا تتكئ معها على المرفق، ولا تكن لها مُنادِماً على الخمر لئلا تميل نفسك إليها وتزِل بقلبك إلى الهلاك" سي٩: ٢ـ ١٤

✝"فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ... لأَنَّهُ إِنْ عِشْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَسَتَمُوتُونَ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالرُّوحِ تُمِيتُونَ أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ" رو٨: ٨، ١٣

✝"بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلاَ تَصْنَعُوا تَدْبِيراً لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ" رو١٣: ١٤

✝"أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ" ١كو٣: ١٦، ١٧

✝"أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا!... أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟!" ١كو٦: ١٥، ١٩

✝"لاَ تَضِلُّوا! فَإِنَّ الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلاَقَ الْجَيِّدَةَ" ١كو١٥: ٣٣

✝"لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً" غل٦: ٨

✝"احْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِراً" ١تي٥: ٢٢

✝"أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ" ٢تي٢: ٢٢

✝"لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" عب١٢: ٤

✝"وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتاً... اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هَذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ" يع١: ١٤، ١٥، ٢٧

✝"مِن أَيْنَ اَلْحُرُوبُ واَلْخُصوماتُ بَيْنَكُمْ؟ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا مِنْ لَذَّاتِكُمُ اَلْمُحارِبَةِ فِي أَعْضَائِكُمْ! تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ... تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيّاً لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ. أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ! فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبّاً لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوّاً لِلَّهِ... فَاخْضَعُوا لِلَّهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ. اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ" يع٤: ١ـ ٩

✝"بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" ١بط١: ١٥، ١٦

✝"عِنْدَكَ أَسْمَاءٌ قَلِيلَةٌ فِي سَارْدِسَ لَمْ يُنَجِّسُوا ثِيَابَهُمْ، فَسَيَمْشُونَ مَعِي فِي ثِيَابٍ بِيضٍ لأَنَّهُمْ مُسْتَحِقُّونَ. مَنْ يَغْلِبُ فَذَلِكَ سَيَلْبَسُ ثِيَاباً بِيضاً، وَلَنْ أَمْحُوَ اسْمَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَسَأَعْتَرِفُ بِاسْمِهِ أَمَامَ أَبِي وَأَمَامَ مَلاَئِكَتِهِ" رؤ٣: ٤، ٥..

ماذا فعلنا بِوَزنة رهبنتنا؟

لِنَذكر أولاً بعضاً مِما وَرَدَ بِكتاب البُستان عن كرامة وشَرَف الرهبنة:

[قال أحد الشيوخ: لا تكون تحت السماء أُمَّة مثل المسيحيين إذا أكَلوا ناموسهم، **كما لا توجد مَرتبة جليلة كمثل مَرتبة الرهبان إذا حفظوا طقوسهم. ولذلك فإن الشياطين لِحَسَدهم يُحارِبونهم** بكل أصناف الرزيلة، ويجعلونهم يُغمِضون أعيُنهم عن خطاياهم ويُوَبِّخون خطايا غيرهم، لكي يُبعِدوا عنهم السلامة ويُلقوا فيهم الشرور. فَلنسأل الرب الإله أن يُخَرِّق شِباكَهم عنا ويُخلصنا من أيديهم].

[قال أنبا أنطونيوس: **إنّي أبصَرتُ مصابيحَ من نار مُحيطة بالرهبان، وجماعةً من الملائكة بِأيديهم سيوف من نار يَحرُسونهم، وسمعت صوت الله القدوس يقول: لا تتركوهم ما دامُوا مُستقيمي الطريقة.** فلما أبصَرتُ هذا تَنَهَّدتُ وقُلتُ: وَيْلُك يا أنطونيوس؛ إن كان **هذا العَون مُحيطاً بالرهبان**، والشياطين تَقوَى عليهم! فَجاءَني صوت الرب قائلاً: إن الشياطين لا تَقوَى على أحد، لأني من حين تجسَّدتُ سَحَقْتُ قُوَّتهم عن البشريين، ولكن كل إنسان يَميل إلى الشهوات، ويتهاوَن بِخلاصه، فَشَهوتُه هى التي تَصرَعه وتَجعله يَقَع. فَصِحتُ قائلاً: طوبَى لِجِنس الناس **وبِخاصةٍ الرهبان**، لأن لنا سيداً هكذا رحيماً ومُحِباً للبشر].

قال أنبا بيشوي لأنبا يوحنا القصير: [الملك قُسطنطين جاءَني من السماء وهو مُتوجع القلب وقال لي: **لَيتَني كنت أعلَم بِهذه الكرامة التي للرهبان** بسبب غُربتهم وفَقرهم على الأرض، فكُنتُ قد تركت مملكتي وتَرَهَّبت! فقُلتُ له: أما أعطوك مجداً في السماء؟ فقال لي: نعم، **لكنني لم أنَل مثل كرامة الرهبان**، لأنني رأيت قَوماً منهم إذا انتقلوا من أجسادهم يأخذون أجنِحةً نارِيَّةً مثل النسور ويَطيرون بها إلى مدينة الملك المقدسة أورشليم السماوية! فقُلتُ له: لقد كان لك زوجة وأولاد وعبيد وغِنَى وزِينات، أيَجعلونك مثل الذين تركوا بيوتهم وكل مالهم من خيرات الدُّنيا، ويَرقُدون على الأرض ويَسهَرون الليل، ويصومون بِنُسكٍ كثير، مُتضايِقين مُتألمين في المَغاير وشقوق الأرض، هؤلاء الذين قال عنهم الرسول بولس إن العالم لم يكُن مُستحِقاً لهُم؟..].

الرهبنة ـ لِمَن يعرفها ويَحياها ـ ليست حِملاً إضافياً موضوعاً على الراهب أكثر من غيره، ولكنها وَزنة أكبر، مَغبوطة، مثلما كانت هكذا بالنسبة لِتاجِر الخَمس الوزنات في مَثَل سيِّدنا (مت٢٥: ١٥).. فماذا فعلنا نحن بِوَزنة رهبنتنا، هل تاجَرنا بها؟ هل ربِحنا؟ لِنذكر أن "الْعَبْدُ الْبَطَّالُ" الذي أخذ الوزنة، التي لم تكُن فوق طاقته، ولم يُتاجِر بها؛ ليس فقط لم يدخل إلى فرح سيده، بل وَطُرِح إلى الظلمة الخارجية، بالرُّغم من أنه أعاد الوزنة كاملةً إليه (مت٢٥: ٢٥ـ ٣١)! أمَّا وزنتنا نحن فهي نُذُورُنا الثلاث. فهل وفينا بها، هذه التي تعهَّد بها كلٌ مِنا يوم تَكريسه؟!.. لهذا فَلنَرجع ونَبِر بها، مُصَلِّين: "**أُوفِيكَ نُذُورِي** الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا شَفَتَايَ" (مز٦٦: ١٣، ١٤).

لقد مَيَّزنا الله بالإعفاء من ضِيق الجسد (١كو٧: ٢٨) ومن مُسَبِّبات الآلام التي تُجرَى على إخوتنا الذين في العالم (١بط٥: ٩) ومن نِير مُجاوَرَة الغُرَباء (٢كو٦: ١٤)، ولم يُعوِزنا لِشيءٍ من جهة الاِحتياجات الروحية، ومن جهة الاِحتياجات الزمنية، كَيما نرتقي إلى دعوته العُليا في المسيح يسوع ونتفرغ لِعَمَلِه الأفضل، لمَّا طلبنا نحن منه النصيب الأصلَح بالرهبنة (لو١٠: ٤٢)..

فَعَلامَ رحَلنا عن أحِبَّائنا وقَدِمنا إلى المواضع التي تَأوِي الوحوش؟ عَلامَ جِئنا؟ وعَلامَ تركنا؟ وعَلامَ وزَّعنا مالَنا؟! لقد اِستَعَضنا عن كل ما تركناه بِأُخرَياتٍ غَيرها: اِستَعَضنا عن أُناسٍ بِأُناس، وأشياءَ بِأشياء، ومَشاغِلَ بِمَشاغِل، ونتناول أنواع الأطعمة وأنواع المشروبات عَينها، فَأيَّة رهبنة هذه التي أهلُها يَلتهِمون اللحوم، ويتجرَّعون المشروبات الغازية، ويُدَلِّلون أجسادهم بِتناول التَّسالي والمُثلَّجات، وكأنه ليس مَوضِعاً نُسكيَّاً بل مزرعة (تَسمينٍ) بشري؟!.. كما أنه "لَيْسَ لِلْمُلُوكِ أَنْ يَشْرَبُوا خَمْرًا" (أم٣١: ٤)؛ هكذا فإنه ليس للرهبان أن يأكلوا لحماً.. أخي، لَستُ بهذا أطلب منك أن لا تأكل لحماً بل أدعوكَ أن تُصارِح نفسك: هل أنا بدأتُ أن أكونَ راهباً؟.. **فَلنَبدأ من جديد**.

قال أنبا يوسف:

[نحن مَعشَر إخوة هذا الزمان **نأكل ونُنَيِّح الجسد**، من أجل هذا لا ننمو مثل آبائنا، لأن آباءنا كانوا يُبغِضون جميع نِياح الجسد، ويُحبون كل الضيقات من أجل الله، **ولهذا اقتَرَبوا إلى الله الحي**].

فَعَلى هذا؛ هل نُسمِّي رهبنتنا الآن رهبنة (درجة ثانية)؟! الرهبنة رهبنة، لا توجد بها درجة أولى ودرجة ثانية.. إننا نأكل ونشرب، ندخل ونخرج، نبتغي ونشتهي، نبيع ونشتري،

وصارت الرهبنة لَدَى البعض سُلَّماً لِارتِقاء مَناصِب.. وسُخِّرَت "القُلُنسُوَة" لتكون قَنطَرةً لا بُد منها لبَعض المُرسَلِين إلى حقل الخدمة، لكي تُكسِبَهم مَظهَراً كَنَسِياً ومَدَنِياً، وصارت الرهبنة كأُسطورة "المدينة الفاضلة" التي يَنشُدها الأُدَباء في خَيالهم، أو كالحُلم الجميل بعدما عبَر، وتَحَوَّل الدير من مَقَرٍّ للعِبادة والجهاد الروحي إلى مُجرَّد أحَد أنماط المجتمعات العلمانية الخاصة.. وضاعَت الرهبنة!

بِئس حياة راهب فَقَد هدفه أو طريقه الرهباني فَلَم يعُد يسلك بِمُتطلباته، بعدما ضَحَّى بِمَن له وترك ما له لكنه رجع بقلبه، فانحلَّ من تدبيره وسقط من طَقسه وسلك كَطَريقه القديم، يعيش بلا هدف ولا ثمر، يُضَيِّع عُمره ويَدفِن مَوَاهِبه، وماله الذي وزَّعه قد أضاعَه سُدَى، والنتيجة أنه يخسر الطريقَين: "السَّالِكُ بِالكَمَالِ يَخْلُص، **والْمُلْتَوِي فِي طَرِيقَيْنِ يَسقُطُ فِي إِحْدَاهُمَا**" أم٢٨: ١٨.

يُشبِه فَحماً وُضِع في المجمرة لكي يتَّقد بالنار ويصير جَمراً، فيُوضع عليه البَخور لِيُنتِج رائحته الذكية؛ لكنه لم يصِل لهذا.. كان خيراً له ألَّا يترهَّب بل يعيش كَمسيحي في العالم، فَيُخلِّص نفسه ويُخلِّص الذين معه، يُقدِّم للرب تَقدِماته ويخدم أولاده في الكنيسة. كان الطريق الضَّيِّق الذي يؤدي به إلى الحياة الأبدية لَمَّا كان في العالم؛ خَيراً له من الطريق الواسع الذي لا يؤدي به إليها وهو في الرهبنة!

مرةً إِستغرق أبَّا سلوانس في دَهَشٍ، ثم نَهَض وقال باكِياً: [لقد اختُطِفتُ لكي أرى الدينونة، ورأيت هناك **كثيرين مثلنا (أي رهباناً) يُساقون إلى العذاب، وعلمانيين مُنطَلِقين إلى الملكوت!**].

فَبِماذا سَينفعنا خروجُنا من العالم إن كُنا قد عُدنا فنظرنا إلى وَرائنا نحوه؟! ألم يُحذِّرنا ربُّنا:

"...لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ **وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ** يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ" لو٩: ٦٢

وعليه؛ يُحذِّرنا الدَّرَجي: [لا تُشابِه إمرأة لوط، **بل إجرِ هارِباً إلى الأمام مُماثِلاً لوط ذاته**].

والأب إشَعْيا: [أُناشِدكم يا إخوتي أن تَعلموا لأي سببٍ خرجتم من العالم، ولماذا أتَيتُم إلى هنا، **لكي لا يكون خروجكم باطلاً، فتخزوا أمام الله وأمام قديسيه**، الذين أنكروا كل شيء من أجله وجاهَدوا... أيها الأخ الحبيب، إن كنتَ قد تركت العالم بالباطل، وقرَّبتَ نفسك لله لِتتوب عن خطاياك السالفة؛ **فإيَّاك أن تتراجع عَمَّا عزمْتَ عليه من نحو وصايا السيد المسيح وإتمامها**...].

لماذا يتقهقَر كثير من أجناد الرهبان ـ بعد مُدةٍ من خروجهم من العالم ـ عن حَماسِهم لِتحقيق إشتياقاتِهم الروحية؟!

نعم أن روح الرب في البَداءة يحمل طالب الرهبنة والنعمة تُعينُه، مثلما كان في خروج بني إسرائيل من مصر: "وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ" (خر١٩: ٤) ـ لكن هذا لا يعني تَخَلِّيَاً من النعمة وسط الطريق، لأن الطالب عندما خرج كان مُوقِناً بأنه قادِمٌ لا إلى حديقة مَسَرَّات بل إلى سَاحة مُحارَبات!

فما الذي يصُد الراهب عن الإستمرار في سَعيِه؟.. بالتأكيد هناك أسبابٌ لا دَخل لك فيها، من حروب الشياطين أو من مُعثِرات البَشَر، أو بسبب نُدرة القُدوَات والمُثُل.. لكن لَعَل الأسباب التالية هي الخاصة بك أنت:

سطحية أو حَرفية أو شكلية عبادتك ـ تقصيرُك في صلواتك ـ إنشغالُك بأمورٍ دَخيلة ـ إحتياج نفسي غير مُسَدَّدٍ ـ تَوانيك في مُعالجة أوجاعك ـ إخفاؤك بعض أفكارك عن أبيك ـ جَهلُك بِقواعِد الحياة في الصحراء ـ تَكاسُلُك عن مُواصَلة تَحَمُّل مَشاق الطريق ـ إحباطُك من عاصِفة جفاف روحي ـ غيابُك عن تَقييمك لِسِيرتك وتقويمك لِنفسك ـ إستهلاكُك لِكُل أمْراس الطعام المُعيَّنة لك ـ إتِّصالُك بأهلك القُدامَى ـ إختلاطُك بالعلمانيين ـ نِسيانُك لِهَدفك ـ فُقدانُك لِمَنهجك الرهباني...

قد تكون مستقيم الغرض عفيفاً ومُجاهداً؛ لكن ماذا ينفع كل هذا إن كنت تَرضَخ وقتاً لأحد مُسببات الخطية في الحياة الرهبانية، التي نَبَّهَنا إليها الآباء، وهي: الغفلة ـ الشهوة ـ التهاون! أُذكر أن التهاون لا يؤدي إلَّا إلى تهاون جديد بل وأكبر.

حقيقتان جَديرَتان بالاعتبار:

أولهما: أن آباءنا دَعوا الأهواء بـ "الآلام" أو "الأوجاع"، لأن المُجاهد حال مُجاذَبات روح الزنى له ينتصِب للمقاومة، ويظل مُقاوِماً دون مُساوَمة، وهذا يسبب له آلاماً أو أوجاعاً نفسانية شديدة: "وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِماً" (مز٣٨: ١٧)، وهذا حتى يأتي إلى الصحة، أي إلى اللاهَوَى.

وثانيها: أن الشهوة المَرذولة التي يُكابِدها الإنسان البتول تكون أشَد عُنفاً وأحَد لَذَّة مِما للمتزوج، لماذا؟ يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن "**الْمِيَاهُ الْمَسْرُوقَةُ حُلْوَةٌ وَخُبْزُ الْخُفْيَةِ لَذِيذٌ**" أم٩: ١٧. كما أنه في ظهورٍ لِروح النجاسة لِأحد المُجاهِدين مُقابل مُجاذَباته الشهوانية الدنسة (في شكل صَبية كوشِية أي سوداء)؛ اِعترَف له، مُجبَراً، بأنه هو روح الزنى الذي يُحَسِّن الزنى للرهبان.

وفي هذا كتب أيضاً الأب يوحنا الدَّرَجي: [لا نتعجب ونضطرب إذا وجدنا أنفسنا **في بدء زُهدنا أكثر عُرضَة للأهواء مِما كُنا عليه في العالم، لأنه لابد أن تثور أهواؤنا حتى نأتي إلى الصحة**، فإن الوحوش كانت إلى الآن مُختبِئة فينا ولم تكُن تظهر].

يجدُر بالراهب أن يلاحظ في نفسه تَسَامٍ واضح عن حياته السابقة لرهبنته، وبِجِدَّةٍ حقيقية شامِلة روحه وذِهنه وكل حياته: "**جِدَّةِ** الْحَيَاةِ" (رو٦: ٤)، "**جِدَّةِ** الرُّوحِ" (رو٧: ٦)، "**بِتَجْدِيدِ** أَذْهَانِكُمْ" (رو١٢: ٢)، "**وَتَتَجَدَّدُوا** بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ" (أف٤: ٢٣)، "فَالدَّاخِلُ **يَتَجَدَّدُ** يَوْماً فَيَوْماً" (٢كو٤: ١٦)، "خَلِيقَةٌ **جَدِيدَةٌ**" (٢كو٥: ١٧).. ولَمَّا كانت هذه تخص كل أولاد الله فكَم بالأولَى الرهبان! فمِن يومٍ إلى يوم ومن عامٍ إلى عام، وبنعمة المسيح، يقتني اِختبارات ويُحرِز اِنتصارات..

يا لَلكرامة التي يَسبِغها الله على كل واحد من أولاده الرهبان أكثر من باقي أولاده، بالرُّغم من عُقوقِهم أحياناً، فهو بنفسه يحامي عنهم قائلاً: "**لاَ تَمَسُّوا مُسَحَائِي**" (١أخ١٦: ٢٢)، لكن ما أعظم دينونة مَن اِحتقَر هذه المَسحة، وجَحَد هذا الامتِياز، كان خيراً لذلك الراهب لو لم يُولَد! إنه في يوم القضاء سوف تتقدم طَغمة الرهبان صُفوف البشر، إمَّا للكرامة و إمَّا للدينونة!

فَكَم عدد رهباننا الأُمَناء في الوفاء بِنُذورنا الثلاث؟ وكَم عدد رهباننا المُلتزمين بِبُنود التَعَهُّد الذي نَطَقنا بها يوم تكريسنا؟ كَم عدد رهباننا المُداوِمين ارتِداء المِنطقة، علامة الاِستعداد والجهاد؟

إننا نشعر بالحِزي بسبب مَن مِن بيننا يخلع عنه الزِّي الملائكي ويرجع إلى الدُّنيا، في حين أن الكثيرين مِنا يرجعون بقلوبهم عن هدفهم وطريقهم ورُتبتهم وهُم ما زالوا بالدير ولابِسين الزِّي الرهباني وهُم لا يخجلون من أنفسهم، بل يتهرَّبون من مواجهة أنفسهم بحقيقة ضلالهم!

صدِّقني يا أخي، إننا حتى وإن لم تقترن بِسِيرتنا شائبة مُشينة، وإن أضنَينا أنفسنا بِشُغل الدير، وإن كانت علاقاتُنا طيبة، لكن دون أن تكون لنا علاقة حيَّة وشخصية بالله ولم نَفِ بِنذور رهبنتنا ـ فَتى وإن كُنا نَخلُص في اليوم الأخير ـ لكننا لن نُحسَب في صُفوف الرهبان!

إن الرب الذي وعَد الذين تركوا من أجله الكل، بالمِئة ضِعف وبالحياة الأبدية؛ نَبَّهَهُم بعد وَعده هذا مباشرةً، قائِلاً: "وَلَكِنْ **كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ**" مت١٩: ٢٩، ٣٠.. فَبِمَ يقصِد بهذا التنبيه بل بهذا التحذير؟ يقصِد أن كثيرين من الرهبان، الذين وصَفَهم بِأنهم "**كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ**"، لم يحفظوا رُتبَتهم وطقسهم؛ فهُم في الحُكم سوف "**يَكُونُونَ آخِرِينَ**". وبِمَ يقصِد بِعِبارة "**يَكُونُونَ آخِرِينَ**"، هل يقصد أن أولئك سَيَتأخر ترتيبهم إلى ما بعد الذين وصَفَهم بِأنهم مَحسوبون من البشر "آخِرُونَ"، لأنهم كانوا من غير الرهبان، لكنهم كانوا مُجاهِدين نُشَطاءَ، فصاروا "**أَوَّلِينَ**"؛ أم أنه يقصد بكلمة "**آخِرِينَ**" هو أنهم سوف يكونون مع الذين لم يَخلُصوا؟؟!

أحِبَّائي، لِنذكر جميعاً أنه ليس جميع الذين أخرجهم **رجل الله موسى** من مصر، وعَبَروا البحر، واجتازوا البرية؛ دخلوا أرض الموعد: "الَّذِي لَمْ يَشَأْ آبَاؤُنَا أَنْ يَكُونُوا طَائِعِينَ لَهُ، بَلْ دَفَعُوهُ **وَرَجَعُوا بِقُلُوبِهِمْ إِلَى مِصْرَ**" أع٧: ٣٩.. وإن مَردود هذا في الرهبنة هو القَول الآبائي المشهور: **[كثيرون هُم الذين من بَعدما نَجَوا من بحر العالم؛ هلكوا في ميناء الرهبنة!]**.

إنه أمرٌ مُخيف!

نُبُوة القديس أنطونيوس عن مستقبل الرهبنة في الأيام الأخيرة

[سأل الأخوة أنبا أنطونيوس قبل أن ينتقل من العالم بقليل عمَّا سيحدث في نهاية العالم. فقال لهم القديس: لقد سبق أن تنبأ الأنبياء، والمسيح قال بِفمه، ثم تكلم الرسل عن نهاية الأيام، وأنا مَن أكون حتى أتكلم. فقال له الأخوة: وأنت أيضاً نبيٌ ورسولٌ وأبٌ لهذا الزمان، فاصنع معنا محبةً وأرشدنا. فقال لهم:

أتتم تَرون أن الله أباد العالم الأول بسبب الزنى والقساوة التي كانوا عليها، هكذا أيضاً حدث لِسَدوم وعمورة أنهما بسبب الزنى والوَحشِية أبادَهُما الله في ذلك الوقت (تك١٩: ٢٤)، **هكذا فإن نهاية العالم ستتم بناءً على هذه الأمور الثلاث:**

- إذا تَضاعَفت القساوة بين البشر،

- وإذا تَضاعَف الزنى بين **الرهبان** (وهذه هى نهاية النهاية)،

- وإذا رأيتم **الرهبان الشيوخ** يتركون البرية والأديرة، مُنتحِلين أي عُذر للذهاب إلى المدن والقرى، مُزَيّفين النسك، وساكنين في منازل العلمانيين مع نسائهم،

وإذا رأيتم **الرهبان الأحداث** في أديِرة العذارَى وقلاليهم مُتلاصِقة ونوافذهم من السهل الوصول إليها،

وأيضاً **أهل البرية** يحبون الأكل والشرب أكثر من تعب الزهد وضبط النفس،

وإذا رأيتم **الرهبان يُتاجرون فَيَشترون ويَبيعون مثل العلمانيين، فهذه هى تمام النهاية**،

وعندئذٍ فَلَن يكون للعالم موضعٌ للراحة، بل فقط حزن وبؤس إلى انقضاء هذا الجيل][1].

---

[1] فردوس الآباء (بُستان الرهبان الموسع)، إعداد رهبان بِبَرية شيهيت، الجزء الأول، ٢٠٠٦م، صفحة ٩٩، عن المصدر:

Apophthegmes traduits du Copte par Amélineau dans ADMG. 25, 1894. (28, 13).

هل يمكننا أن نستعيد رهبنة القرن الرابع؟

يتصنَّف المسيحيون في علاقتهم بالله، أو تقديسهم حياتهم لله؛ إلى ٥ أنواعٍ رئيسية:

١ـ الغالبية العُظمَى يُفضِّلون المَعيشة العَلمانية، مَسرَّات الجسد وعَزاءات البشر، ولا يُفكِّرون في تقديس الحياة لله، إن كان بالرهبنة أو بأيَّة طريقةٍ أخرى، ولا يَخطُر لهُم هذا الأمر على بال.

٢ـ نسبة ضَئيلة يُفكِّرون في الأمر لكنهم غير جادِّين فَيَتَراجَعون، وفي تَراجُعهم يَختلِقون الأعذار: "...مَضَى حَزِيناً، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ" مت١٩: ٢٢

٣ـ غالبية الروحانيين أو المُتدينين يَرغبون في أن يترهَّبوا، ولكن الكثيرين منهم لا يُكمِّلون: إمَّا لِأسبابٍ ترجِع إليهم، وإمَّا بسبب آبائهم وأُمهاتهم، وإمَّا لا يُعطَى لهم.

٤ـ نسبة ضَئيلة فقط من الذين يترهَّبون يَهدِفون إلى الحياة مع الله ذاته، لكنهم يتخاذَلون أمام مَصاعِب الطريق فَيَتَراجَعون ويكتفون بأن تكون (مَعيشتهم) في الدير مجرد نَمَط حياةٍ مُجتَمَعي: "رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ" يو٦: ٦٦

٥ـ نسبة ضَئيلة فقط من النسبة الضَّئيلة السابقة هُم الذين يَصمدون بِجِدِّيَّة على هدفهم وجهادهم، وهذه هى الفِئة موضوع هذا الحديث..

نتغنَّى نحن مَعشَر الرهبان بِتاريخ وأمجاد رهبنتنا القبطية، بِعبارات مثل: "الرهبنة الأولى، الرهبنة القديمة، رهبنة القرن الرابع، الآباء القدامَى، المِسْك والزَّغَل..."، وكأننا في سَبيٍ نَرثِي صهيون الرهبنة وليس لنا حِيلة، على غِرار كلمات المزمور: "عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا. **بَكَيْنَا أَيْضاً عِنْدَ مَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ**. عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا... إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ تَنْسَى يَمِينِي" مز١٣٧: ١ـ ٦. أو كما تَحسَّر أنبا أرسانيوس في زَمانِه ـ في القرن الخامس ـ قائلاً: [أهلكَ العالم رومية، **وأضاع الرهبان الإسقيط!**].

لكن الأمر كله يتوقف لا على القدرة بل على الإرادة، فهل تريد المِسْك حقاً؟! إن كنت حقاً تريده فاذكر كيف هُم حصلوا عليه وقَلِّدهم. فهُم فيما كانوا يَنشُدونه ذهبوا لِيَستَجلِبوه من أرضِه

البعيدة، وتَكَبَّدوا مَشاق الجهاد والغُربة، وأَنفَقوا وأُنفِقوا غير آبِهين بِخسارة زمنية، من أجل رجاء النصيب الأصلَح، بينما نحن قد ورِثناه عنهم دون تعبٍ مثلهم، ولَيتَنا حفِظناه سالِماً.

فبِاستيعابِنا للمبادئ الرهبانية التي حفظناها؛ هل نحن مازِلنا مُقتنعين بها؟ هل نجاهد فيها قَدر ما نستطيع؟ هل حتى نطلب؟ على الأقل؛ هل نريد؟ هل نريد ذلك المِسك حقاً؟!.. لَيتَنا تكون لنا غَيرة الشعب القديم في استِعادة هيكله القديم المُندَثِر! والآن، هل لَدَى بعضنا الغَيرة الروحية المقدسة التي بها نستعيد رهبنتنا القديمة الأصيلة المُندَثِرة؟

"هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قِفُوا عَلَى الطُّرُقِ وَانْظُرُوا **وَاسْأَلُوا عَنِ السُّبُلِ الْقَدِيمَةِ**..." إر٦: ١٦

"**أُذْكُرْ أَيَّامَ القِدَمِ** وَتَأَمَّلُوا سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. **اِسْأَلْ أَبَاكَ فَيُخْبِرَكَ وَشُيُوخَكَ فَيَقُولُوا لَكَ**"تث٣٢: ٧

إن إله الرهبان "**يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ**" عب١٣: ٨، ولو لم يَصِر الأنبا أنطونيوس مُقدماً للرهبان لَصار "أنطونيوس" آخر غيره.. لكن قرِّر، أُطلب العَون، اِحسب النَفَقَة، اِبدأ وسَيَبدأ الله معك. إن العائشين في العالم يُكافِحون مُكافحة العَرق والدموع والدم من أجل اِحتياجاتٍ بائِدة، أفَلا يستحق هذا الرجاء الأفضل والأرفَع جهاداً مِنا نحن الرهبان كهذا؟!

بالتأكيد مازال يوجد في كل جماعةٍ رهبانية مَن لهم غَيرة ونَزعَة الرهبنة الأولى. فَلْيَتَّفق هؤلاء معاً بقلبٍ واحدٍ بروح الرب، أن يَحيَوا هذه الحياة: "...**مَنْ مِنْكُمْ مِنْ جَمِيعِ شَعْبِهِ الرَّبُّ إِلَهُهُ مَعَهُ، وَلْيَصْعَدْ**" ٢أخ٣٦: ٢٣، ولْيَقُم أقواهُم بِدَور المُبادرة والقيادة، وهو يعرف إخوته الرهبان الذين لهم هذا الاشتياق، والرب وَعَدَ: "...**إِنِ اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ عَلَى الأَرْضِ فِي أَيِّ شَيْءٍ يَطْلُبَانِهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُمَا مِنْ قِبَلِ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**" مت١٨: ١٩.. وَلْيَتَّفق جميعُهم على أبٍ روحيٍّ من الآباء المتوحِّدين الذين في دَيرهِم ليكون لهم أباً ومُرشِداً، ويُكاشِفوا بِرغبتهم الصادقة ـ بكل شفافية ـ كُلاً من: الأب الأسقف رئيس الدير، والأب المتوحد الذي اختاروه لِقيادتهم.

وإن كان الرب معهم؛ فالأب الأسقف يُعَيِّن لهم منطقة نائِية على أحد أطراف برية الدير، بعيداً عن مناطق الأعمال والتجمعات والضيوف، خاصةً بالأديرة ذات المساحات الشاسِعة،

ويُخَصِّصها كمجمعٍ خاصٍ لِمُحِبّي الرهبنة الأولى التي كانت وقامت في القرن الرابع، من قلالي وكنيسة وعمل اليَدَين، كَي لا يُثَقِّلوا على دَيرهم في الحصول على مُتطلِّباتهم.. يقوم رئيس الدير بالإشراف عليها، ويكون أبوهم الروحي مُقيماً معهم فيها.

ومن البَديهي أنه لا يدخل هذه المنطقة ولا يقتحمها أيٌّ من:

ـ الأجهزة المَدَنيَّة غير المناسبة للسيرة (مروحة ـ ثلاجة خاصة براهب ـ سيارة خاصة براهب...).

ـ وسائل الاِتصال (internet ـ mobile...)، عدا خَط تليفوني واحد لَدَى الأب الروحي للتواصُل مع الدير (يُفضَّل أن يكون خَطاً أرضِيَّاً).

ـ وسائل الإعلام (إذاعة ـ جريدة ـ مجلة إخبارية حتى لو كانت كَنَسِية...).

على أنه: إن لم يلتزم أفرادُه بطاعة أبيهم الروحي وتدبيره لهم، أو إن عادت وتَسَلَّلت تلك المُدخَلات من جديد تدريجياً إلى المنطقة، أي الأجهزة ووسائل الاِتصال؛ فما هي الإضافة التي من أجلها كان هذا التدبير؟! إنه إن لم يُحقِّق التدبير الجديد هدفَه؛ فَلَسَوف تتحول هذه البُقعة إلى (نتُوء) أو مجمع (مُتحَوصِل) حول ذاته داخل الدير، كان من الأفضل ألَّا يُقام، ويجب إلغاؤه تماماً.

صحيحٌ أنه لو كانت تجهيزات عَصرنا هذا مُتوفِّرة في القرن الرابع، كَشَبكة المياه أو شبكة الكهرباء أو شبكة الصرف؛ لَكَان آباؤنا قد استخدموها، لكن بالتأكيد ما كانوا سَيَستخدمون شبكة الموبايل وشبكة الإنترنت، فَضلاً عن أنه كان سَيوجد من بينهم أُناسٌ يَنفرِدون أيضاً في البرية عن المجمع وعن تجهيزاته.. ولأنه يَندُر وجود مَن لَديهم الاستعداد لحياة الوَحدة الكاملة؛ لهذا فَليَقُم هذا التدبير على نظام الفردية المُترابِطة، فَيَبقَى أفرادُه غير مُنفصلين.

وبينما يرتكِز هذا التدبير على الانفراد والعبادة وقِيام كل واحد بتدبيره الروحي؛ فإنه يقوم أيضاً بِعَملٍ يَدَوي داخل قلايته، على غِرار ضَفر الخُوص قديماً. ويمكن أن يكون العمل اليَدَوي من أنواع المَشغولات الفَنية اليَدَوية الكَنَسِيَّة، وهي في هذا العصر مُتنوعة ومطلوبة، حسب ما يُلائِم كل واحد. وهكذا يستخدمون مُنتجاتهم إمَّا لِاستِهلاك الدير الداخلي، وإمَّا لِبَيعها ومن ثَمَّ

الحصول على حاجاتهم، وما يَفضُل عنهم يُوَجّهه الأب الروحي نحو الفقراء الذين يعيشون في العالم. كما يَحسُن أن يتخَصَّص المُتَعَبِّدون في البَحث في عِلمٍ أو أكثر من العلوم الكَنَسِية: أبحاث الكتاب المقدس، علوم اللّاهوت... (لكن فَليُلاحظ العابِد ألّا يتحول عمل اليَد شيئاً فشيئاً إلى هدف، فلا تستَهويه المشغولات وتستحوِذ على وجدانه، ولا تصير المعرفة شهوة يصعُب الإقلاع عنها).

أيضاً لَيت الذين يريدون أن يُحيُوا الرهبنة الأولى، أن يُعِيدوا لها تقليدها الجميل، والذي كان نافعاً على عِدة وجوه، وهو أن يُدعَى جماعة الرهبان بـ "الأخوة"، فيُدعَى الراهب بـ "الأخ"، هكذا كان يُفعَل قديماً. فحينما نقرأ في كتاب البُستان أن: "سأل **أخ** شيخاً.."؛ فإن الكاتب كان يقصد بذلك الأخ أنه أحَد الرهبان. لأنه هل توجد، مثلاً، أُسرة كل أفرادها آباء ليس فيها أبناء ولا إخوة؟! وإذا كان كل المجمع آباء؛ فَمن يكونون الأبناء، وأين هُم التلاميذ؟! ولَمّا كان الرهبان يعيشون بروح البُنُوة المُطيعة والتلمذة النَّجيبة للآباء؛ فلماذا إذاً يُلَقَّبون كلهم بِلَقب "أبونا"؟! ومتى كانت آخِر مرة شاهدتَ فيها راهباً ماسكاً بِيَدَيه (مقَشَّة) ويَكنِس؟!.. إن الذين يتعيَّن تَلقيبهم بـ "آباء" هُم: مُدبِّر الدير ـ المُعَيَّن للإرشاد والتدبير الروحي ـ الكاهن ـ الراهب الشيخ.

سُئِل الأب صاروفيم (الذي من صروف قديس روسيا في القرن التاسع عشر): "ماذا يُعوِز هذا الجيل لِيؤتَى ثمار القداسة التي كانت غزيرة في الأجيال السالِفة؟"، أجاب: "**يُعوِزهم شيءٌ واحد: التصميم بِحَزمٍ قاطِع!**".

لقد عملت النعمة قديماً بِفَيضٍ في الأُلوف من طالِبي الله، المتواضعين والمُنسَحِقي القلب، وهذا "لأَنَّهُمْ **مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ خَرَجُوا** وَهُمْ لاَ يَأْخُذُونَ شَيْئاً مِنَ الأُمَمِ" ٣يو: ٧، "وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. **تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ**" عب١١: ٣٨، طالبين وَجهه وَحده راجِين رحمته، مُتَّكلين على نعمته لا على مَعارِفهم ورؤاهم وذواتهم..

لَعَل مبادرة فريق ذلك الدير تكون باكورةَ ابتِداء اِستِعادة رهبنتنا الجميلة الأولى، تلك الحياة الملائكية، فَيَتبعها مبادراتٌ مُماثِلة في أديرةٍ أخرى.. **وما زالت هناك فرصة، وما زالت لنا دعوة**..

✝ حياة المُتَوَحِّد هى تنفيذٌ طائِعٍ ومباشرٍ للأقوال الإلهية:

"جَيِّدٌ لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْمِلَ النِّيرَ فِي صِبَاهُ. **يَجْلِسُ وَحْدَهُ وَيَسْكُتُ** لأَنَّهُ قَدْ وَضَعَهُ عَلَيْهِ" مرا ٣: ٢٧، ٢٨

"بِالرُّجُوعِ **وَالسُّكُونِ** تَخْلُصُونَ. **بِالْهُدُوءِ** وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ" إش٣٠: ١٥...

✝ اللاهوتي هو مَن يدرس في عِلم اللاهوت، وكَذا هو المتعبِّد لله. فالنوع الأول لِعِلم اللاهوت يُسَمَّى "عِلم اللاهوت العقيدي (أو النظري)"، والنوع الثاني يُسَمَّى "عِلم اللاهوت الرهباني (أو النُّسكي)". قال مار أوغريس: [**أنت تُصلي، إذاً أنت لاهوتي**].

✝ إن كانت الحياة البتولية تُعيد الإنسان إلى حالة الإنسان أولاً، حتى في وجود حواء؛ فإن الحياة التَوَحُّدية تُعيده إلى ما قبل هذا، إلى حالته عندما وضعه الله أولاً في جنة عدن ليعملها ويحفظها (تك٢: ١٥)، وهو مع الله وَحدهُما.

✝ التَوَحُّد منهجٌ كِتابي أصِيل:

فآدم كان بطبيعة الحال متوحداً.. وأخنوخ سار مع الله فلَم يُوجد بين الناس.. ويعقوب كان "إِنْسَاناً كَامِلاً (هادئاً) **يَسْكُنُ الْخِيَامَ**" (تك٢٥: ٢٧)، وقد رأى حُلْم الرب والملائكة والسُّلَّم لَمَّا رَحَلَ عن أهله وبَقِيَ وحده (تك٢٨)، وقد نظر الله، الذي باركه لَمَّا بَقِيَ وحده: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ... وَبَارَكَهُ هُنَاكَ... لأَنِّي **نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ** وَنُجِّيَتْ نَفْسِي" (تك٣٢: ٢٤ـ ٣١).. وقد اِلتَقَى الله بِعَبده موسى في البرية على جبل حوريب، ولكي يُقابِل الله صعِد إلى الجبل.. وخيمة الاجتماع أخذها موسى ونصبَها "**خَارِجَ الْمَحَلَّةِ** بَعِيداً عَنِ الْمَحَلَّةِ... فَكَانَ كُلُّ مَنْ يَطْلُبُ الرَّبَّ **يَخْرُجُ** إِلَى خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ الَّتِي **خَارِجَ الْمَحَلَّةِ**" (خر٣٣: ٧).. وداود خَلَص بِهروبه إلى البرية وحده، فقد سكن بِبَراري زِيف ومَعون وعَين جَدي وفاران، كما وقال في مزموره: "هَئَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِباً **وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ**. سِلاَهْ" (مز٥٥: ٧).. وإيليا النبي كان ساكِناً

الجبال.. وبَنو يوناداب بن رَكاب أطاعوا أباهُم فسَكَنوا خارج أورشليم: "وَلاَ تَبْنُوا بَيْتاً وَلاَ تَزْرَعُوا زَرْعاً وَلاَ تَغْرِسُوا كَرْماً وَلاَ تَكُنْ لَكُمْ، بَلِ **اسْكُنُوا فِي الْخِيَامِ** كُلَّ أَيَّامِكُمْ..." (إر٣٥: ٧).. والمعمدان "**كَانَ فِي الْبَرَارِي** إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ" (لو١: ٨٠).. والسيد المسيح لكي يشفي الأصَم الأعقَد: "**فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ** عَلَى نَاحِيَةٍ" (مر٧: ٣٣).. والكاروز بولس قبل تَبشيرِه ذهب وَحده إلى بَرِّية العربية.. والسيد المسيح نفسه إنطلق إلى البرية بعد عِمادِه، كما قد كُتِب عنه أنه: "**اعْتَزَلَ**، إِذْ كَانَ فِي الْمَوْضِعِ جَمْعٌ" (يو٥: ١٣)، و: "**انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ**" (يو٦: ١٥)، وأثناء كِرازته: "فَكَانَ **يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي** وَيُصَلِّي" للآب أبيه (لو٥: ١٦؛ مت١٤: ١٣، ٢٣؛ مر١: ٣٥؛ لو٤: ٤٢..)، وكان يُعلِّم تلاميذه هذا، فيَأخذهم إلى موضع خَلاءٍ مُنفَرِدين (مر٦: ٣١، ٣٢؛ لو٩: ١٠، ١٨؛ مر٩: ٢).. وحتى في الرؤيا: "فَأُعْطِيَتِ الْمَرْأَةُ جَنَاحَيِ النَّسْرِ الْعَظِيمِ **لِكَيْ تَطِيرَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ إِلَى مَوْضِعِهَا**، حَيْثُ تُعَالُ زَمَاناً وَزَمَانَيْنِ وَنِصْفَ زَمَانٍ مِنْ وَجْهِ الْحَيَّةِ" (رؤ١٢: ١٤).

✝ تُمنَح الرهبنة للبعض لِقامتهم الروحية (أرسانيوس)، وقد تُمنَح لِقِلَّةٍ نادرةٍ كَظُروف خلاص لهُم (موسى الأسود). وتُمنَح الوَحدة للبعض لِقامتهم الروحية (نُوفَر)، وقد تُمنَح لِقِلَّةٍ نادرةٍ كَظُروف خلاص لهُم (مريم المصرية).. ولكن يَلزَم لِكِلَيهما "الدعوة": "**الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ**"، "**لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ**".

✝ فيما الله يُحب يسكت في محبته (صف٣: ١٧)، وهو مُحتَجِبٌ (إش٤٥: ١٥)، وعن كل أُموره لايجاوِب (أي٣٣: ١٣؛ ٣٧: ٢٣). وإن تكلَّم يتكلم في الهدوء، إلى الهادئين المُنفرِدين في عُزلة، ومن بين هؤلاء يبحث عمَّن يَحِل فيه ويُظهِر له ذاته ويُخبِره بمشيئته وبأعماله.. فالله يَتَراءَى أكثر في الوَحدة. غير أنه يَتَراءَى أيضاً في: الإعلان الشخصي الخاص ـ الإفخارستيا ـ الكَلِمة ـ المحبة ـ التواضُع ـ الطهارة ـ الصلاة ـ الكنيسة ـ المَجهولية ـ الضيقة ـ الألم ـ الخدمة.

✝ النَمَط الأصلي في الرهبنة هو "التوحُّد"، حتى أن ترجمة لفظة "ΜΟΝΑΧΟΣ = موناخوس" ليست هى راهباً بل مُتوحِّداً. فمنذ القِدَم كان أناسٌ يخرجون بروح التوحد، أفراداً مُتناثِرة على أطراف المدن. وعلى هؤلاء المتوحدين تَتلمذ أبا أنطونيوس، الذي تَوحَّد منذ شبابه لِعبادة الله، وقد جمع من كلٍ منهم شيئاً من أصول الرهبنة، كما تجمع النحلة رَحيقَها من كل زهرة، كما قال هو.

فمفهوم الرهبنة الأول كان هو الاعتِزال عن الناس، من أجل تَهيئة الفرصة الأكبر لِطلب الله عن طريق مُمارسة التأمل الروحي، ولكن لَمَّا كَثُر عدد الرهبان استُحدِثَت طريقة "الشركة" في الرهبنة، ليس فقط في العبادة وإنَّما أيضاً في المَوطِن والعمل وفي كافَّة شئون المَعيشة تقريباً.

ولكن إن كانت طريقة الشركة قد ضمَّت تحت لِوائها الكثيرين وكانت سبباً فِعلياً في خلاصهم، حتى وُصِفَت بأنها الطريق الوُسطَى التي خلَّصت الكثيرين؛ إلَّا أنها قد قصُرَت عن تَوصيلهم إلى ما فوق مستوى الخلاص، أي الارتِقاء بالروح والسُّبح في الإلهيات ومُمارسة التأمل الروحي، وفضلاً عن هذا؛ التأثيرات السلبية للمَذمَّات أو الضعفات الفَردية، خصوصاً عند غياب قياداتٍ حازمة.. طريقة "الشركة" هى للمُبتدئين ولِصِغار الرهبان، حتى يمكن القَول بأن الشركة هى طريقةٌ للخلاص لِغالبية الرهبان؛ لكنها لَيست لكل الرهبان طريقاً للكمال.

هنا والأمر يتوقف على كل راهب بِمُفرده، فَمن مِن الرهبان ما زال باقِياً لَدَيه المفهوم الرهباني نقياً: جَحْدُه للدُّنيا مُتأصِّلٌ، وجُذوَة الحب الإلهي فيه مُضطَرِمةٌ، كما كانا يوم خروجه من الدُّنيا، وأكمَلَ أمانةَ الشركة، وأراد أن يعقِل ويتسامَى ـ لِيَبتَدئ بإفرازٍ أن يطلب طريق الوَحدة، بعَين اِشتياقه وغَيرَته اللَّتَين بهما قد طلب طريق الرهبنة أولاً.

✝ الرهبنة تكميل الفضائل، والوَحدة تكميل الرهبنة. أمَّا عن "الرهبنة تكميل الفضائل" فقد عُرِض له في موضوع "خَواطِرُ رهبانية" بِصفحة ١٥. وأمَّا عن "الوَحدة تكميل الرهبنة"؛ فإن الوحدة هى تدبير جهاد خاص تالٍ لِتدبير الرهبنة المَجمَعِية ومُكَمِّل له، مُؤدَّاه العُزلة عن الناس والانفِراد في عِيشة الهدوء والسُّكون، تَهَيُّؤاً للوجود مع الله بالتأمل الروحي، الذي يتفوَّق على كل الأعمال.. إنه كما أن تكميل الزواج عند العلمانيين هو الإنجاب؛ هكذا تكميل التَرَهُّب عند المُتعبِّدين هو التوحد.

وفي كتابات الآباء يشتهر تمثيل مُفاضَلة الوحدة والتأمل على الشركة والعمل، اللَّذَين كِلاهُما صالحٌ؛ بمُفاضَلة تَوَجُّه مريم على تَوَجُّه مَرثا، فإن مرثا تُمَثِّل منهج الشركة والعمل **من أجل الرب**، أمَّا مريم فتُمَثِّل منهج الانفراد والتأمل والوجود **مع الرب**.

فبالرُّغم من حُسن صَنيع مرثا؛ إلَّا أنها لم تبلُغ إلى طُوباوِية مريم التي أثنَى عليها الرب: "مَرْثَا مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلَكِنَّ **الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ**. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ **النَّصِيبَ الصَّالِحَ** الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا" لو١٠: ٤١، ٤٢

وفي هذه المُفاضَلة قدَّم لنا مار إسحاق السرياني تشبيهاً لطيفاً، ما مُفاده؛ أن المُقَرَّب إلى الملك، أكثر من رؤسائه وقُوَّاده المُحارِبين؛ هو صديقه وصاحِب سِرِّه ومُجالِسه على مائدَته.. ولنا في كلمة الله شاهدٌ لِهذا، فقد قِيل في المزامير: "عَيْنَايَ عَلَى أُمَنَاءِ الأَرْضِ لِكَيْ **أُجْلِسَهُمْ مَعِي**. السَّالِكُ طَرِيقاً كَامِلاً **هُوَ يَخْدِمُنِي**" مز١٠١: ٦

✝ هكذا علَّمَنا الآباء؛ أنه كما أن المَرء لا يمكنه أن ينظر بإحدى عَينَيه إلى السماء وبالأخرى إلى الأرض؛ هكذا المتوحد لا يمكنه أن يَشخَص في السمائيات بينما فِكرُه مُشَتَّتٌ في الاهتمامات.

✝ أعظم جهاد: قال عنه أنبا أغاثون أنه الجهاد في الصلاة، وقال عنه مار إسحاق السرياني ـ أشهَر مُعَلِّمي حياة التوحد ـ أنه الصبر على حياة الوَحدة. فبِنَوعٍ ما خاص؛ إن طريق الوحدة هو هذا الطريق الذي وصَفَه السيد المسيح بأنه: "**مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ** الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!" مت٧: ١٤

فأين الطريق الضيّق لراهب المجمع الآن أكثر منه عمَّا كان في الدُّنيا؟! من جهة حاجاته الجسدية؛ فإن أمراس الطعام، مثلاً، المُخصصة للراهب تُضاعِف ما يستهلِكه العلماني. ومن جهة حاجاته النفسية؛ فإن اِبتدأ الراهب، مثلاً، يشعر فقط بالضجر يقترب إليه، فإنه يَقفِز يبحث عن عزاء مع هذا أو ذاك.. لكن الرب ينصح طالِبيه: "**أُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ**" (مت٧: ١٣).

✝ أتُريد حقاً أن تَصير راهباً لله؟ اُخرج من الدُّنيا. ولكن؛ أمَا زِلتَ تعيش وَسط مجمع؟ وأمَا زِلتَ (فاتِح موبايلك)؟ فأنت لم تخرج من الدُّنيا بعد!.. (بخصوص الموبايل؛ يُوجَد تدبيرٌ وَسيطٌ جيِّد، وهو أن تُغلِقَه ولا تَفتَحه إلَّا عندما تُريد أنت قَضاءَ أمْرٍ ما، بِكلماتٍ مُقتَضَبة أو بِإرسال رسالة).

✝ لَو ذاق الرهبان حَلاوة ثمار التوحد؛ لَانحلَّت المجامع إلى أفرادٍ متوحدين!

✝ **الرهبنة الأصيلة والمثالية لا تعني شيئاً آخَر غير الوَحدة (بمعرفة)**. فجميع الوسائط الروحية، وجميع الوسائل الخلاصية، وجميع تدابير التقديس التي في مجمع الدير، الروحية والزمنية كِلتَيهما - كانت موجودة في كنيسة الله التي وسط العالم. فَعَلامَ هَجَر إنسانٌ مجتمع العالم وقَدِمَ إلى الرهبنة، هل لأنها المَهجِر الذي يتوجَّه إليه مَن يريد تَجَنُّب عثرات العالم وحَسب؟!

أمَّا الجوائز التي ينفرِد منهج التوحد بِمَنحها لِطالب الله، والتي لا يمكن بِحالٍ أن يَبلُغها وهو وسط مجتمع الشركة بالدير؛ فهي: سكون الموضع، واتِّساع أُفُقه - سَكينة النفس - ظروف أوفَر مُلاءَمة للصلاة الدائمة - مُصادَقة الروح القدس لِروح وقلب المتوحد - إيهاب اللاهوت للعقل التوحُّدي تَبَصُّراً في بعض حقائق غير المنظورات، ومَنحه إيَّاه بعضاً من إعلاناته الإلهية: "لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ سَاكِنُ الأَبَدِ الْقُدُّوسُ اسْمُهُ: **فِي الْمَوْضِعِ الْمُرْتَفِعِ الْمُقَدَّسِ أَسْكُنُ** وَمَعَ الْمُنْسَحِقِ وَالْمُتَوَاضِعِ الرُّوحِ" (إش٥٧: ١٥)، "**فِي مَحَاجِئِ الصَّخْرِ فِي سِتْرِ الْمَعَاقِلِ**" (نش٢: ١٤).

إن مَهابَة راهب الدخول إلى العُمق في الرهبنة، أي تَوَجُّهه إلى التوحد؛ تكمُن في إنفِطامه عن تَوَجُّهه للحياة المجتمعية وسط الناس - التي اِعتادَها لمُدة ثلاث أو أربع عُقودٍ من السنين - وتَحَوُّله إلى حياةٍ جديدة إنفِرادية: إنفِطاماً من حيث الإدراك، ثم من حيث الرغبة، ثم من حيث التنفيذ (راجِع أيضاً موضوع "الراهب والدعوة إلى التوَحُّد"، بِصفحة ٧٧ بهذا الكتاب).

✝ إن منهج التوحد هو فلسفة حِكمية أدبية وتأمُّلية قبلما تصير فلسفة مسيحية روحية وتَعَبُّدية.. أتَرى سُقراط وغيره من الحُكماء كانوا قد بلغوا تأملاتهم - أي فلسفاتهم - لو لم يكونوا قد عكَفوا فتراتٍ طويلة على الاختِلاء وسَكينة النفس والتأمل! لعلَّنا في الأبدية سنَجِد من أولئك الفلاسفة مَن قد عَلَت رُتبَتُهم.

✝ في عبور بَني إسرائيل البحر الأحمر ثم عبوره الأردن، وكذا في خروج "المسيحي" من مدينة الهلاك ثم من مدينة الأباطيل (في رؤيا جون بِنيون "سياحة المسيحي") - صوراً أصلية مُطابِقة لِخروج الراهب من الدُّنيا إلى الدير، ثم خروجه من الدير إلى التوحُّد.

✝ كما قال القديس يوحنا القصير مرة لأولاده الرهبان: [بِالرُّغم من أننا نَفَرٌ قليلٌ في نظر الناس؛ لكن دَعونا **نُقَدِّر الشرف الذي لنا أمام الله**]؛ هكذا يمكن لأبٍ لِمتوحدين أن يقول لأولاده: بِالرُّغم من أننا نَفَرٌ قليلٌ بين الرهبان؛ لكن دَعونا نُقَدِّر الشرف الذي لنا أمام الله.

✝ يحتاج المتوحد إلى غَلق هذه الأبواب الخَمس تِباعاً:

باب اللسان ـ باب الحواس ـ باب المغارة ـ باب الفكر ـ باب القلب.

+ أمَّا غَلق أبواب اللسان والحواس والمغارة؛ فَلِمُستقيم الغرض ليس بالأمر العَسير.

+ أمَّا غَلق باب الفكر (حِراسة الأفكار)؛ فَيَحتاج منه إلى جهادٍ كثير، كمثل قاضٍ على أفكاره دائماً. فالفِكر ساحَة قِتال، إن تَوانَى المتوحد في شَغلِه وتقديسِه لِدَقيقةٍ؛ عمِل عدوُّه على شَغلِه وتَشويشِه.

+ أمَّا غَلق باب القلب (حِفظ المَشاعِر والعواطف) فيحتاج منه إلى ربوات جهادٍ لِسنوات..

ويرى الأب يوحنا الدَّرَجي أن:

[**رَصد الأفكار غير حِفظ القلب**، وبمقدار بُعد المَشرِق عن المَغرِب يَعلو الثاني على الأول، وإن كان الأول أوفَر تَعباً]. [يُحاول جميع الشياطين أن **يُظلِموا عقلنا أولاً ثم يَهجِسون له بِما يُريدون**، لأن كنزَنا لا يُسلَب إن لم يَسهُ عقلُنا].

✝ هناك أُناسٌ رغِبوا في التوحد وكانوا مَدعُوّين. وهناك أناسٌ رغِبوا في التوحد لكن لم تكُن لهم دعوة. وهناك نَفَرٌ لم يرغب في التوحد لكن اِجتَذَبه الاختيار الإلهي إلى التوحد!

✝ المَدعو للحياة التَوَحُّدِية يشعر وكأن روحه تنسحِب به نحو البرية: "مَعَ قَلْبِي أُنَاجِي وَرُوحِي تَبْحَثُ" (مز٧٧: ٦)، أو أن البرية تُناديه، كالنَّسر الذي يُعَلِّي وَكره أعلَى الجبل وإن خرج يعود ويرجع إليه (أي٣٩: ٢٧، ٢٨)، بِاعتزال الكل والعَيش الانفِرادي مع الحبيب، حيث سُكون القَفر والتأمل، ولِسان حاله يُقول: إن لم يكُن منهج التَوَحُّد نافِعاً لِأيٍ من الرهبان فهو نافِعٌ لي أنا، وكأنّي وُلِدت لِأكون متوحداً.. وعندما ينتقل من مرحلة المجمع ويبدأ في حياة التوحد يقول في نفسه: اليومَ حقاً قد تَرَهَّبتُ!

✝ داعِمٌ رئيسيٌ لحياة التوحد هو الهروب من الناس. فعندما أدرك أرسانيوس بُطلان هذه الحياة؛ صار يسأل الله كثيراً قائلاً: "عرِّفني يا رب كيف أخلُص"، فسمع الصوت الإلهي: "يا أرسانيوس، **اهرب من الناس وأنت تخلُص**"، فجاء لِوقته إلى الإسقيط وترهَّب.. لكنه بعد فترة وجد أنه ما زال غير بعيدٍ عن الناس، بالرُّغم من أن أولئك الناس كانوا رهباناً مثله، وفضلاً عن أنه كان عاشِقاً للهدوء، فإنه وجد نفسه محتاجاً إلى ابتعادٍ أكثر عن الناس، وقد فعل.. هذا لأن الناس لهُم إراداتٌ كثيرة ومتغيِّرة وأحياناً كثيرة غير صالحة، والتوحد هو التدبير الروحي والمُهذَّب الأمثَل مُقابل ضعفات ومَذَمَّات الناس. عرفنا هذا أيضاً من سيرة هذا القديس عَينه، الذي مَكَّنَته الحكمة الإلهية من بُلوغ هذه المعرفة، فعندما سُئِل: "لماذا تهرب مِنَّا يا أبانا؟"؛ أجاب: [الله يعلَم أنِّي أحبكم، لكنِّي لا أستطيع أن أكون مع الله ومع الناس، لأن ألوف الملائكة والربوات العُلوية لهم إرادة واحدة، أمَّا الناس فلَهُم إراداتٌ كثيرة، وهكذا **لا أستطيع أن أترك الله وأصير مع الناس**].

✝ الدعوة الإلهية للتوحد اِمتيازٌ رَبَّانيٌ مُعطَى للبعض من أنقياء القلب الذين يتأذون من مُخاصَمة الألسُن، كما كُتِب: "مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ وَفَعَلْتَهُ لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ تُجَاهَ بَنِي الْبَشَرِ. **تَسْتُرُهُمْ بِسِتْرِ وَجْهِكَ مِنْ مَكَايِدِ النَّاسِ. تُخْفِيهِمْ فِي مَظَلَّةٍ مِنْ مُخَاصَمَةِ الأَلْسُنِ**" مز٣١: ١٩، ٢٠، "**يَا رَبُّ مَنْ يَنْزِلُ فِي مَسْكَنِكَ؟ مَنْ يَسْكُنُ فِي جَبَلِ قُدْسِكَ؟** السَّالِكُ بِالْكَمَالِ وَالْعَامِلُ الْحَقَّ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالصِّدْقِ فِي قَلْبِهِ. الَّذِي لاَ يَشِي بِلِسَانِهِ وَلاَ يَصْنَعُ شَرّاً بِصَاحِبِهِ وَلاَ يَحْمِلُ تَعْيِيراً عَلَى قَرِيبِهِ..." مز١٥، وأيضاً "لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلاَمَ بَلِ **الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ**" (مت١٩: ١١).

✝ لا يصح أن يكون توحد الراهب واعتزاله بعيداً عن الناس هو لِمُجرَّد التوحد والاعتزال، أو لِتجنُّب الاحتِكاكات مع الأخوة، بينما هو غير مؤهَّلٍ لأحكام الصَومَعة ولِمُقتضيات التوحد. لأن هذا يضر بعقله، ويؤثر سلبياً على سَوِيَّته النفسية، كما أنه بهذا يُدَمِّر طاقاته ويُتلِف آدَمِيَّته، يَصدُق في مثل ذلك الراهب تحذير الرب: "إِنْ جَرَيْتَ مَعَ الْمُشَاةِ فَأَتْعَبُوكَ **فَكَيْفَ تُبَارِي الْخَيْلَ؟** وَإِنْ كُنْتَ مُنْبَطِحاً فِي أَرْضِ السَّلاَمِ **فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي كِبْرِيَاءِ الأُرْدُنِّ؟!**" إر١٢: ٥

فيجب أن يقترن إنفِرادُه بِتدبيرٍ مُقنَّنٍ من جهة: عمل العبادة، وعمل يَدَوي أو فِكري مُفيد.

✝ غالبية الرهبان يَتَنقون تحت نِير المجمع وخدمة إخوتهم، وليست لهم دعوة للتوحد.. لكن هناك رهبانٌ يَنمون في السكون والتأمل، ويَتأذون إذا أُجبِروا على العَيش في الشركة.

يؤكد هذا الأب يوحنا الدَّرَجي، كاتباً: [نستطيع أن نتَّخذ طريقة تنظيف الأمتِعة الدنيَوِية مثالاً لِتَنقِيَة مُريدي الحياة العُلوية، فنقول أن الجماعة الرهبانية السالكة بحسب مشيئة الرب هى بمنزِلة حانوت القصَّار، **تُجرِّد النفس من أوساخها وفَظاظتها وقباحتها**، أمَّا عُزلة التوحد فهى كالمصبغة **تُجَمِّل الذين طرحوا عنهم الفسق والحقد والغضب وصاروا إلى الهدوء**].

[لا تضطرب لِما أنا مُزمِعٌ أن أقول: نادرة حقاً، وإن وُجِدَت، هى النفوس المستقيمة العَديمة الخُبث والمكر والرياء، **ولا يُناسبها أن تُقيم مع الناس بالكلية**، بل يُمكنها بمساعدة مُرشدها أن تصعد من هدوء العُزلة إلى السماء كأنه من ميناء، **ناجِيةً من جَلَبَة حياة الأديرة ومَعاثِرها**].

✝ قد يقول قائلٌ: إذا أخذنا بمبدأ تفاضُل وأصالة منهج التوحد عن منهج الشركة؛ فَمَن هُم الذين سَيَقومون بتدبير ضرورياتنا، ألَسنا نخدم بَعضُنا البعض؟.. أقول لهذا: إن الرهبان الذين ينتقلون للتوحد قد حَملوا نِير المجمع وخدمة إخوتهم لِزَمنٍ هذا مقدارُه، ثم أن التوحد لا يَعني عدم العمل، فهناك العَديد من الأعمال اليَدَوية يمكن القِيام بها فُرادَى.. أخيراً؛ إننا أتَينا هنا بِهَدَف: [**الانحلال من الكل للاتحاد بالواحد**]، بالصلاة والعبادة والتأمل الروحي، وهذا يَتأتَّى بِالعَيش الانفِرادي.

✝ كما أنه "بين البيع والشراء تَنشَب الخطيئة" (سي٢٧: ٢)؛ هكذا فإنه بين الأخذ والعطاء تفتُر الروحانية. فَلِمَن يُعلِّم بأن بَقاء الراهب في **مَجمَعه** يجعله (يَحتَك) بإخوته فَيَعرف عيوبَه لِيتنقى منها؛ أقول: إن الراهب قبل توحده يقضي **بالمجمع** فترةً ما، وفَضلاً عن هذا فإن وُجودَه السابق في الدُّنيا لمدة ٢٥ أو ٣٠ سنة يُحسَب فترات (**مجامع**)، وإلَّا فلماذا تَرَكَ **المجتمعات** وتَرَهَّب؟! وهل سَيَظل طول عُمره (يَحتَك) ولا يَرتَقي؟! ثم ما رأيك في قَول القديس مقاريوس الكبير: [**الوَحدة هى مِرآة تُبيِّن للإنسان عيوبه**]؟.. أقول له أيضاً: إن كنتَ أنت لا تريد إرتِياد منهج الرهبنة الأصيل التوحُّدي فلا تَدحَضه (تُبطِله).. إن مَدلول الاسم "راهب" أصلاً هو: مُنقطِع في صَومَعته للعبادة.

بين راهب المجمع والراهب المتوحد:

١ـ يَعرف المُشتغِلون بالزراعة طريقة الصُّوبة، التي تُستخدَم لفصل نوعٍ ما من النبات وزراعته في غير موطِنه وسط ظروف مُناخِية أو أرضية لا تُناسِبه، كدرجة الحرارة أو نوع التربة، أو لزراعته في غير أوانه، فتوفِّر له (طقساً) خاصاً مناسباً لِحياته ونُمُوه.. هكذا منهج الوحدة، يفصل بعضاً من الرهبان الذين لا يُناسبهم الحياة أو النمو في المعيشة المشترَكة، فيجتذبهم إليه ويوفِّر لهم (طقساً) خاصاً مناسباً لحياتهم ولنموهم. وإن كان هذا الفصل لا يرجع بالضرورة إلى تَميُّزهم عن إخوتهم؛ إلاَّ أنه غالباً ما يأتي بثمارٍ أجوَد وروحانياتٍ أوفَر.

٢ـ غالبية القديسين كانوا من بين الرهبان، وغالبية ذَوِي القامات الروحية العالية من بين الرهبان كانوا من بين المُتوحِّدين منهم.

نعرف هذا من البحث في التاريخ الرهباني: فكم كان عدد القديسين من بين أولاد أبًّا باخوميوس أبي الشركة، الذي كان أبًّا لِعِدة آلافٍ من الرهبان؛ مقارنةً بعدد القديسين من بين أولاد أبًّا أنطونيوس صاحب منهج التَوَحُّد، أو أبًّا مقار صاحب منهج الفردية المُترابطة؟!.. [الذين كملوا في البراري (ذُكصولوجية المُجاهِدين حامِلي الصليب)].

ولقد أَكَّدَ هذه الملاحظة أيضاً الأب يوحنا الدَّرَجي منذ زمانه، فكتب:

[لماذا **لم يظهر عند الرهبان الطابينسيين** الأبرار (وهُم أبناء أبًّا باخوميوس في طابينسي، ذَوي حياة الشركة) آباءٌ نَيِّرون؛ **بمقدار ما ظهر عند الإسقيطيين (وهُم مُتوحدون)**؟ مَن اِستطاع أن يفهم فَليَفهم، فإني لا أقدر والأحرَى إني لا أريد أن أتكلم][1].

فهو هنا يُفاضِل منهج الهدوء على منهج الشركة، وإن كان في مواضع أخرى يُغَبِّط منهج الشركة أيضاً.

[1] الأب يوحنا السُّلَّمي: السُّلَّم إلى الله"، تعريب رهبنة دير مارجرجس الحرف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، منشورات النور، بيروت، صفحة ٢٤٦.

٣ـ أيهما أفضل؛ الغُربة أم القُربَى من الرهبان المُقدَّسين المُبارَكين؟ الغُربة أفضل..

قال الأب يعقوب: [**إن الغُربة أفضل من ضِيافة الغُرَباء**].

الإنسان المسيحي العائِش في الدُّنيا يختبر نوعاً واحداً من الغُربة، وهو الغُربة عن رؤية الرب:

"فَإِذاً نَحْنُ وَاثِقُونَ كُلَّ حِينٍ وَعَالِمُونَ أَنَّنَا **وَنَحْنُ مُسْتَوْطِنُونَ فِي الْجَسَدِ فَنَحْنُ مُتَغَرِّبُونَ عَنِ الرَّبِّ.** لأَنَّنَا بِالإِيمَانِ نَسْلُكُ لاَ بِالْعَيَانِ. فَنَثِقُ وَنُسَرُّ بِالأَوْلَى أَنْ **نَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَنَسْتَوْطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ**" ٢كو٥: ٦ـ ٩

لكن الراهب في الدَير، فَفَضلاً عن هذه الغربة، فإنه يختبر نوعاً إضافياً من الغربة، وهو الغربة عن ذَوِي رابِطة الدم أو الأقرباء.

أمَّا الراهب المُتَوحِّد، ففضلاً عن هاتَين الغُربَتَين، فإنه يختبر نوعاً ثالثاً من الغربة، وهو الغربة عن البشر والبشريات جُملةً. إذ أنه كلما شَغَل الحُب الإلهي مساحةً أكبر من القلب؛ كلما نَزَح صاحبه، تِلقائياً، بعيداً عن الخلائِق الهَيولية (الجِسدانية).

٤ـ طرق الرهبان عجيبة في نظر العلمانيين، وطرق المتوحدين عجيبة حتى في نظر الرهبان.. فَكَما تتباين مَسالِك اِقتِناء الفضيلة عند الرهبان عنها عند العَلمانيين، حتى إنها تبدو كما لو كانت مُتناقِضة معها؛ هكذا تتباين مَسالِك اِقتِناء الفضيلة عند المتوحِّدين عنها عند الرهبان، حتى إنها تبدو كما لو كانت مُتناقِضة معها.

فالعلمانيون يخدمون المرضَى ويفتقدون اليتامَى والأرامل ويَعِظون في الكنائس... بينما الرهبان يعتزلون عن الناس ويتجرَّدون من المال ويصمُتُون ويتجنَّبون التعليم والرئاسة...

أمَّا المتوحِّدون فإنهم يتأمَّلون ويَحرُسون الأفكار ويحتملون عَوَز نِياح الجسد وعزاء البشر والمادِّيات، ويُكابِدون ضُغطة الضَّجَر ويَصمدون أمام الأرواح الخبيثة وظُلمة القِتالات الشديدة...

وجميعهم يقتنون الفضيلة بِسياسة النعمة وقيادة الروح، وبِحِفظ كلٍ منهم لِطقسه وسُلوكِه بِمُقتَضَياته.. ولكن طقساً يمتاز عن طقسٍ و "**نَجْماً يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ**" (١كو١٥: ٤١)!

٥ـ طريق الرهبنة يكون سهلاً ومُفَضَّلاً وشَيِّقاً فقط لِمَن يُقبِل عليه، ويَسلُك بِمُقتَضَياته، وطريق التوحد يكون سهلاً ومُفَضَّلاً وشَيِّقاً فقط لمن يُقبِل عليه، ويَسلُك بِمُقتَضَياته (هو١٤: ٩).

٦ـ جهاد الراهب في الرهبنة يُقَدِّمه في سنةٍ واحدة ما كان سَيُقَدِّمه جهاده وهو في الدُّنيا لو لم يترهَّب في ١٠ سنوات، وجهاد الراهب في الوحدة يُقَدِّمه في سنةٍ واحدة ما كان سَيُقَدِّمه جهاده في شركة المجمع في ١٠ سنوات.. هذا كله إن سلك ملتزماً بِمُقتَضَيات دعوته وطريقِه. لهذا فَمَن يَنشُد الارتِقاء الروحي يَجُر تِرحاله ليسكن مُنفرداً (متوحداً).. الوحدة لِصَناديد (شُجعان) الرهبان!

أمَدَّنا التاريخ الرهباني بأن الغَريبان الصغيران مكسيموس ودوماديوس أمْضَيا باكورة سنوات تلمذتهما ورهبنتهما عند الأب أغابيوس (المتوحد)، ولَمَّا انتقلا إلى رَعوِية القديس مكاريوس الكبير ـ كَوَصية مُعلِّمهُما قُرب نِياحته ـ سَكَنا في مغارةٍ مُنفردَين ثلاث سنوات هى بقيَّة أيام عُمرهما، ولم يكُن لهما شركة بالمجمع سِوى قداس الأحد الأسبوعي لِتناول القُربان المقدس، مُلتزمَين الصمت..

تُرى لو كانا قد ذابا في الشركة؛ هل كانا سَيَصيران هُما القديسَين مكسيموس ودوماديوس اللذَين نعرفهما اليوم؟! فطوبى لهما لأنهما قد عرفا طريقهما سريعاً.

٧ـ بمقدار وُجوب صَمت الراهب مع الأخوة في المجمع؛ بمقدار وُجوب كلامه مع الله في التوحد.

٨ـ كما أنه ليس بجيدٍ اِختيار راهب المجمع لِنوع الخدمة التي تتَّسم بالانفِرادية وعدم الاحتكاك بالأخوة؛ هكذا ليس بجيدٍ اِختيار راهب الوحدة مَوضعاً قريباً من مَساكن الدير. لأن التسهيلات المادية والتعزيات البشرية تتنافَى مع تدبير سِيرة السُّكون والتأمل.

٩ـ بِمِقدار ما تفوق حروب الشياطين للراهب عن تلك التي للمسيحي العائِش في العالم؛ بِمِقدار ما تفوق للمتوحد عن تلك التي للراهب العائِش في المجمع، وأكثر.

١٠ـ راهب المجمع يُكابِد دافِع مقارنة ذاته بإخوته، بِحُجة قياس قامَته، والراهب المتوحد يُكابِد دافِع بناء ذاته بِحُجة تَرقِيَة النفس.. ومع أن كِلَيهما عَمَّالَين؛ إلَّا أن ذَينِك السُّلوكَين لَيسَا بِروحِيَّين، لأنهما يَدُلَّان على ذاتيةٍ دَفينة واستعلاءٍ خَفي، فَيَجب أن الراهب يُراقب لا ذاته بل إرضاءها للرب.

١١ـ ما من ضرورة **للراهب العَمّال** تُلزِمه بِالبَقاء في مجمع دَيره طِيلة حياته. إن الشركة هى بِمَثابة (الحَضَانة) التي يَمكُث فيها حتى يَصِل نُمُوُه ونُضجُه الرهباني إلى المُستوَى الذي يُمَكِّنه من الوقوف على قَدَمَيه، ولكن اكتِمال نُمُوُه ونُضجُه هذَين يكون بِالارتِقاء في درجات السُّلَّم الروحي، وهذه الدرجات تتجمَّع، غالباً، في حياة التوحد (إلَّا إذا كلَّفه الدير بِقِيادة روحية، وقبِل هو).

١٢ـ كما يَصعُب على ذي القلب الرهباني العَيش وسط الدُّنيا فَيُسرِع إلى التَّرَهُّب؛ هكذا يصعب على ذي القلب التَوَحُّدي العَيش وسط الدير فَيُسرِع إلى التَّوَحُّد.

١٣ـ لا يَظُنَّن أحدٌ أن المتوحدين هُم أُناسٌ سَلبيُّون عائِشون لأنفسهم أو بَطَّالون من عملٍ؛ لكن **المتوحدين فيما لله بالحقيقة** يَنفعون العالم أكثر من الناس المُشتغِلين به!

فَعَلى مثالهم؛ نحن نعرف أن الذين قد تَصَدوا لِفيروس corona هُم: رؤساء الدول، ووزراء الصحة، والمَنظومات الحكومية، ومَسئولي مراقبة الإجراءات الاِحترازِية، وغيرهم ـ ولكن مَن مِنا يعرف أسماء الأطِباء الباحِثين الذين، **في سكون مَعامِلهم**، قاموا بِاستِكشاف وتحضير اللقاحات (vaccines) المُضادة لذلك الوباء؟!

١٤ـ كَنَدَم الراهب الذي يترك الدير ويرجع إلى الدُّنيا؛ يكون نَدَم المتوحد الذي يترك الجبل ويرجع إلى الناس!

ما هى الدوافع الوجدانية التي تُحرِّك الراهب لِيشُق طريق التوحد، بِدرجاته؟

١ـ فيض ينبوع حب الله في قلبه، فلا يحتمل إلَّا أن يكون معه وحده، وَدون أحَب الناس إليه.

٢ـ الغَيرة النارية في إحراز أعمال عبادة الله.

٣ـ الإرادة الحادَّة في قَمع الجسد الكثيف وإماتة الذات، بالزُّهد والنُّسك في كل ما في الدُّنيا.

٤ـ رَوْم الكمال: الطريق (السيرة) + الحق (الوصايا) + الحياة (الهدف).

٥ـ الهروب من شر الدُّنيا الفاسدة، وقطْع أسباب العَثرات.

٦ـ الاستِهانة بشَرَف الدُّنيا الوَهمي، والإيقان بحقيقة زَوَالها.

٧ـ الندم الحار على الخطايا، وتكريس باقي العمر لِجهادات التوبة.

والرهبنة بشركة المجمع هي البداية للكثيرين، لكنها لا تُمَكِّن الراهب من تحقيق غاية كل هذه الدوافع، أما الذي له هذا الامتياز فهو منهج التَوَحُّد.. وكلما أخذت هذه الدوافع لَدَى الراهب عُمقاً وجدانياً أكبر؛ كلما كانت درجة توحده أكبر.. إننا نَبغي من حياة التوحد ما لا يمكن أن نبلغ إليه في شركة المجمع، على حَد تعبير مار إسحاق السرياني: [**حتى لو تَعلَّقنا من جُفُون أعيُننا**]!

ومع هذا كله فإن القوة الدافعة للمتوحد حُبَّاً في الله منذ البداية هو الروح القدس (يو١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣). فبِدون الروح القدس لا يستطيع بل لا يجسُر أن يخطو خطوة واحدة. فالروح القدس هو الذي يَهَب الإنسان الاستِنارة، وتجديد الذِّهن، وكَشف قِناع الدُّنيا الحاضرة، والمعرفة الروحانية المُسبَقة عن الملكوت السمائي. والروح القدس هو الذي يسكُب محبة الله في القلب بكل المِلء حتى الفَيض. والروح القدس هو الذي يوجهه نحو طريق التوحد، واتِّخاذ قرار التوحد، بالارادة وبالفرح وبالقوة اللازمة لِتنفيذه. والروح القدس هو الذي يقوم بالتدبيرات المُلابِسة لِسِيرة التوحد الروحية والمادِّية كِلَيهما. والروح القدس هو الذي يؤازِره ويحفظه ويقوده طِيلة الطريق من أوله إلى آخره، أكثر جداً من مؤازَرة وحِفظ وقيادة الملاك روفائيل لِطُوبيا في رِحلته.

لماذا تتنافَى التسهيلات المادِّية والتعزيات البشرية مع تدبير سيرة التوحُّد؟

لأن هذه وتلك تقف كَعَوائق أمام مَن يتجرَّد للسلوك بالروح، "لأَنَّ **الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ**، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لاَ تُرِيدُونَ" غل٥: ١٧.. لهذا إن كان أحد يختار عِيشة التوحد، فَليَعلم أن سِمة هذا الطريق هو الفقر، وأحياناً العَوَز والاحتياج، مع أن الرب لا يترك طالِبَه يُعوِزه شيء، الرب القائِل: "**أَنَا الرَّبُّ فِي وَقْتِهِ أُسْرِعُ بِهِ**" (إش٦٠: ٢٢). لكن، وفي المقابل؛ فليَعلم أيضاً أنه عندئذٍ تكون روحه في حالةٍ أكثر استعدادٍ للامتِلاء والاغتِناء.

قال مار إسحاق السرياني: [**التعزيات البشرية تمنع التعزيات الإلهية**].

لماذا لا يصلُح التوحد داخل منطقة مباني الدير؟

لأن التوحد يَلزَمه هذه: إنعدام الأصوت حيث السُّكون والصَّمت حتى يُسمَع السُّكون! ـ الكَفُّ عن التعاملات ـ قَطع الاهتمامات ـ عدم الخروج والدخول ـ الجهل بالأحداث البشرية الجارِية (الخارجية والداخلية، العَلمانية والكَنَسِية).

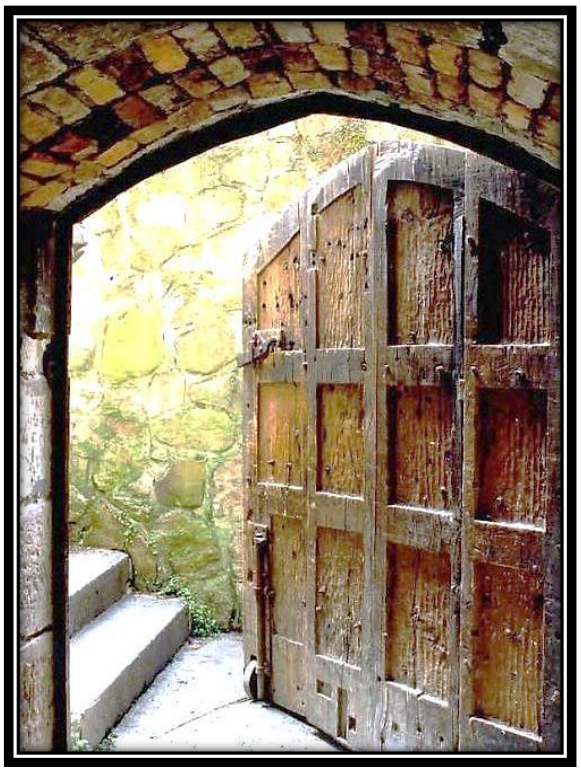

في سيرة التوحد..

كما أنه شَتَّان الفرق بين تدبير البتولية وبين العُذُوبة؛ هكذا فإنه شَتَّان الفرق بين تدبير التوحد وبين مجرد اِعتِزال الناس. تدبير البتولية وتدبير التوحد تَوَجُّهان روحيَّان كِتابيَّان وفَلسفيَّان، لكلٍ منهما منهجٌ مُقَنَّن. إن مبادئ منهج التوحد ثابتة أشبَه بالقوانين، لكنها مَرِنة كثيراً وغير جامدة، فهى دائماً بين مَدٍ وجَزر تبعاً لِسياسة النعمة، وبحسب حالة المتوحد الداخلية، واعتبار الظروف المحيطة. فما يُناسبه في وقتٍ ما قد لا يُناسبه في وقتٍ آخَر. لذا فَليَسلُك المتوحد في نظامه اليومي بِجِدِّية لكن في حرية، بِثبات لكن في مُرونة، بِالتزام لكن في بساطة.. أمَّا عن هذه المبادئ، فهى:

١ـ غَلق الأبواب: باب اللسان ـ باب الحواس ـ باب المغارة. وفي غلق باب المغارة لا أقصد بالضرورة الباب المادي ما يُعرَف بالحَبس، لأن ذلك الحبس هو سلوكٌ فردي خاص ليس مَشاعاً في السِّلك الرهباني، لكنني أقصد بِغَلق المتوحد لِباب مغارته؛ عدم الدخول والخروج إليه من أحد (وإن كان المتوحد يحتاج في بعض الأوقات أيضاً إلى الغَلق بالمعنى الحَرفي المادي).

٢ـ قَطع الاهتِمامات، ثم قَطع الاهتِمامات، ثم قَطع الاهتِمامات.

٣ـ خدمة الأوقات (الصلوات ـ مُطالعة كلام الله ـ القراءات الموافِقة للسِّيرة ـ التأمُّل ـ مُداوَمة الهذيذ في اِسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح...).

٤ـ أعمال الجسد الروحية (صوم ـ ميطانيات ـ سهر...)، والمادِّية (عمل اليَدَين).

٥ـ حِراسة العقل (من: الذكريات العَلمانية السابقة للترهُّب ـ الطَّوَاف ـ إيعاذات الأرواح الشريرة).

٦ـ حِفظ القلب (من: الشهوات، أم٤: ٢٣ ـ الأهواء النفسانية، كالعُجب أو الغضب أو الإدانة).

٧ـ كَشف الأفكار بِسذاجة للمُرشد الروحي.

٨ـ الصبر على أتعاب الحياة الانفرادية (ضجر ـ اِحتياج ـ مرض ـ كآبة ـ ظُلمة...).

٩ـ الصُّمود أمام مُعاكسات الأعداء الخَفيين (في اليَقظة ـ في الأحلام).

١٠ـ المتوحد الذي لا يتضرَّع إلى الله من أجل الكنيسة، ومن أجل العالم والخليقة؛ يُحسَب أنانياً.

في هذه الأمور كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[إن **عمل الهدوء الأول هو عدم الاهتمام بِكافة الأمور، الصالحة منها وغير الصالحة** (لأن مَن يُفسِح مجالاً للأولي سوف يسقط لا محالة في الثانية). **وعمل الهدوء الثاني صلاة لا تَفتُر. أمَّا عمله الثالث فَيَقظة قلب مَنيعة لا تُسلَب...**

شَعرة صغيرة تُكدِّر العَين واهتمام يسير يُبدِّد الهدوء. **لأن الهدوء إنَّما هو إقصاءٌ لِهَواجِس الأفكار وجحود للاهتمامات كافةً** وإن كانت صالحة...

مَن خَبِرَ حسنات الصلاة يهرب من الجموع هرب الحمار البرّي من الناس...

الهدوء هو عبادة الله والوقوف بين يدَيه تعالى دون انقِطاع. لِيَلتصق **ذِكر يسوع** بنفسك فتعرف حينذاك منفعة الهدوء. سَقطة المُطيع في الدير مَشيئته الذاتية، **وسَقطة المُعتزِل الهادئ إنقِطاعه عن صلاته...**

أغلِق باب قلايتك على جسدك **وباب لسانك** على كلامك **وباب قلبك** دون الأرواح الشريرة].

في تدبير المتوحد:

إن لم يَلزَم المتوحد تدبيراً يُقنِّن به تَوَحُّده (تدبيراً روحياً + تدبيراً عملياً)؛ فهذ يُحسَب عَشوائية منه، وقد يتحول به الأمر إلى خدمة الذات، ويؤدي به إلى تدليل الجسد، فيَهدِم ما قد تعب في بِنائه أثناء فترة المجمع.. لكن إدارة المتوحد لِوقته تكون بين هذه التدابير الثلاثة:

١ـ الأعمال التَعَبُّدِية المكثفة:

أي الانخِراط في العمل الروحي: التِهام الأسفار قراءةً، تَلاوة المزامير، صلوات الأجبية، صلوات الإبصلمودية، الصلوات الحُرة (الإرتجالية)، إحراز الميطانيات الكثيرة، القُداسات الإلهية، الصوم حتى ساعةٍ متأخرة من اليوم، والهذيذ في صلاة يسوع... كل هذا يُجرِيه المتوحد يومياً بحسب قَدر قامَته.. هذا هو النموذج المثالي لِعمل الراهب المتوحد في صَومَعَته، والذي كان يُمَثِّله في عصرنا الأب مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس)، وعددٌ من الرهبان غير المَشهورين.

ولكن واقِعياً فإن هذا السلوك التَعَبُّدِي يندُر وجود مَن يأخذه على عاتِقه الآن من بين المتوحدين، فإنهم يختَزِلونه بِقَدرٍ ما، يختلف من واحدٍ لآخَر.. وقد يتَّبِعون طريقة [**قليل قليل**]، أي قليل من كل بَند (من البنود السابقة) يعقُبُه قليل من بَندٍ آخَر، مع إمكانية تكرار أكثر من بَند في وقتٍ لاحقٍ من اليوم عَينه، وقد يَستكمِلون ما انتَقَص منه بأحد هَذَين التدبيرَين:

٢ـ الدرس المقدس:

الكتاب المقدس ـ العلوم اللاهوتية ـ العلوم الكَنَسِية ـ اللغة اليونانية أو العِبرية ـ التأليف ـ كتابة التأملات...

٣ـ عمل اليَدَين:

الأعمال الفنية الكَنَسِية التي لا تحتاج إلى الخروج من الصَّوْمَعة، كَشُغل الصُلبان الجلدية، أو المَشغولات الخشبية الصغيرة (على غِرار ضَفر الخُوص قديماً).

يمكن لمتوحدٍ أن يُبطِل عمل اليَدَين إذا ما بَلَغ حالة الصلاة الدائمة: "**أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ**" (مز١٠٩: ٤)، لأنه حينئذٍ يُصبح عمل يَدَيه هو رَفع يَدَيه: "**بِاسْمِكَ أَرْفَعُ يَدَيَّ**" (مز٦٣: ٤؛ خر١٧: ١١).. (القُفَف للجَمَّال!).

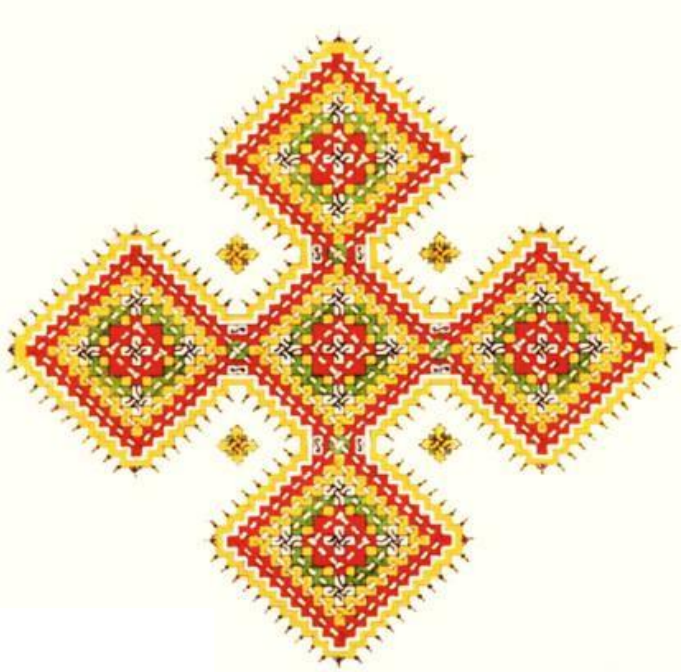

الفوائد التي ينفرد بها منهج الوحدة، في تأهيل الراهب لبلوغ القِمم الروحية:

الوحدة مستشفى الآلام والأوجاع المُزمِنة التي للطبيعة. الجبل سَفارة الفردوس في الأرض وعَبَق أثماره.. فمِن فوائد منهج الوحدة:

١ـ تَجَنُّب تَعَلُّم طِباع وحِيَل الرُّفَقاء الذين في مرحلة الصِّبيانية الرهبانية، ولم يتكمَّلوا بالنعمة بعد، الطِّباع التي قد تتأذَّى نقاوة قلبه منها (ضوضاء ـ عَثرات ـ سَجَس ـ غَيرة ـ خُصُومَة...).

٢ـ الاختِلاء مُدة طويلة يُتيح اِستعراض الحياة الماضية، ويؤكد تفاضُل الحياة الجديدة عليها.

٣ـ اِستِكشاف أوضَح للنفس (نقائصها ـ مَواطن ضعفها ـ أمراضها...)، ومن ثَمَّ تهذيبها، عن طريق تفريغ ما قد تَخَزَّن في العقل الباطن والذاكرة وخَلَجات النفس من خِبراتٍ سَلبية.

٤ـ الكَف عن المُحادثات، وعن مُفاوضة الحواس في عالم الزمنيات والمنظورات؛ شرطٌ مؤهِّلٌ لِمُفاوضتها في أمور الأبديات والسمائيات.

٥ـ التَحرُّر المكاني والتَحرُّر الوجداني من كل أحد؛ شرطٌ للاتحاد بالواحد وحده.

٦ـ اِختزال الراهب لاهتِماماته الشخصية السابقة؛ يُتيح له تركيز اشتِياقاته وطِلباته في الروحيات.

٧ـ تَجَنُّد الراهب للقتالات الداخلية المتحركة عليه خِفيَةً.

٨ـ ظروف منهج التوحد؛ عوامل مُساعِدة فعَّالة على النُّسك بجهادٍ أقل.. وقد قِيل بِأن مُجرَّد النظر إلى القَفر يُميت الشهوات الجسدية.

٩ـ اِنفراد الراهب في البرية يُتيح له التَعَمُّق في فَهم قوة مَعاني كلام الله.

١٠ـ اِنعِزال الراهب مع سُكون المكان لازِمَين لِانطلاق طاقات الروح والعقل في الصلاة والتأمل.

١١ـ التوحد فصل تَلمذة خصوصي لإعداد القلب والنفس، من المعلِّم الأعظم: الروح القدس.

١٢ـ لكي يُظهِر الرب ذاته ويتراءَى بِفَيض؛ يحتاج الراهب إلى كلٍ من: أعمال إماتة الذات، ونَبذ السُّكنَى بين الناس. وهذان يتطلَّبان سنواتٍ طوال.

طريق التَوَحُّد دعوة الهية، وحذارِ اقتِحامه بدونها..

ثلاثة شُروط حدَّدها مار إسحاق السرياني يقوم عليها منهج التوحد:

الغرض المستقيم ـ الاسترشاد بأبٍ روحيٍ **مُتوحِّد** ـ تكميل خِدمة الأوقات.

مَبدآن أساسيَّان وحَيويَّان حدَّدهُما مار إسحاق لِيَتَّبِعهما مَن يَرتاد طريق التوحد:

[لقد تعلَّمت بالاختبار أن أساس كل الخيرات وخلاص النفس من أسْر الأعداء والطريق إلى الله؛ هو أمْران اِثنان: الثبات في مكانٍ واحد فقط، ودَوام الصوم].

(لَعَله يقصد بالثبات في مكانٍ واحد؛ ألَّا يكون للمتوحد ـ إضافةً إلى مغارة توحُّده ـ قلاية أخرى خاصة به بعَينها داخل منطقة المجمع، كما أنه لا ينتقل من مسكن إلى آخَر إلَّا للضرورة).

قاد الروحُ القدسُ الابنَ المتأنس **ناسوتياً** طوال عمله الكفَّاري على الأرض. فبالروح القدس كان "**يَنْمُو وَيَتَقَوَّى... يَتَقَدَّمُ** فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ" (لو٢: ٤٠، ٥٢)، وهكذا كانت كل حياة السيد المسيح أثناء رحلة تجسده مَقودة بالروح القدس (مت١٢: ٢٨؛ مر٢: ٨؛ مر٨: ١٢؛ لو١٠: ٢١؛ يو١١: ٣٣، ٣٨؛ يو١٢: ٢٧؛ يو١٣: ٢١؛ عب٩: ١٤؛ ١بط٣: ١٨، ١٩...). كذلك خروج الرب يسوع المسيح إلى البرية كان بِقيادة الروح القدس، فقد قال الوَحي الإلهي عنه: "ثُمَّ **أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ** لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ" مت٤: ١

من هذا نفهم أن:

١ـ إرتِياد راهبٍ لِطريق أو لِتدبير التوحد؛ لابد له من **دعوة إلهية** من الروح القدس.

٢ـ خروج راهبٍ إلى البرية، أي التوحد؛ يعني أنه خارجٌ "لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ".

ليس كلُّ ذي عَيشٍ مُنفردٍ متوحداً لله. فهناك العالِم المُعتَزِل في مَعمَله وحده، وهناك الأديب المتأمِّل في مَكتبِه وحده، وهناك الفنان القابِع في مَشغَله وحده، وهناك حارِس الحدود الواقِف على مِرصَده وحده، بل أيضاً السَّجين المَحصور في مَحبَسه وحده، والإنسان المريض بمرض التوحد.. لكن التَوَحُّد حُبّاً في الله يَرتَقي ويَتفاضَل جداً، مَضموناً وشَكلاً، عن كل ذلك:

١ـ التَوَحُّد طريق جهاد مُتخصِّص في الرهبنة، فهو دعوة داخل دعوة، دعوة بعد دعوة، ولا يصِح اِرتِياده بدونها.

٢ـ كما أن طريق الرهبنة يكون: إمَّا دعوة إلهية بَحتة، أو دعوة إلهية قبولاً واستجابةً لِدُعاء الطالب، ولا ينبغي بحالٍ اِرتِياده بدون هذه الدعوة ـ هكذا طريق التوحد، فهو يكون: إمَّا دعوة إلهية بَحتة، أو دعوة إلهية قبولاً واستجابةً لِدُعاء الراهب، خلال دعوة رهبنته.

٣ـ من جهة الله: الدعوة + النعمة (التي تُمَكِّن الراهب من حَمل نِير التوحد)،

٤ـ ومن جهة الراهب: الرغبة + الأمانة (في السلوك بِمُقتضيات منهج التوحد، حتى النهاية).

٥ـ إذا رغِب راهب في حياة التوحد فلا يَكفيه أن يطلب البرية بل يلزَم له أيضاً أن تَدعوه البرية!

٦ـ التَوَحُّد عِلمٌ روحيٌ له مبادئ وقوانين، وصِناعةٌ سماويةٌ لها أُصُولٌ ومُعلِّمون، كَعِلم الهندسة وكَصِناعة الطِّب. فهل يمكن لِمُهندس حديث التخرُّج أن يَبني عِمارةً وَحدَه؟ أو لِطَيَّارٍ مُستجَد أن يَقود طائرةً وَحدَه؟! وإذا كان عَزف الموسيقَى يتطلَّب سنواتٍ من التَّلمَذة؛ فكَم يحتاج المتوحد إلى المُعَلِّم (الصَّنايعي) حتى يَغلِب في حروب الرب! إن التَّلمَذة على الكتب وحدها لا تكفي للتوحُّد.

٧ـ التَوَحُّد اِستعداد وجهاد مُسبَق طويل. فلَمَّا وَجَبَ على المسيحي العائِش في الدُّنيا أن يُحارب حروب الرب، لابِساً "سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ" (أف٦: ١١، ١٣)؛ فكَم بالأكثر الراهب! ولَمَّا كان الراهب بِهَجرِه الدُّنيا قد أعلن، ضِمنياً، الحرب على مملكة الشر والظلمة؛ فكَم بالأكثر المتوحد الذي يَشغَل الصف الأول في الجَبهَة! ولَمَّا كان الانتقال من الشركة إلى الاِنفِراد هو تدبير فوق العادي؛ فكَم يتطلَّب اِستعداداً فوق العادي، لأن الراهب حِينذاك سَوف يكون وَحده مُنفَرِداً عن القَطيع.

إن مَعيشة التَوَحُّد إن لم:

٨ـ تكُن فقط حُبَّاً في الله،

٩ـ تبدأ بدعوة الأب الروحي، أو على الأقل بِرِضائه ومُباركته،

١٠ـ يقترن بها اشتياقٌ روحي،

١١ـ تتشبَّع بالاتضاع،

١٢ـ تتحلَّى بالصلوات الكثيرة، والتدبير المُقنَّن لخدمة الأوقات،

١٣ـ تضبِطها مشورة وطاعة لِقيادة روح الله وتسليم الآباء الحاذِقين (مار إسحاق..) وتوجيه المرشد،

١٤ـ يَدعَمُها تمييزٌ كثير،

١٥ـ يُوازِنُها الاعتِدال (النُّسك بِالتدرُّج البَطيء مع المُداوَمة؛ أفضل من القَفز الطويل مع تَقَطُّع) ـ فإنها غالباً ما تؤدي إلى: الضَّجَر الشديد ـ المرض النفسي ـ الأوهام الفِكرية ـ الخيالات السَّمعية أو البَصَرية ـ اللَّوسَة العقلية ـ الهَرطَقة ـ هُزال الجسد ـ وأقل النتائج خسارةً أن يتراجع الراهب عن توحده ويعود لِدَيره.. إن العَيش الانفِرادي إمَّا أن يُنتِج قديسين وإمَّا أن يُنتِج مَرضَى وضالِّين.

لِذا يُنبِّهنا الدَّرَجي: [مَن لم يعرف الله بعد لا يُؤهَّل للهدوء بل يُعرِّض نفسه فيه لأخطارٍ كثيرة. إن **الهدوء يُدمِّر غير المختبِرين لأنهم لم يذوقوا حلاوة الله**، فيُضيِّعون وقتهم في السَّهو واللَّهو].

[**مُطيعٌ بسيط في الدير أفضل من مُعتزِل شارِد لَاهٍ** في البرية... فالراهب المُنفرِد تُعوِزه يَقظة جزيلة وعقل لا يَدور. وكثيراً ما يُعين الأول رفيقه، **أمَّا الثاني فالملاك وحده مُعينه**].

[مَن كان مُستعبَداً للأهواء وأقام في القَفر **يَلهَج بِأهوائِه**... مَن يُقدِم على سِيرة الهدوء وهو مُستعبَد لأحد الأهواء؛ **يُشبه مَن يثِب من السفينة إلى اليَم مُتوهِّماً أنه يَصِل إلى اليابسة على خشبة بسرعة وأمان**].

[**لا يتسرَّعنَّ أحد في إبتِناء قلاية هدوء** (هي بمَثابة بُرج) ما لم يجلس أولاً ويَحسِب ويتلمَّس بالصلاة إن كان عنده ما يَلزَم لإكمال البناء، لئلا يضع الأساس ثم يصير هُزءاً لأعدائه وتَعويقاً لمُجاهدين آخَرين... **لا يَجترِئَنَّ أحدٌ يُنكِّده غضب، أو غرور، أو رِياء، أو حقد، على اقتِفاء سِيرة الهدوء** لئلا يَجني مِنه ضَلالاً عقلياً لا غير. وإن كان أحدٌ نقياً من تلك الأهواء فَسَوف يعرف ما يُوافقه. وأخشى أن لا يعرف هو أيضاً ما يُلائِمه (ما لم يرجع إلى مَشورة أبيه)].

[**مَن تَوَحَّد ثم عرف ضَعفه فَعاد وباع ذاته للطاعة**؛ فقد اِستَعاد نظرَه بلا مَشَقة وأبصَر المسيح].

[مَن يَبتغي أن يقدم للمسيح جسداً طاهراً وقلباً نقياً؛ فَليَحرص على التمسك **بالوداعة والإعتدال**. لأن تعبنا كله يذهب سُدَى بدون هاتَين الفضيلتَين].

الراهب الذي يُريد أن ينتقل من تدبير الشركة إلى تدبير التوحد؛ يَلزَم له أن:

١ـ يكون قد **حَمَلَ نِير المجمع لِسنينَ هذا عددُها**، وقد اِتَّضَح في حياته ثمر الروح.

٢ـ يُؤَيِّدُه ويُبارِكه **أبوه الروحي**.

٣ـ يَعهَد به **رئيس الدير** إلى **أبٍ متوحد**، مَشهوداً له بالفضيلة، يأخذ على عاتِقِه تَبَنِّيه وتَلمَذَته..

ثلاث درجات رئيسية لِحياة التوحد:

١ـ الراهب يَعتزِل مُنفرداً في مغارته، ولا يذهب الى الدير إلَّا يَومَي السبت والأحد.

٢ـ الراهب يقبَع في مغارة بعيدة عن الدير، طاوِياً الأسابيع، ولا يدخل ويخرج اليه أحد.

٣ـ بِدعوةٍ إلهية يترك الراهب مغارته وينفصل كليةً عن دَيره، لِيَتَوَغَّل إلى أغوار البرية حتى التِّيه، وقد يسكُن بِثَغر وقد لا يسكُن. وهذه هى حياة السياحة، وهى أنواع ودرجات نفتقِر إلى خِبراتها.

من علامات تَجَدُّد المتوحد:

مَدلولات صلاته ـ بَهجته ـ إفرازه ـ حُنُوُّه على المخلوقات..

ولنَدَع الأب يوحنا الدَّرَجي يشرح لنا هذا الأمر بأكثر إسهاب، بكتابه "السُّلَّم إلى السماء":

[إن **القوات العقلية تُشارك الهادئ الحقيقي صلاته وعبادته وترتاح إلى السُّكنَى معه**، أمَّا مَن كان عكس ذلك فأسكُت عنه].

[إليكم سِمات الجادِّين بصورةٍ سليمة في جهاد الهدوء، وممارساتهم:

عقلٌ مُتيقظ وفكر نقي وانخِطاف في الرب، وذِكر دائم للعقاب واشتِهاء للموت، وعدم الشَّبع من الصلاة، واحتِراس لا يُسلَب، واضمِحلال للزنى، وعدم التعلُّق بشيء وموت عن العالم، وإقصاء الشراهة، ومعرفة التكلم في اللاهوت، وينبوع من التمييز، وتَحالُف مع الدموع، وتَلاشِي الثرثرة، وسائر المناقِب المُماثلة التي يُخالفها كلياً عامَّة الناس.

أمَّا سِمات الذين يُمارِسون الهدوء بدون معرفة فهى:

فقرُهم الروحي، وازدِياد غَيظِهم وادِّخارهم للحقد ونُقصان المحبة عندهم، وتَمادي غرورهم، وما يتبع ذلك أَسكت عنه (لَعَله يقصد سقوط الجسد أو ضلال العقل)].

يمكن تصنيف الآباء المتوحدين ـ بِصفةٍ عامة ـ إلى ٣ فِئات:

١ـ المتوحد الذي أمضَى في تَوَحُّده زمناً كبيراً، فَيَدعوه دَيره إلى تعليم وإرشاد رهبان دَيره الصِّغار. لأنه بِافتِراض أنه قد دخل الدير في سِن الخامسة والعِشرين، وتَكَرَّس في سِن الثلاثين، وأمضَى في الشركة سِنِينَ هذا عددُها، وفي تَوَحُّده سِنِينَ هذا عددُها ـ فبِذلك يكون قد بَلَغَ سِن السِّتِّين أو الخامسة والسِّتِّين، لِذا يَصلُح أن يكون أباً مُختبِراً ومُعَلِّماً.. وإذا لم تكُن له موهبة "كَلاَمُ حِكْمَةٍ" أو "كَلاَمُ عِلْمٍ" (١كو١٢: ٨)؛ فَيَكفي أن يَقبَل اِعترافاتهم ويُرشِدهم بِما تَعَلَّمه واختبَرَه في سِنينٍ كثيرة، حتى بِاستمراره في عِيشَة السكون.

ويَحسُن أن تكون هذه الفِئة من المتوحدين هى الأكثر عدداً.. فهكذا سلك الأنبا أنطونيوس بعد عُزلَته ٢٠ سنة، وهكذا فعل غالبيةُ الآباء القديسين المتوحدين: الأنبا مقاريوس، والأنبا شنودة (رئيس المتوحدين)، وحتى أشهَر مُعلِّمي التوحد مار إسحاق السرياني..

٢ـ المتوحد الذي يَدوم في سُكونه مؤَدِّياً لِخدمة أوقاته، سعيداً في تدبيره لا يؤرِّقه ضِيقٌ نفسيٌ ما.

٣ـ المتوحد الذي دعاه الله إلى سِيرة السياحة المبارَكة، دون أن يكون له أي سَعي في الدخول فيها، بل هى دعوة إلهِيَّة بَحتَة، وهذه حالة نادِرة الحدوث.

قَلَّ عدد السوَّاح الآن بسبب ضعف الجهاد الروحي للرهبان، وتَمَدين الأديرة، واختِلاطها بالعالم، لكنهم لم يَنقرِضُوا تماماً. إن الرب في كل عَصر "لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ" (أع١٤: ١٧).

الأسباب المحتملة للضِّيق النفسي لَدَى المبتدئ في حياة التوحد (بإفتِراض إستكمال الراهب لِشُروط التوحد الثلاثة أولاً ـ صفحة ١٥٢ من هذا الكتاب):

١ـ جُوع الحواس. فالعين لا تشبع من النظر والأذن لا تشبع من السمع...

٢ـ شهوة المعرفة. فالعقل الواعي تَستَهويه الأحداث الجديدة أكثر من الحقائق الثابتة (لا سِيَّما عند توفُّر وسيلة إتصال).

٣ـ إعتياد النفس على المَعيشة المشتركة لسنواتٍ طويلة، وحَنينُها إلى عزاء بَشَرٍ نُظَرائها.

٤ـ جُنوح الذات إلى إثبات وجودها، وصعوبة قبولها فِكرة أن تكون نَكِرَة.

٥ـ أنين الجسد من ضِيق العَيش في القَفر والفَقر.

٦ـ تعبير الغريزة الجسدية عن ذاتها ونشاطُها بشكلٍ أوفَر، كَرد فِعلٍ وظيفي تِلقائي مُقابل ظروف تَقويضِها، حتى أن الراهب يشعر وكأنها أنشَط عنها مما لَو كان قد تزوج.

٧ـ إستخراج العقل الباطن من خزانته للذكريات والخِبرات السلبية المؤلمة، المُتراكِمة عَبر السنين.

٨ـ تردُّد الراهب بين صَومَعته في التوحد وبين الدير؛ يُطيل من الفترة الزمنية المَطلوبة للتكيُّف مع هذا النَمَط الخاص في الحياة.

٩ـ السَّأم من حياة ثابتة على وَتِيرَة واحدة لمُدة طويلة.

١٠ـ إمكانية تَدَخل الشيطان بإثارة أفكار شهوانية، وكذلك أفكار غَضَبية، بصورة أكثر كثافة.

١١ـ عدم إستكمال الراهب تَحَرُّره التام من كل الاهتمامات.

١٢ـ عدم ارتِقاء الراهب بِحاجاته النفسية إلى المستوى الروحي.

١٣ـ النزوع التلقائي إلى مَلء ما تَبَقَّى لَدَيه من فراغ أو جُوع **وجداني** (عاطِفي) أو **وقتي**، ذَينِك الفَراغَين الشَّاغِرَين ممَّا لله الحق والمحبة، المُسَبِّبَين للضجر ـ بِأُمورٍ زمنية أو مادية أو بشرية باطِلة.

وللتغلُّب على هذا الضِّيق (أيضاً بِافتِراض اِستكمال شُروط التوحد الثلاثة أولاً):

١ـ أُصارِحك بأنه لا يستطيع إنسانٌ أن يعتزِل لِيَعيش بمُفرده، ويتغلَّب على هذا الضيق، الذي تتوافَر وَثَبَاتُه كثيراً على الراهب؛ إلَّا **مَن وُهِب له اقتِناءً خاص للحُب الإلهي**. وَجِّه عواطفك نحو الحب الإلهي، اِجتهد أن تحصُل عليه بكل وسيلة ممكنة.

لِذا كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[إن سِيرة التوحد هى لعمري لأفرادٍ قليلين: لأولئك فقط **الذين حَظوا بالعزاء الإلهي اِستِنهاضاً لهم في الأتعاب ونَجدةً في القِتال**]. [الضَّليعون بالفلسفة العالمية قليلون، ولكني أؤكد أن **العالِمين حقاً بفلسفة الهدوء الإلهي هُم أقل منهم**].

٢ـ الجهاد. أنت اخترتَ الطريق العالي، التوحد، الذي للطريق العالي، الرهبنة، ولكل جهادٍ إكليلُه.

٣ـ الدَّرس المُتَعَمِّق في كلام الله، بفهم وبِجِدَّة ذِهن.

٤ـ البحث في مجال دراسي رهباني يروق لك (كتابي ـ لاهوتي ـ روحي ـ كنَسِي ـ آبائي..).

٥ـ التَمَشِّي في الهواء الطلِق حِيناً.

٦ـ العمل اليَدَوي المُحَبَّب لِبَعض الوقت (قد يكون هذا العمل هو الكتابة، خاصةً عند مَن لَدَيهم هذه المَلَكة).

عن لزوم هذا العمل اليَدَوي لِبَعض الوقت؛ كتب الأب يوحنا الدَّرَجي:

[من الصعب أن ننفُض عنا نُعاس الظهيرة لا سِيَّما في أوقات القَيظ، **ولَعَل العمل اليَدَوي حينئذٍ وحينئذٍ فقط ليس مرفوضاً**].

٧ـ تقدير شَرَف الوحدة. أيها المُبتدئ، يا مَن تئِن من العَوَز إلى العزاء؛ أيهما تختار لنفسك: أن يكون مُغلَقاً عليك في الفردوس؛ أم أن تكون طَليقاً خارِجَه؟!.. صحيحٌ أنك تقبَع أحياناً بدون عزاء؛ لكن عزاءك أنك قابِعٌ أيضاً بدون كَدَر وغَم. تَفَهَّم! ألَا يوجد الآن مَن يقبَعون في السجون

والأبواب مُوَصَّدة عليهم بغير إرادتهم؟! أليس الكثيرون راقدين الآن بالمستشفيات، يخضعون للمشارِط القاطِعة، والحُقَن، أو يمتثِلون للعِلاجات الحارَّة والأدوية المؤلمة، أو تحت الأجهزة الطبية الكهربائية؟

فَلَكَم أنت أفضل حالاً منهم، إذ أنك منفردٌ في صَومَعتك بحريتك وإرادتك، تمُد يديك ورِجليك بِحرية، ولأجل هدفٍ سامٍ، فضلاً عن أنك مَحميٌ "**فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ**" (مز٩١: ١)! قُل لنفسك مع مَن قال قَبلك: يَكفيكي يا نفسي أنه لا تُحزِنين أحداً ولا أحد يُحزِنك.

إنه حتى وقت الفراغ، بل ولَو مرَّ بِك ضجرٌ مؤلم، فَاعلم أن هذه الأمور نافعةٌ لك، فهى من أدوية شفاء النفس المَكلُومة.. إنه مكتوبٌ: "وَالإِنْسَانُ **فِي كَرَامَةٍ** لاَ يَبِيتُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ... إِنْسَانٌ **فِي كَرَامَةٍ** وَلاَ يَفْهَمُ يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ" مز٤٩: ١٢، ٢٠

كتب أيضاً الأب يوحنا الدَّرَجي:

[إنه لَأمرٍ عظيمٍ حقاً أن نحتمل بشجاعة ومُروءة الحَر اللَّاهِب والسكون المُطبق وَوَهَن العزيمة التي تُلازِم سِيرة التوحد، **وأن لا نبحث خارج سفينة القلاية عن أي تعويض أو تَسلية**..].

أولئك الذين أشرقتَ عليهم بشعاعٍ من حُبك لم يحتملوا السُّكنَى بين الناس، بل ألقوا عنهم كل حُب جِسداني وتَغَرَّبوا عن كل شيء في طَلَب المحبوب.. تركوا الأب والأم والأخ والصَّديق وسعوا خلف الغِنَى بحُبه، لأنهم أدركوا أن في قلبه لهم حُبَّاً كثيراً، وفي محبته لهم عزاءً يفوق كل عزاء! ساعةَ أن أدركوا شهوة حُب الوحيد ما صبروا أن يبقوا في أفراح العالم لحظة..

إيه أيها الحُب الإلهي! رفعْتَ النفس حتى أجلسْتها في نور خالقها وطهَّرتَها..

(من أقوال الشيخ الروحاني)

قد يَعرِض للمتوحد هذا المَحَك:

في مرحلةٍ ما من تَوَحُّدَك؛ قد تختبر إحساساً بِاللَّاشَيئِيَّة الشخصية واللَّاقيمة الذاتية، وكأنك (زائِدٌ).. فلا فَهم لِواقعٍ ولا رؤية لِمُستقبل. لا سماع لِصوت الله من الإنجيل ولا من غَيره. لا رسائل تَعزِية سمائية بكلامٍ طَيِّب. ترى آمالك وطُموحاتك تَنهار أمامك، حتى الروحية منها (أي١٧: ١٥). لا وجود لِسَنَد أو عزاء بَشَري. والأعظم من هذا؛ إحساسك بأن الله ليس فقط هَجَرَك؛ بل طَرَحَك وسَحَقَك (مز١٠٢: ١٠)، وكأنك كُتلة خطية، وحالُك حال صاحب المَراثي:

"قَادَنِي وَسَيَّرَنِي **فِي الظَّلاَمِ** وَلاَ نُورَ... **كَسَّرَ عِظَامِي**... أَيْضاً حِينَ أَصْرُخُ وَأَسْتَغِيثُ **يَصُدُّ صَلاَتِي**... مَيَّلَ طُرُقِي وَمَزَّقَنِي. **جَعَلَنِي خَرَاباً**... وَقَدْ أَبْعَدْتَ عَنِ السَّلاَمِ نَفْسِي. **نَسِيتُ الْخَيْرَ**، وَقُلْتُ: بَادَتْ ثِقَتِي وَرَجَائِي مِنَ الرَّبِّ. ذِكْرُ **مَذَلَّتِي وَتِيهَانِي أَفْسَنْتِينٌ وَعَلْقَمٌ**. ذِكْراً تَذْكُرُ نَفْسِي وَتَنْحَنِي فِيَّ... قُلْتُ: **قَدْ قُرِضْتُ!**" (مَرا ٣). (راجع صفحة ٨٢ من هذا الكتاب).

لكن "**لاَ تَخَفْ وَلاَ يَضْعُفْ قَلْبُكَ**" (إش٧: ٤). اِحتَرِز جداً من ذلك الهاجِس الصادر من الكَيان المُظلِم الدَّفين في أعماقك، والذي يُوعِز إليك بالتذمُّر على الله والتمرُّد على الآلام التي تُسبِّبها يَدَي جروحه الشافية لك، بل "**كُنْ أَمِيناً إِلَى الْمَوْتِ**" (رؤ٢: ١٠)، مُصلِّياً له: "**عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي**" (مز٢٣: ٤).. "**لأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصِبُ. يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ**" (أي٥: ١٨)، ثِق أنه "**أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ**" (أم٢٧: ٦). أُذكر كَم تَضايَق يوسف أولاً، وكَم تَأَذَّى أيوب أولاً.. وقد أخبرَنا مار إسحاق بأن المتوحد لا يذوق الحلاوة التي من الوحدة؛ ما لم يختبِر مرارتها أولاً..

إن المَسيرة الرهبانية هى تنفيذٌ جِدِّي لِكلمة إنجيلنا: "لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، **وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهاً بِمَوْتِهِ**" (في٣: ١٠). وشركة آلام مَسيحنا والتشبُّه بموته لَيسا مجرد تَقنين طعام في أيام الصوم أو رَشفَة خَل يوم الجمعة العظيمة، فهذا ما يفعله المجاهدون في العالم، بل أن المَسيرة الرهبانية في حقيقتها العميقة هى عملية تَقويضٍ لِلذات وتمحيصٍ للقلب، يُجريها روح النعمة **في النفس ذات الإرادة الصالحة والمَسلَك القَويم**، بِدَوام اختيارها الحُر، وطبيعياً هذا لا يَخلو من ألم.. فهل تقبل؟

تجارِب الأرواح الشريرة للمتوحد، في الصَّحو وفي النوم:

✝ إن الأرض أشبَهُ بمذبحٍ كبير، البشر كلهم عائِشون عليها مثلما على صفيحٍ ساخِن، أمَّا أولاد الله فهُم بالأكثر في حالة معركة روحية مستمرة، فيها يُناضِلون من أجل الرجوع للاستيطان في الرب، وكَم تكون بالنسبة للمتوحدين الذين تَجَرَّدُوا لِمُقاتَلة "أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ" (أف٦: ١٢)؟! يُذَكِّرنا هذا بذلك الراهب ـ في "بُستان الرهبان" ـ الذي لَمَّا سمع في البرية دَق طُبُول الحرب، قال في نفسه: "وهل هنا في البرية توجد أيضاً حرب؟!"، فَحينئذٍ فاجَأَه الشيطان بِالإجابة: "نعم ياراهب، **إنها حرب، إن شِئت فحارِب وإلَّا فسَلِّم لِأعدائِك**"!

✝ يرى المتوحد أياماً مُبهِجة لم يَختبِر مثلها من قبل، لا في العالم ولا في الدير، ثم يعود يرى أياماً مظلمة لم يَختبِر مثلها من قبل أيضاً، لا في العالم ولا في الدير. كمِثل السَّبع البقرات الحَسَنة المنظر والسَّمينة اللَّحم ثم السَّبع البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللَّحم الطالِعة وراءَها، أو السَّبع السنابِل السَّمينة والحَسَنة ثم السَّبع السنابِل الرقيقة والمَلفوحة بالريح النابِتة وراءَها، في ذلك الحُلم (تك٤١)!

✝ إن وَجد الشيطان لَدَى المتوحد هَوى أو مَيلاً إلى أمرٍ ما فإنه يَرصُده، ومن ثَمَّ يَنسِج في خَياله أثناء النوم ما يُشبِه الأحلام، هذه التي تبدو مُعَزِّية حتى إنه يظُن أنها من تعزيات الروح القدس. ويهدف بهذا إلى عِدة أغراض: إمَّا أن يُغرِقه في النوم فلا يستيقظ للتسبيح، وإمَّا أن يُعطيه أفكاراً أو مَشاعر وَهمِية ضارَّة، وإمَّا أن يحُثَّه على الاجتهاد في تحقيق ما قد حلُم به لِيُضِلَّه.

✝ من تجارِب الأرواح الشريرة للمتوحد، أنها قد تُلقي في عقلِه فِكرةً أو أفكاراً سَلبية، كالصور السَّمِجة أو الذكريات السيِّئة أو أفكار الإدانة... وعلامات أفكاره هى أنها تكون: رديئة، فُجائِية، مُشَوَّشة، مُلِحَّة، خالِية من السلام والعزاء، كما أنها تكون مُقَنَّعة وَسط أفكار المتوحد، لكي يَتَوَهَّم أنها أفكاره الخاصة، لكن المُختبِر يستطيع أن يُمَيِّزها من بين أفكاره هو، وقد تَعَلَّم أيضاً كيف يصُد تِلقائِها ويطرُدها. فلا يضطرب منها لأنها ليست أفكاره ولن يُدان عليها ما لم يتجاوَب معها.

✝ كما تُجَرِّب الأرواح الشريرة المتوحد في وقت يَقَظِه؛ يُمكنها أيضاً أن تُجَرِّبه في وقت نَومه. فَحَيث أن الشيطان قوة عقلية؛ يُمْكِنه أن يؤثر على العقل الإنساني أثناء حالة اللاوَعي، ويتصنَّع (إتحاداً) مُزَيَّفاً بين إيعَاذاته الشريرة وبين شعور أو فِكر أو رغبات نفس المتوحد، فيَنسِج في عَقله خيالاتٍ حِسِّية تُشبه الأحلام، ولكنها ليست أحلاماً، وبالتأكيد تكون رديئة، حيث تتضمَّن أحداثاً شهوانية أو غضبية أو عَدَائية.. والحالِم هو بَطل الرواية، حتى عندما يستيقظ من نومه يعتقد أن تِلك الأفكار كانت هى أفكاره، وأن تِلك المَشاعِر كانت مَشاعِره، والشخصية موضوع الليلة كانت هى شخصيته هو، وليس هذا فقط، بل أنه بعدما يستيقظ، وإذا كان في الرواية هو (الجاني)؛ يتقمَّص الروح الشرير دَور ضميره الشخصي الأمين؛ فَيَظَل يُوخِذه ويؤنِّبه ويدينه، وإذا كان فيها هو (الضحية)؛ يَظَل يُحزِنه ويُكَدِّره ويُزعِجه بِتذكارها، لِمرَّاتٍ ومرَّات..

ليس الهدف من هذه الكلمات التحذير من تجارِب وحروب الأرواح الشريرة للمتوحد، في يَقَظِه أو في نَومه، فهذا أمرٌ مُثبَتٌ للجميع، لكن ما أريد أن أُحَذِّرك منه هو أن الروح الشرير بهذا النوع من تجارِبه أو حروبه، يهدف إلى ما هو أكثر من تَدنيسك أو إزعاجك، إنه يقوم بعملية (إسقاطٍ) لِطبيعته الفاسِدة عليك، لِيُقنِعك بأنك أنت هو صاحب تلك الطبيعة الفاسدة، وأنك قد تغيَّرت وانحدرتَ من رُتبتك، وأن الله قد غضب عليك أو رفضك. وهو يهدف بهذا إلى أن يبث فيك فُقدان الرجاء في تقديس نفسك، أو في محبة الله لك.. أعرف متوحداً أَرَّقَته أحلامٌ مُزعِجة متنوعة منذ بَدء توحُّده، واستمرت تُضايِقه بصفةٍ شِبه يومية لأكثر من عام.

يُنبِّهنا الأب يوحنا الدَّرَجي بأن: [**مَن يصدق الأحلام فهو عادِم الخِبرة بالكلية**، ومَن يُكذِّبها كلها هو حكيم]، [فَمَن يصدق الأحلام **يُشبه بالتالي مَن يركُض وراء ظِلِّه**].

فيمكن القَول بأن الفكر سَاحَة قِتال مُتواصل للمتوحد، أرض المعركة، حتى في وقت نَومه، ما يمكن أن نُسَمِّيه "ضَجيج التوحد"!.. لكن ينبغي علينا أن نُفَرِّق بين حالة المتوحد الجاد المُجاهد؛ وبين حالة المتوحد الذي مازال يحتفظ بِقَدرٍ ما من الجِسدانية. فإذا كانت نُزُوع هذا الأخير تَميل إلى الدنس أو السُّوء بأي نوع؛ فعندما يُجَرَّب من الشرير ـ الذي يَرصُد ميوله ـ فإنه بِتجاوُبه مع إيعاذاته أو مع مُجاذَباته الشريرة؛ يُخطئ بإرادته وينغلِب، فَيَكون مسئولاً عن هذه النتيجة.

✝ أنظر! لا يخدعك الأعداء الخَفِيين بهذه الحيلة: ففي شِبه أحلامك، يُغَيِّرون شكلهم إلى شِبه صور أشخاصٍ سبق لك أن تأذَّيت منهم، فَينتَحِلون شخصياتهم ويُضايقونك بها كأنهم هم أولئك الأشخاص، حتى تمتلىء حُزناً منهم ويتلوَّث قلبك بِبُغضك إيَّاهم، فيُفسِدون عليك نقاوة قلبك. ويحدث هذا بالأكثر إن كنت قد نِمت ولستَ مُصَلِّياً، أو غير مُحترِسٍ بالكِفاية.

✝ مثلما تكون قِتالات عدوك متنوعة؛ هكذا لِتَكُن وسائل أو أساليب أو تدابير دِفاعاتك متنوعة. فقد يكون المجمع حِصناً فعَّالاً للمتوحد في أيام القتال الشديد، أو في أيام التقَلقُل.. في هذا قال أبًّا مقاريوس لأخٍ جالسٍ في قلايته جاءه يُعرِّفه بتَقَلقُله في قلايته: [اِمضِ ودَع فكرك، واترك الوحدة الآن **واجلس في الطاعة (أي الشركة) مع آخَرين حتى يسكُن العاصِف**].

الأوجاع التي تحثُّها الأرواح الشريرة لَدَى الصَّمُوتين والمتوحدين، أكثر منها لَدَى المُقيمين في الشركة:

١ـ الضَّجَر (خاصةً في فترة الظهيرة). من كتاب الأب يوحنا الدَّرَجي "السُّلم إلى الله":

[حياة الشركة تُناقِض الضَّجَر، ولكن **هذا الدَّاء رفيق للمتوحدين** يُلازِمه حتى وَفاته ويُصارعه كل يوم حتى مَماته. إنه **يبتسم إذا رأى قلاية متوحد** ويتسلَّل فَيَسكُن بِقُربه].

[يُعاوِد الطبيب مَرضاه في الصباح، **أمَّا الضَّجَر فيفتقد الرهبان في نصف النهار**].

٢ـ إدانة الضُّعفاء أو المُتوانين.

٣ـ تَذكِية النفس (الشعور بالبِر الذاتي ـ عدم جِدِّية القلب الداخلي في رَفض مجد الناس الباطِل).

٤ـ الصور السَّمِجة ومَشاعر الشهوة (وبِصِفةٍ خاصة في ليلة الأحد، أو في يوم التناول).

٥ـ الشَّغَف بِالاِتصال بِالسمائيات والاطِّلاع على الغَيبيات وتَجَسُّس المستقبل (الأحلام ـ التنبُّؤ ـ الرؤَى ـ الإعلانات...).

٦ـ النزول إلى العالم بِداعي تَخليص نفوس تهلك.

الغِياب عن سِر الإفخارستيا والاستِعاضة عنه بالصلاة في الصومعة؛ بِدعة توحدية:

عرفتُ في دَيري ـ وأخشى أن يحدث هذا في ديرٍ آخَر ـ أكثر من راهبٍ مُنفَرِدٍ لا يأتي إلى الكنيسة، ولا حتى في الأعياد السيدية، فلا يتناول من جسد ودم الرب لِعِدة شهور! مع أنه يسكن في منطقة مساكن الرهبان.. ولَعَله بهذا السلوك يعتمد، دون إفراز، على قَول مار إسحاق الذي يمضي إلى كَفِّ المتوحد عن حضور الكنيسة، لِدرجة العُزُوف عن حِفظ الأعياد السيدية!

لِمِثل ذلك الراهب أقول: لقد اِختلط عليك الأمر، لأن قَول مار إسحاق هذا لم يَقصِد به المتوحد الذي يَقبَع بَصَومَعة داخل دَير؛ بل السَّائح الذي، بِقيادة الروح، قد اِنفصل عن ديره كليةً وتَوَغَّل في البرية دونَما رَجعة.. راجِع نفسك في هذا الأمر. وفَكِّر جِدّياً في إجابة هذه التَّساؤلات:

ـ هل من داعٍ يَفترِض عدم وجود داعٍ للإبقاء على صِلَتك بِالكنيسة؟!

ـ هل بلغَت قامتك الروحية عُلواً حتى لم تَعُد تنفعك الكنيسة شيئاً؟!

ـ هل إلى هذا الحَد تتأذَّى من مُلاقاة إخوتك رُغم بُعدك عنهم وغيابهم عنك لِفتراتٍ طويلة؟! ولو صَحَّ هذا، افتِراضاً، فهل تُبطِل عَضَداً أساسياً ودافِعاً فعَّالاً في جهادك بسببهم؟!

ـ هل تتواصَل صلواتك النهار والليل، الأيام والليالي، حتى أنك لا تجد وقتاً لِبَيت الله؟!

ـ هل تُمجِّد السيد الرب في أعياد ميلاده وعِماده وشركة آلامه وقيامته وصعوده، داخل صَومَعتك منفرداً، التمجيد اللائق والمُتميِّز عن باقي الأيام؟!

هل من سببٍ آخر لم نُدركه نحن المُبتدِئون لِنَنتفع به؟! والأهم من هذا كله؛ ألَم تتشوَّق إلى التناول من جسد ودم الرب (إن لم تكُن تتناول مع السوَّاح)؟! أخيراً؛ هل أبوك يُبارِك هذا؟ إن سلوكك بِمَرأى عينيك وحدك علامة إنحراف.. ما دُمتَ مُرتبطاً بدَير فأنت مُرتبطٌ بِكَنيسته.

إنني الآن لَستُ بِصَدَد أن أُذَكِّرك بطريقة حصولك على خُبزك ومائِك دون أن ترى وجه إنسان، باضطِرارك، إمَّا بأن تذهب أنت لِتحصل عليهما، وإما بِمُلاقاتك إخوتك، بتقديم أحدهم خدمة محبة لك وقضاء اِحتياجاتك ـ لكنني أريد أن أُذَكِّرك أنه حتى الآباء السوَّاح كانوا يجتمعون يَومَي السبت والأحد من كل أسبوع وكذا أيام فِصح المسيح الرب كل عام، لِتناوُل الإفخارستيا.

كتب الأب ديمتري (حياة الصلاة الأرثوذكسية، فصل: أقوال الآباء في بيت الله):

[وما الفائدة من حياتك أن تظل مُعانِداً لِروح النعمة ومُقاطِعاً للكنيسة **ومُمتنِعاً عن تناول أسرارها والاشتراك في جسد المسيح ودمه، فَتموت غريباً عن الكنيسة والله؟** ألم تسمع من فَم المسيح أن مَن ليس معي فهو عليَّ؟!].

والأب يوحنا الدَّرَجي (عن كتاب السُّلَّم إلى الله، فصل: رسالة إلى الراعي):

[قال لي أحَد أحِبَّاء الله أن الله تعالَى، الذي يُغدِق عطاياه على عبيده دائماً، **يُزيد في عطائه في أعياد السيد والأعياد السنوية الأخرى الكبيرة**].

وقال القديس مقاريوس الكبير:

[لازِموا السهر وقراءة الكتب وثابِروا على الصلاة، وأسرِعوا إلى الكنيسة ونَقُّوا قلوبكم من كل دنس لتستحقوا التناول من جسد السيد المسيح ودمه الأقدَسَين، فَيَثبت الرب فيكم. **فبهذا السر العظيم تُحفَظون من الأعداء. فَمَن يتهاون بهذا السر فإن قوات الظلمة تَقوَى عليه** فَيَبتعد عن الحياة بِهَواه. **فَلنتقدم إلى سِر الإفخارستيا بخوف وشَوق وإيمان تام**، ليبعد عنا خوف الأعداء بقوة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد آمين].

المتوحد والدعوة إلى الخدمة في البِيعَة المقدسة:

راجِع موضوع "الراهب والدعوة إلى الخدمة في البِيعَة المقدسة"، بِصفحة ٧٨ بهذا الكتاب.

قد يكون المتوحد حاراً بالروح ونامِياً في الفضيلة وقد عَلَت قامته الروحية، فَيَصير نوراً لكل مَن حوله، ولهذا قد يُدعَى للخدمة في بِيعَة الله.. لكن لِيَبحث أولاً هل هذه الدعوة من الله أم لا؟ هل تُسايِر طريقَه الخاص؟ هل تتناسَب مع طبيعته وشخصيته؟ هل تتفق واستِعداداته؟ لِيَمتحن نفسه أولاً، وهو أكثر مَن يعرف ضَعفاته: "**لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟**" (١كو٢: ١١). لأنه ليس بالضرورة أنه سَيَبقَى مُنيراً هكذا إذا خرج للحياة العامة، ليس كل متوحدٍ ناجحٍ أنه سَيَكون بالضرورة راعياً ناجحاً.

في رسالة القديس يوحنا ذهبي الفم عن الكهنوت المسيحي؛ تَحَدث بإسهاب عن الكهنوت وعن الخدمة والرعاية، وقد تَعَرَّض فيها لهذه المَسألة خِصِّيصاً، فكتب:

[وأنا أعرف كثيرين فَرَضوا على أنفسهم تدريباتٍ شاقة، وعَذَّبوا أجسادهم بأصوامٍ طويلة، ولكن **لأنهم لا يتحمَّلون إلَّا مسئولية أنفسهم فقط** فَيَكونون مَرضِيين أمام الرب، ويوماً بعد يوم يُضيفون إلى فضائلهم فضائل أخرى جديدة، حتى إذا خرجوا إلى الحياة العامة واضطروا إلى التدخُّل لتصحيح جهالات الشعب - **وضَح عدم صَلاحيتهم لهذه المُهمة الكُبيرة**، حتى أن بعضهم يتخلَّى عن أسلوب حياة الفضيلة التي كان يَنتهِجها.. **وهكذا يَخسرون أنفسهم دون أن يَربَحوا آخَرين**][1].

[فَمَن كانت هذه الحال حاله **فالأفضل له أن يَقنَع بِوَحدته** أو مُصاحَبة صديق أو اِثنَين، حتى يَنجو من نار الغضب التي لا يستطيع أن يتجنَّبها إن اِنغمس في كل هذه الاهتمامات.. **فهو حينئذٍ لا يَجُر نفسه وحدها بل آخَرين كثيرين إلى حافَّة الهلاك** ويُبعِدهم عن جادة الصواب.. الذين يعيشون

---

[1] القديس يوحنا ذهبي الفم: "الكهنوت المسيحي"، ترجمة: كنيسة السيدة العذراء بالفجالة، أغسطس ١٩٧٤م، رقم الإيداع: ٤٦٣٥/ ١٩٧٤، المطبعة: دار الجيل للطباعة (الفجالة)، صفحة ٧٤، عن:

St. CHRYCOSTOM: Treatise Concerning the Christian Priesthood, Nicene and p. Nicene Fathers. 1st ser. Vol. 9.

في عُزلة فإن وَحدتهم تكون قِناعاً يَحجُب عيوبهم، **حتى إذا ظهروا في الحياة العامة وخلعوا ثَوب الوحدة الذي كان يَستُرهم؛ فإن نقائصهم تظهر في الحال وتنكشِف نفوسُهم**][1].

وأمَّا للأصِحَّاء أقول؛ مثلما إذا حدث في بلدٍ إضطرابٌ تُستدعَى قواتٍ خاصة من الجيش، فتُسرع تلك للمعونة؛ هكذا فعندما يُحدِق بالكنيسة خطرٌ إيماني، أو تفتقر إلى فَعَلَة أقوياء ممتلئين؛ تَستدعِي بعضاً من المُتعبِّدين للعمل فيها. أيها المتوحدون، الذين منكم قد وهَبَه الله موهبةً أو نعمةً لِخدمة الآخَرين (١بط٤: ١٠)، واستَدعَته أُمُّه الكنيسة إلى حَصاد الرب الكثير (لو١٠: ٢)؛ فلا يَتَمَنَّع كثيراً، فالوقت الآن مُقَصَّرٌ عن الاِسترسال في الهدوء والاِسترخاء. إن دَعاك الله فلا تقُل: "أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ" (خر٤: ١٣)؛ بل اِمتَثِل له قائلاً: "هأَنَذَا أَرْسِلْنِي" (إش١: ٨).

أُخرج كَمِّل جهادك في ظروف جديدة أو بشكل آخَر: "إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ **تَبْقَى وَحْدَهَا**. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ **تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ**" (يو١٢: ٢٤). لَعَله الزمن الذي فيه يُحَل الشيطان من سِجنه ويُطلِق قوات الجحيم، في حَربه الكُبرَى والأخيرة ضِد الكنيسة، "**حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً**" (مت٢٤: ٢٤)!

قال قداسة البابا شنودة لِأحد مُحِبّي الوَحدة المُستَعفين من الدعوة إلى الخدمة:

[أنا محتاج لِفِدائيين يُضَحُّون بِحَياة الوحدة التي يُحِبونها ويخدمون معي من أجل خلاص الآخَرين.. هناك عشرات الآلاف من الناس يهلكون ولا أحَد يسأل عنهم، ألا يُحَرِّكنا هذا بأن نُضَحّي بِأنفسنا من أجلهم؟!].

إن لم تأخذوا مَواقِعَكم التي أعَدَّها الله لَكُم، وعَيَّنَكم لها في الوقت المَرسوم؛ فَلَسوف يَحتلَّها الذين سيُمَلِّكهم إبليس عليها، وأولئك سَيَصنعون إفسادَه، أو على الأقل لا يعملون شيئاً وبهذا يكونون قد مَنَعوا عمل مَن كان سَيُخَلِّص الله بهم، ولَسوف تكونون مسئولين أمام الله عن النتائج! لكن طَيِّب أنت جِراح المسيح بأن ترُد له خِرافَه الناطِقة الضَّالة وتجمع إليه أبناءَه المُتفرِّقين.

[1] المرجع السابق: صفحة ٦٩.

مُناجاة راهب

يا الله إلهي يا مَصدرَ الوجود يا مُبدِعَ الكَون يا عائِلَ كل الخليقة يا إلهَ السماوات وسيّد الأرض كلها؛ أشكرك على إدامَتك نعمتك لي وإبقائك عليَّ في مَراحِمك إلى الآن. إني أخجل مِنك بسبب شقاوة نفسي. "اللهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ". لا تُعاملني بحسب اِستحقاقي أو بالأحرَى بحسب عدم اِستحقاقي، بل بصلاحك تَرَفَّق بي. لا تُعطِني بحسب حالتي، بل بمحبتك تَرأف عليَّ. "أَنْتَ تَعْرِفُ أَنِّي أُحِبُّكَ" وليس لي سِواك. لا تَتَحفظ لِشروري بل تَغاضَى عن خطاياي، تَجاوَز عن آثامي، وتَوانَ في إدانتك إيَّاي. قد ضاقَ بي الأمر واستَغلق عليَّ القَفر. طريقي طويل وحِملي ثقيل. تَحَنَّن على جهلي، أشفِق على عَجزي.

يا أبَّا الآبُ، أنت هو المستحق كل حياتي ومحبتي وعُمري وطاقتي. لقد صِرتَ لي الكل وعِوَضاً عن الكل وأفضل من الكل. فأنت هو ربي وسيدي وأبي ومخلِّصي، حياتي وفرحَتي، قُوتي وقُوَّتي، اِحتوائي وامتلائي، مُعلِّمي وطبيبي، حبيبي وصديقي وشَريك حياتي، شمسي التي لا تغيب وقمري الذي لا يَخفُت، رجائي الذي لا يَخيب ونَبعي الذي لا يَنضُب.. ما أمجَدك ما أحلاك، ما أجملك ما أشهاك. "مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لاَ أُرِيدُ شَيْئاً فِي الأَرْضِ" و "لاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ".

يا يسوع يا حبيبي، يا غِذائي ومائي، يا نُوري وهَوائي، يا لَبَني وعَسَلي، يا خَمري ودَسَمي؛ إن كنتُ وأنا ما زِلتُ في الغُربة لا أكُف عن شُكرك على نعمة الخروج من الدُّنيا، وعلى نعيم الحياة معك بالرهبنة؛ فهل بعدما ترفعني عن الزمن والمكان والجسد والمادة، وإلى مجدك تأخذني؛ سأظل أشكرك على هذا، أم أنني سَأُبتَلَع في جَمالك وحَلاوتك وحُبك حتى لا أذكر شيئاً مِمَّا مضى ولا يعود يَخطُر لي على بال؟! لكن لا يَستهويني أن أعرف، إنَّما يكفيني أنِّي سَأكون لك ومعك وفِيك إلى الأبد، آمين.

✝ الرهبنة هى سِراج الحق والحب المُتبقي في الأرض، مَوضِع راحة المسيح وَسط البشرية، قَلب الكنيسة.

✝ لقد فاقَت حكمةُ الانفصال عن العالم حكمةَ سليمان!.. فالراهب هو شهيدٌ دون سَفك دم، مالِكٌ دون وثائِق، حاكمٌ دون سُلطة، غالِبُ **العالم** دون معركة!

✝ اِحفظ يوم خروجك من العالم، وليكُن عندك مُكَرَّماً مثل يوم تكريسك وأكثر.

✝ يا راهب، عِش بروح الأخ، تَذَكَّر أن يوم تكريسك ليس هو النهاية بل البداية.. وأنت يا أخ، عِش بروح الراهب، تَذَكَّر أن يوم رَحيلك عن الدُّنيا ووُصولك إلى الدير هو يوم تكريسك.

✝ **ليس الراهب هو مَن اِستبدل حياةً بحياة؛ ولكنه مَن اِستبدل موتاً بموت.**

✝ الرهبنة طريق جهاد فردي.

✝ حكيمٌ هو الراهب الذي استطاع أن يتوارَى، وسعيدٌ هو الراهب الذي عرف أن كيف لا يُذكَر له اسم ولا يَرِد عنه خَبَر.

✝ البتولية حياة حُب وعهد حُب وسِر حُب، ولكنه حُبٌّ إلهِيٌّ روحانيٌّ مُحتجَب، يُحسَب عند البتوليين (ثامِن) أسرار الكنيسة. ليس أقرَب إلى الله مثل القلب النَّقي البَتولي.

✝ لا وسيلة تَغلِب شهوة جسدك مثل قوة محبتك للمسيح.

✝ الرهبنة تكميل الفضائل، والوَحدة تكميل الرهبنة.